شعراء وأدباء ظرفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في هذه الظروف التى نعيشها، قد يبلغ بنا التعب والإجهاد غايته، فإذا بمحصلة ذلك كله سأم، ومَلال، وضيق بالحياة ومن فيها.. وما فيها!

فلم يكن بد من أن يتخلل ساعات العمل والتفكير فترات ترويحية، يتخفف فيها العاملون والمفكرون من أثقالهم، ومن وقع الأخبار السيئة المتلاحقة عليهم، بعد أن أصبح العالم كالقرية الواحدة.

وخير ما يجدد النشاط - كما يقول علماء النفس - هو الضحك والفكاهة، ومعايشة الظرفاء من الشعراء والأدباء ومنادمتهم!

وأدبنا العربي في عصوره المختلفة زاخر بأولئك الظرفاء من الشعراء والأدباء، فلم يخلُ عصر من رجال الفكاهة المحظوظين، وهم بين شاعر وناثر، تجمعهم وتربط بينهم خفةُ الروح، وحضور البديهة، وذكاء اللمحة!

وهل هناك من ينكر أن الظرفاء من الأدباء والشعراء هم مصدر التسرية والتسلية والإطراب، وإدخال البهجة والمسرة على النفس؟!

وليس هذا فحسب بل قد تكون فكاهتهم لخدمة مجتمعهم بذلك النقد الاجتماعى الذي يصيب ولا يجرح، ويجعل مذاق النقد سائغًا وإن كان لاذعا!

إن «النكتة» - كما فسرها علماء النفس والفلاسفة- إنما هى محاولة لإعادة التوازن داخل النفس المضطربة القلقة التى هزتها أحداث زعزعتها، عندما وقعت خارجها، ونفذت إليها، فرأت تلك النفس أن تستعيد توازنها بالضحك.

وفي سبيل إعادة هذا التوازن إلى النفس الإنسانية بذلنا الجهد لكى نجمع للقارئ الكريم، ما يعيد إليه توازنه، ويبعث إلى نفسه بالبهجة والسرور!!

وكم كان معاوية بن أبي سفيان صادقا مع نفسه في ذلك القول الحكيم: «لا يكون للمرء صبر على الجد حتى يأخذ من الهزل قدرا».

ويقول أديب كبير:

«إن اليوم الذي لا يضحك فيه ليس من عمره!».

ولست أنسى ذلك اليوم الذي جلس إلى فيه أحد الأصدقاء ورآنى مهموما مثقلا بالعمل، وأكاد أنوء بما حملت من أثقال، فقال: أين ذهب الضحك؟! وأين الظرفاء؟

أين هم ليُدخلوا البهجة على نفوسنا؟!

أين هم ليعيدوا البسمة إلى شفاهنا؟!

أين هم ليُعيدوا السعادة إلى حياتنا؟!

وفتحت هذه الأسئلة أمامى آفاقا واسعة؛ فرحت أعايش الأدباء والشعراء الظرفاء، وأجمع ما أثر عنهم مما تناولته كتب الأدب، وتناقله المحبون!

لقد كانوا دائمى البشر حتى في أظلم الأوقات، وأحلك الساعات، كانت الابتسامة لا تفارق شفاههم، ولا تبرح الدعابة ثغورهم!

لم تكن الدعابة تتركهم.. ولم تكن المُلْحة العذبة تبرح محلهم، أو تغيب عن محضرهم!

وإليك ما أثر عنهم من النوادر والطرائق التى أسعدتنى وأعادت إلىَّ التوازن النفسى لتسعد كما سعدت، ولتنعم بحياتك كما نعمت.

وأرجو أن أكون قد أسهمت في تخفيف السأم والملل واستعادة الحيوية والنشاط في مجال العمل المثمر البنّاء، واللّه من وراء القصد.

عبد اللطيف عاشور

الوزير الشاعر

البهاء زهير

أرق الشعراء في العصر الأيوبى

شاعرنا عاصر دولة بنى أيوب وقضى بضع سنوات مع دولة المماليك البحرية. ينتمى إلى المهلب بن أبي صفرة صاحب الحروب والفتوح في تاريخنا العربي.

وكنية شاعرنا أبو الفضل، ولقبه «بهاء الدين» فهو أبو الفضل زهير محمد بن على المكى القوصى.

كان مولدهُ بمكة في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، بوادى نخلة.

وقضى طفولته وشطرا من صباه بالحجاز، ثم انتقل إلى «قوص» بمصر. وفي مصر اتصل بأعيان عصره، وفي مقدمتهم الشاعر جمال الدين بن مطروح، وحاكم قوص، ويرقى البهاء في صلاته بأعيان عصره إلى الملوك والسلاطين بعد الأمراء والوزراء!

ويبتسم الزمن للبهاء زهير، وتقبل عليه الدنيا، فيقربه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ليكون كاتبا للملك، وليصبح فيما بعد رئيس ديوان الإنشاء يقرأ الكتب الواردة على السلطان، ويكتب أجوبتها ويصرف المراسيم.

ومات في السنة التى سقطت فيها بغداد على أيدى التتار سنة 656 هـ.

المصريون والفكاهة

للمصريين في مجال الفكاهة باع طويل، فهم أبرع الشعوب العربية فكاهة، وألذعهم نكتة، وأحلاهم نادرة، وأرقهم مزاحا. وفي القرن السابع الهجرى ملأ زهير الدنيا بشعره اللطيف الظريف.

وفي القرن التاسع الهجرى ألف «ابن سودون» وكان من العلماء والظرفاء. كتابا سماه: «نزهة النفوس ومضحك العبوس». ويطلق عليه: «جحا المصرى».

ومصر الولادة لم تفقد على مر التاريخ أولئك الظرفاء ولم يكن في متأخرى المحدثين من هو أسهل نظما، ولا أرق لفظا، ولا أكثر تشرفا للمعانى المبتذلة في البهاء زهير!

وأجود شعره ما كان في المغازلة، والمعابثة، ومن لطيف مدحه:

أنـــا ذا زهـــيـــرك لـــيـــس إلا
م جـــود كـفـك لـــى مُـــزيـــنـــةْ[1]
أهـــــوى جـمـيـل الـــذكـــر عـنـ
ـــك كـأنـمـا هـــو لـــي بـثـيـنـه[2]
فـــاســـأل ضـــمـــيـــرك عـــن ودا
دي إنـــه فـيـه جُـهَـيْـنـه[3]

وعلى الرغم مما كان في هذا العصر من «حروب صليبية» فقد ظلت للمصريين «روح الفكاهة».. إنها النبع الذي لا يجف مهما تقلبت عليهم الأيام والليالى، وتكالبت عليهم المحن والنكبات!

وسوف تظل روح الفكاهة.. هى.. هى.. لا تتغير.. ولا تتبدل ولا تزول.. ولا تنمحى!

ولا شك في أن البهاء زهير كان أحلى ظرفاء عصره روحا، وأخف دماء. ومن يتابع ديوانه يجده يكثر في شعره من التظرف والمدح والدعابة.

وربما كان هذا سببا في كثرة أساليبه الدارجة التى تدور على ألسنة المصريين.

فتعال لنعيش في صحبته أسعد الأوقات وأحلاها لعلك تستعيد نشاطك، وصفاء نفسك، واعتدال مزاجك.. وهذا ما نأمله ونرجو لقارئنا العزيز.

(1) يشير إلى زهير بن أبي سُلمى المزنى الجاهلى مادح بن سنان. فجميل الذكر يغنيه عن النسب.
(2) يشير إلى جميل الشاعر صاحب بثينة.
(3) يشير إلى قبيلة جهينة التى عندها الخبر اليقين!

ألوان نمر الناس تناولهم بالنقد اللاذع!

وما زال شعرى فيه للروح بهجة
وللقلب مسلاة وللهم مَصْرِفُ

الذين يراءون الناس

كم أناس أظهروا الزهد لنا
فتجافَوْا عن حلالٍ وحرام
قلّلوا الأكل وأبدوْا ورعا
واجتهادا في صلاة وصيام
ثم لمّا أمكنتهم فرصةٌ
أكلوا أكل الحزانى في الظلام!

توبة إفلاس

وهذا لون من الناس يعلن توبته حين تشتد به الحال، وفي مثله يقول:

قالوا: فلان قد غدا تائبا
واليوم قد صلى مع الناس
قلت: متى ذلك وأنّى له
وكيف ينسى لذة الكاس؟!
أمسِ بهذى العين أبصرتُه
سكران بين الورد والآس
ورحت عن توبته سائلا
وجدتها توبة إفلاس

لقد جاءت كلماته في مقطوعاته الشعرية خفيفة الروح، خالصة التهكم لاذعة السخرية، نافذة السهام، فطرية النزعة.

فاعل الفعْلة!!

يـا فـاعـل الـفَـعـلـة الـتـى اشتهرت
لـم تـجـر فـي خـاطـرى ولا خَـلَـدى
فـعـلـتـهـا بـعـد عـفـةٍ وتُـقَـى
فـيـالـهـا سُـبّـةَ إلـى الأبـد!!
هـذا، وأنـت الـذي يـشـار له
لا عـتـبَ مـن بـعـدهـا عـلـى أحـدِ

زائر سمج

ضاق البهاء زهير ذات يوم بزائر سمج جرب معه الإشارة والتلميح فلم تقلح كل وسائله معه، وجرب معه الكلام الصريح فما نفع فقال:

وعـائـدٍ هـو سُـقْـمٌ
لـكـل جـسـم صـحـيـحِ
لا بـالإشـارة يـدرى
ولا بـالـكـلام الـصـريـحِ
ولـيـس يـخـرج حـتـى
تـكـاد تـخـرج روحـى

زهير الثقلاء!

ما أكثر الثقلاء في كل مجتمع! والقارئ لشعر زهير يحس بما في نفس الشاعر من رقة حِسٍّ وذوق، وبُعد عن الشر والأذوى، ومما يدل على لطف روحه أنه قلما يهجو بغير الوصف بالثقل، فيقول في صور شعرية لطيفة فكهة:

[1]

وثـقـيـل كـانـمـا
مَـلَـك الـمـوتِ قـوبُـه

لـيـس فـي الـنـاسِ كـلِّـهـم
مَـن تـراه يُـحـبُّـه
لـو ذكـرتَ اسـمـه عـلـى الـمـا
ءِ لـمـا سـاغ شـربُـه

[2]

ويقول:

رُبَّ ثـقـيـل لـبـغـض طـلـعـتـه
اخـشـاه حـتـى كـأنـه أجَـلِـي
وكـلـمـا قـلـت: لا أشـاهـدُه
ألـقـاه حـتـى كـأنـه عـمـلـي

[3]

ويقول:

يـا ثـقـيـلاً لـي مِـن
رؤيـتـه هَـمٌّ طـويـلُ
ويـغـيـضـا هـو فـي الـحَـلْـ
ـق شـجـى لـيـس يـزولُ
كـلّ فـضـلٍ فـي الـورى
أضـعـافـه فـيـك فُـضُـولُ
كـيـف لـي مـنـك خـلاصٌ
أيـن لـي مـنـك سـبـيـلُ؟
حـار أمـري فـيـك حـتـى
لـسـت أدري مـا أقـولُ
أنـت - واللَّـه - ثـقـيـلٌ
أنـت - واللَّـه - ثـقـيـلُ

[4]

ويقول نافيا الثقل عن نفسه:

والـلـه لـولا خـيـفـة الـتـثـقـيـل
زرتـك فـي الـضّـحـى وفـي الأصـيـل
لـكـن أرى التخفيف عـن خليلى
ولـسـت فـي الـعـشـرة بـالـثـقـيـل

[5]

ويقول في تتابع الثقلاء بلا نهاية:

وثـقـيـلِ مـا بـرحـنـا
نـتـمـنـى الـبـعـد عـنـه
غـاب عـنـا فـفـرحـنـا
جـاءنـا اثـقـل مـنـه!

[6]

وقال في ثقيل آخر:

بـحـقِّ الـلَّـه مَـتِّـعـ
ـنـى مـن وجـهـك بـالـبُـعـد!
فـمـا اشـوقـنـى مـنـك
إلـى الـهِـجـران والـصَّـدّ
فـمـا تـصـلُـح لـلـهـزل
ولا تـصـلـح لـلـجَـدّ
ومـاذا فـيـك مـن ثِـقـل
ومـاذا فـيـك مـن بَـرْد؟!
فـلا صُـبِّـحـت بـالـخـيـر
ولا مُـسَّـيـتَ بـالـسَّـعْـدِ

العقل زينة

ويقول لأحدهم:

مـــا الـــعـــقـــل إلا زيـــنـــةٌ
سـبـحـان مـــن أخـــلاك مـنـه!

صديق بغدادى

قال يداعب صديقا له بغداديا تاجرا كان قد أتى مصر فأقام بها إلى أن فقد جميع ما معه:

دخـلـت مـصـر غنيا ... ولـيـس حـالـى بخافى
عـشـرون حـمـل حرير ... ومـثـل ذاك تصافى
وجـمـلـة مـن لآلٍ ... وجـوهـر شـفـاف
ولـي مـمـالـك خـود ... مـن الـمـلاح النظاف
فـرحـت أبـسـط كفى ... وبـالـجـزيـل أكـافـى
ولا أزال أواخـى ... ولا أزال أصـافـى
وصـار لـى حـرفـاء ... كـانـوا تـمـام حـرافـى
وكـل يـوم خـوان ... مـن الـجـدى والـخِـراف
فـبـعـت كـل ثـمـيـن ... مـعـى مـن الأصـنـاف
استهلك البيع حتى ... طـراحـتـى ولـحـافـى
صـرفـت ذاك جميعا ... بمصر قبل انصرافى
وذا خـروجـى منها ... جـوعـان عـريـان حافى

وقال في بارد ثقيل!

وجاهل يجهل ما يقول ... أقـوالـه ليس لها تأويلُ
لها فصول كلها فضول ... كثيرُ مـا يقوله قليل
فهي فروع ما لها أصول ... كـلامـه تمجّه العقول
أتعبني حديثه الطويل ... فليته كـان له محصول

وجُملة الأمـر ولا أُطيل هو الرّصاص باردٌ ثقيلُ

لا أهلا ولا سهلا

أبـــا يـحـيـى ومـــا أعـر ف من انـت أبـا يحيى؟
فحدثى وقـل لـي: أيُّ شـيء أنـت في الدنيا؟!
من الجن؟ من الإنس؟ من الموتي؟ من الأحيا؟
بعيد مـنـك أن تُفلح فـي شـــيء مـن الأشـيـا
فـــلا أهـــلا ولا سهلا ولا سَـقْـيـا ولا رَعـيـا

إلى متى فيك أشقى؟!

تـعـيـش أنـــت وتـبِـقـى أنـــا الـــذي مـت عشقا
حـاشـاك يـانـور عينى تلقى الـــذي أنـــا ألقى
ولـــم أجـــد بـيـن موتى وبـيـــن هـجـرك فـرقـا
يا أنعم الناس قل لي: إلـى متى فيك أشقى؟!

ألوان من الناس تشوه صورة المجتمع!
[المنافق-ذوالعَجب - الأحمق]

يقول المتنبى:

ومـن نكد الدنيا على الـحـرأن يرى
عـــدوا لـــه مـــا مـــن صـداقـتـه بُـدّ

وقد بُلى البهاء زهير بمن كانوا مصدر تعبه وشقائه، ولا حيلة في التخلص منهم!

أري قوما بُليتُ بهم نصيبى منهمُ نصَبى[1]
• فمنهم مـن ينافقنى فيكذب لي، ويحلف بى
ويُلزمنى بتصديق الذ ي قـــال مِـــنْ كـذب
• وذو عُجْب إذا حَدّثْ ـتُ عنه جئت بالعجب

(1) نصَبى: تعبى.

وما يدرى بحمد اللّـ ـه ما شعبان من رجب؟
وما أبصرتُ أحمقَ منـ ـه في عُجْم ولا عَرَب
• وأحمق قد شقيت به بلا عقل ولا أدب
فلا ينفَكّ يتبعني وإن أمعنت في الهرب
كأني قد قتلت له قتيلا فهو في طلبي
لأمر مّا صحبتُهم فلا تسأل عن السبب
رجعنا مثل ما رحنا ولم نربح سوي التعب!

أقبح من وعد بلا وفاء!

وجاهل طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي
كأنه الأشهَرُ في أسمائي أخرقُ ذو بصيرة عمياءِ
لا يعرف المدح من الهجاء أفعاله الكل على استواء
أقبح من وعد بلا وفاء ومن زوال النعمة الحسناء
أبغض للعين نمن الأقذاءِ أثقل من شماتة الأعداء
فهْو إن رأته عين الرائي أبو معاذٍ، أو أخو الخنساء[1]

لا حَسَن ولا حَسنى

وذى خِسَّة وافيته عند حاجةٍ
سمعت به لفظا، ولم أره معنى!
فوجه ولا بشر، ومال ولا ندّى
لقد خاب، لا حُسْن حواه ولا حُسْنى!

أرحنى منك

ويقول لأحد الثقلاء:

أرحنى منك حتى لا
أري منظرك الوعرا

(1) أبو معاذ: جبل. وأخو الخنساء: صخر.

فـقـد صـرت أري بُـعـدَ
ك عـنـى الـراحـة الـكـبـرى!
فـمـا تـنـفـع فـي الـدنـيـا
ولا تـنـفـع فـي الأخـرى!

ألوان من الطرافة في شعره!

ولـلـنـاس أشـعـار تـقـال كـثـيرة
ولـكـن شـعـرى فـي الأمـيـر أميرها

للبهاء زهير نمط خاص يخرج الموضوعات المطروقة إلى نوع من الطرافة! إنه يقول في المشيب:

فـقـد انـجـلـى لـيـل الـشـبـا
ب وقـد بـدا صـبـح الـمـشـيـبِ
ورأيـت فـي انـواره
مـا كـان يـخـفـى مـن عـيـوبى

الراقص في الظلمة

ويلقى البهاء زهير الضوء على المرءوسين الذين يجيدون عملهم ورؤساؤهم عنهم غافلون فيقول:

يـأيـهـا الـبـاذل مـجـهـوده
فـي خـدمـةٍ، أفٍّ لـهـا خـدمـه!
إلـى مـتـى فـي تـعـب ضـائـع
بـدون هـذا تـأكـل الـلـقـمـه
تـشـقـى ومـن تـشـقـى لـه غـافـل
كـأنـك الـراقـص فـي الـظـلـمـهْ!

أشهدكم يا معشر الناس

وجـاهـلٍ أصـبـح لـى عـائـبـا
قـلـت: عـلـى الـعـيـنـيـن والـرأس

أراه قـــد عـــرّض لـــي عـرضـه
أشـهـدكـم يـا مـعـشـر الـنـاس!

ضياع!

أصـبـحـتُ لا شـغـل ولا مـزرعـه
مـذبـذبـا فـي صـفـقـة خـاسـرهْ
وجـمـلـة الأمـــر وتـفـصـيـلـه
أصـبـحـت لا دنـيـا ولا آخـره!

بغلة صديقه

ولقد كان لبغلة صديقه حضورها في شعره، واشتغاله بها في مِشيتها، وخُطوتها، واهتزازها، وشبهها في كل صفاتها بصديقه فيقول:

لـك يـاصـديـقـى بغلة ليست تُـسـاوى خردلهْ
تمشي فتحسبها العيو ن على الطريق مُشكّله
وتُـخـال مُـدْبـرةً إذا مـا أقـبـلـت مستعجله
مقدار خطوتها الطويـ ـلة حين تُـسـرعُ أنملة
تـهـتـز وهـى مكانها فـكـأنـمـا هـى زلـزلـه
أشبهتها بـل أشبهتك كـأن بـيـنـكـمـا صله
تحكى صفاتِك في الثقا لـة والـمـهـانـةِ والـبَـلَـهْ

البهاء زهير والألغاز

ما من شاعر إلا وقد أدلى بدلوه في فن الألغاز.. وقد اخترت لك لغزين عبر عنهما البهاء زهير شعرا.

أولهما في (قُفل»:

وأسـود عـارٍ أنـحـلَ الـبـردُ جسمَه
وما زال من أوصافه الحرص والمنع

وأعـجـب شـيء كونه الـدهـرَ حارسا
ولـيـس لـه عـيـن، ولـيـس لـه سمع!

وثانيهما في مدينة (يافا):

بعيشك خـبّـرنـي عـن اسـم مدينةٍ
يـكـون ربـاعـيـا إذا مـا كـتـبـتـه[1]
عـلـى أنـه حـرفـان حـيـن تـقـولـه[2]
ومـعـنـاه: حـرف واحـد إن قلبته[3]

هووهى!

أنـا فـي الـحـب ألـطـف الـنـاس معنى
دمـث الـخـلـق، ذو حـواسِ رِقـاقِ
أعـشـق الـحـسـن والـمـلاحـة والـظَـر
فَ، وأهـوى مـحـاسـنَ الأخـلاق
لـم أخـن فـي الـوداد قـط حبيبا
فـيُـنـادى عـلـيَّ فـي الأسـواق!!

مواصفات المرأة المحبوبة لديه!

تردد البهاء بين البيض والسمر، فمرة يميل إلى السمر، وينفر من البيض، لأنه لا يحب لون المشيب فيقول:

لأن الـمـسـر فـي لـون الـلَّـمَـى[4]
والـبـيـضَ فـي لـون الـبَـهَـق

وأحيانا يغرم بالبيض لأن:

االـحـق أبـيـض أبـلـجُ
والـحـق أولـى مـا اتُّـبِـع

(1) يافا: أربعة أحرف.
(2) ياء وفاء: (ى و ف) مهما حرقان.
(3) وعند قلب الياء والفاء نقول «في» حرف جر.
(4) الّمى: سمرة محببة في الشفاه. والبهق بياض يخالف لون الجسم ينفر الناس منه!

ورأى الجمال في معتدلة القوام تارة:

فهما طالت، وما قصرت، ولكن
مكملة يضيق بها الإزار
قوام بين ذلك باعتدالٍ
فلا طول يُعاب ولا اختصارُ

وتارة يرى الجمال في الطويلة:

وما ضرها ألا تكون طويلةً
إذا كان فيها كلُّ ما يطلب الإلفُ[1]

تغزله في عمياء!

ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق، شيخ الأزهر، الأسبق، في كتابه «البهاء زهير»:

ومن دلائل تساميه في فهم الجمال عن الصورة المبذولة إلى المعنى الدقيق، تغزله في امرأة طويلة، وفي امرأة قصيرة، وفي بيضاء، وفي سمراء، وتغزله في عمياء فيقول:

قالوا: تعشقتها عميا، فقلت لهم:
ما شانها ذاك في عينى ولا قَدَحَا
بل زاد وجوى فيها انها أبدا
لا تبصر الشيب في خدى إذا وضحَا
إن يجرى السيف مسلولا فلا عجب
وإنما عجبى من مُغْمَدِ جرحا
كأنها هى بستان خلوت به
ونام ناظره سكران قد طفحا
تفتح الورد فيه من كمائمه
والنرجس[2] الغَضّ فيه بعدُ ما أنفتحا

(1) الإلف: الزوج والأليف.
(2) تشبه العيون بالنرجس.

عتاب الحبيب والتشوق إليه

من العتاب ما يؤلم، يوسع شقة الخلاف، ومنه ذلك الكلام الرقيق الذي يعيد المياه إلى مجاريها، ويشفى النفوس، ويقول البهاء زهير:

يعاهدني: لا خانني؛ ثم ينكث
وأحلف لا كلمته؛ ثم أحنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه
فيا معشر الناس اسمعوا وتحدثوا
أقول له: صِلْني! يقول: نعم غدا!
ويكسر جَفنًا هازئا بي ويَعْبَثُ!
وماضر بعض الناس لو كان زارني؟!
وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاي، إنِّي في هواك معذب!
وحتام أبقى في العذاب وأمكُثُ
فخذ مرة[1] روحي ترحني ولم أكن
أموت مرارا في النهار وأبْعَثُ

كفى ما كان من هجر!

تتجلى بساطة البهاء زهير، وخفة روحه في تلك السماحة التي كان بيديها حتى مع من يخاصمه فنراه يدعوه إلى الصلح ويقول:

من اليوم تعارفنا ونَطوى ما جرى مِنّا
ولا كان ولا صار ولا قلتم ولا قُلنا
وإن كان ولابُد منم العَتب فبالحُسْنى
فقد قيل لنا عنكم كما قيل لكم عنا
كفى ما كان من هجرٍ وقد ذُقْتُم وقد ذقنا
وما أحسن أن نرجع للوصل كما كنا

(1) خذها مرة واحدة.

وهبته روحى بشارة!

ويهب روحه لمن بشره بميعاد زيارة محبوبه فيقول:

جـاء الـرسـول ببشرى منها بميعاد الـزيـارهْ
أهـــدى إلـــىّ سلامها وأتـــى بخاتمها أمـرهْ
وأشار عن بعض الحديـ ـث، وحبذا تلك الإشارهْ

وهبته روحى بشارة!

ويهب روحه لمن بشره بميعاد زيارة محبوبه فيقول:

جـاء الـرسـول ببشرى منها بميعاد الـزيـارهْ
أهـــدى إلـــىّ سلامها وأتـــى بخاتمها أمـارهْ
وأشار عن بعض الحديـ ـث، وحبذا تلك الإشارْ
إن صح ما قـال الرسو ل، وهَبْتُه روحي «بشاره»

كتاب من حبيب

ولا تتصور مدى فرحته بوصول رسالة من حبيبه.. إنه يعبر عنها قائلا:

يـا كـتـابًـا مـن حبيب أنـــا مـشـتـاق إلـيـه
جـاءنـى مـنـه سـلام سـلّـم الـلَّـه عليه

يا رسولى..

ويقول لرسوله إليها:

يـــارســـولـــى قـــبّـــل الأر ضَ إذا جـــئـــت إلـــيـــه
ثـــم عـــرّفـــه بـــأنـــى كـــنـــت غـــضـــبـــانَ عـلـيـه!

لاتقل: إنى..

وينشد الراحة قائلا:

لا تلمنى أو فلمنى ... فيك ظلم وتجنى
لا تسابقنى لِعَتب ... ما بذا تخلُصُ منى
لا تقل: إنى وإنى ... ليس هذا القول يغنى
أنا لا أسأل عمّن ... لم يكن يسأل عنى
إن تزرنى فبهذا الشـ ... ـرط أو لا تزرنى
فاسترح باللَّه من ... هذا التجنى وأرِحْنى

حبيب لا يُسَمّى

لى حبيب لا يُسَمّى ... وحديث لا يُفَسّر
آه لو أمكنن القو ... ل، لعَلّى كنت أُعذر
لست أرضى لحبيبى ... أنه للناس يُذْكر
وهو معروف ولكن ... هو معروف منكّر
هو ظبى فإذا ما ... سُمتُه الوصلَ تنَمّر
فترى دمعىَ يجرى ... ولسانى يتعثر
سيدى، لا تُطلع الـ ... ـواشى وإن قال فأكثر
فحديثى غير ما قد ... ظنه الواشى وقدّر
إن ذنب الغدر في الحـ ... ـب لذنب لا يُكفّر
طالت الشكوى وملّ السّـ ... ـمع مما يتكرر
وانقض عمرى وحالى ... هو حالى ما يتغير

بالله قل لى خبرك

ورأى من المحبوب تغيرا فراح يسأله: ما سر هذا التغير؟ ومن وراءه؟

باللَّه قل لي خبرك ... فلى ثلاث لم أرك!
يا أسبق الناس إلى ... فلى ثلاث لم أرك!
وناظرى إلى الطريـ ... ـق لم يزل منتظرك
بين جفونى والكرى ... مذ غبت عنى معترك

كيف تغيرت ومن ... هذا الذي غيرك؟!
وكيف يا معذبي ... قطعت عني خبرك؟!
ومنْ غرامي كلما ... لامك قلبي عذرك
واللَّه ما خنت الهوى ... لك الضمان والدرك
وحق عينيك لقد ... نصبت عينيك شرك
وحاسد قال فما ... أبقى لنا ولا ترك
ماذال يسعى جهده ... يا ظبيُ حتى نفّرك

عتاب لاذع!!

وقال يعاتب امرأة:

يا هذه لا تَغْلَطي ... واللَّه ما لي فيك خاطر
خدعوك بالقول المُحا ... لِ، فصح أنك أمُّ عامر[1]
أظننت لي قلبا على ... هذي الحماقة منك صابر؟!
وسمعت عنك قضيةً ... قد سُطِّرت فيها دفاتر
نُقِلَتْ إليّ جميعُها ... لك بالدلائل والأمائر
إن كنت أنت نسيتها ... فلَكَم لها في الناس ذاكر
وسألتُ عنكِ فلم أجِدْ ... ما هذه شيَمُ الحرائر
فإذا كذبت فلا يكن ... كذبًا لكل الناس ظاهر!!

في عجوز متصابية!

ويقول في عجوز متصابية: إلى هذا التصابي؟!

كم ذا التصاغرُ والتصابي ... غالطتِ نفسك في الحساب؟!
لم يبق فيك بقية ... إلا التعلل بالخضاب[2]

(1) أم عامر: الضبع ويضرب بها المثل في الحمق، ويضرب مثلا لمن يخدع بالقول. (اللسان: عمر).
(2) الأصباغ والحناء لتخفى ما لا تحب أن يظهر!

لا أقتضيك[1] مودّةً ... رفع الخراج[2] عن الخراب
ما العيش إلا في الشبا ... ب، وفي معاشرة الشباب
وسألت عما تحته ... قالوا: عظام في جراب!
وسمعت عنك قضية ... سارت بها أيدى الرِّكاب
هذا وكم من وقفة ... لك في الازقة للعتاب!
واليوم قالوا: حرةً ... سِتُّ الحرائر في الحجاب!
وأردت أنطق بالجوا ... ب، فلم يكن وقت الجواب
يا هذه الصِّبا ... فإلى متى هذا التصابى؟!

سِتّى!

كان البهاء زهير يكره أن يكون مخالفا للنحاة واللغويين، فإن ظهر في شعره شيء من هذا أوّله بما يتفق والأصول اللغوية! فيقول في التعبير بكلمة «سِتّى»:

بروحى من أسميها بـ «سِتّى» ... فتنظر لى النحاة بعين مَقْتِ!
يرون بأننى قد قلت لحنا ... وكيف وإننى لزهير وقتى؟
ولكن غادة ملكت جهاتى ... فلا لحن إذا ما قلت سِتى[3]

طوّل الله عَمْرَكم

ومن غزله الرقيق الذي يشبه النثر ويتجلى فيه ظرفه قوله:

إن شكا القلبُ هجركم ... مهد الحبُّ عذركم
لو رأيتم مَحَلكم ... من فؤادى لسَركم
قَصِّروا مدة الجفَا ... طوّل اللَّه عمْرَكم

(1) لا أطلب منك.
(2) الخراج: ضريبة الأرض.
(3) أي هى ملكت عليه كل جهاته الست: الشمال والجنوب. والشروق والغرب، وفوقه وتحته فهى ست جهاته. وقيل: إن أصلها سيدتى.

قالوا

وعندما تقدمت به السن غمزه بعضهم بما قد حل به من كبر وشيخوخة لا تتاسب ذلك الغزل! فقال:

قالو: كبرت عن الصّبا ... وقطعت تلك الناحيه!
فدع الصّبا لرجاله ... واخلع ثيابَ العاريه
ونعم كبرت، وإنما ... تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عِطْفَيَ أنـ ... ـفاسُ الشباب كما هيه
ويميل بي نحو الصّبا ... قلبٌ رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـ ... ـم بقية في الزاويه!

•• نموذج من نثر البهاء زهير بعد شعره!

رسالة صليبية وأخرى إسلامية!

بعث ملك الفرنجة بكتاب إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب ينذره فيها بالويل والبثور قبيل معركة دمياط، فعهد السلطان إلى البهاء زهير في كتابة الجواب ففعل!

وإليك رسلة ملك الفرنجة والرد عليها:

رسالة ملك الفرنجة

«.... أما بعد، فإنه لم يخْفَ عليك أنى أمين الأمة العيسوية، كما أنه لا يخفى علىّ أنك أمين على الأمة المحمدية!

وغير خاف عليك أن عندنا أهل «جزائر الأندلس» وما يحملونه إلينا من الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر! ونقتل الرجل، ونرمل النساء، ونستأثر بالبنات والصِّبيان، ونُخلى منهم الديار.

وأنا قد أبديت لك الكفاية، وبذلت لك النصيحة إلى الغاية والنهاية!

فلو حلفت لى بكل الأيمان، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان، لكنتُ واصلًا إليك، وقاتلك في أعز البقاع عليك!

فإما أن تكون البلاد لي هدية حصلت في يدى، وإما إن تكون البلاد لك والغلبة علىّ، وقاتلك في أعز البقاع عليك!

فإما أن تكون البلاد لي هدية حصلت في يدى، وإما أن تكون البلاد لك والغلبة علىّ، فيدك اليمنى ممتدة إلىّ!

وقد عرّفتك، وعرفتَ ما قلت لك، وحذّرتك من عساكر حضرت في طاعتى تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضاء!

رد السلطان وجوابه

وقد كتبه البهاء زهير:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك، ونحن أرباب السيوف، وما قُتل منا قِرْنٌ إلا جددناه، ولا بغى علينا باغٍ إلا دمرناه. فلو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفتّحنا منكم الحصون والسواحل، وتخريبنا ديار الأواخر منكم والأوائل، لكان لك أن تعضّ على أناملك بالندم!

ولابد أن تزل بك القدم، في يوم أوله لنا، وآخره عليك؛ فهنالك تسىء الظنون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: 227].

فإذا قرأت كتابى هذا فتكون منه على أول «سورة النحل»: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل :]

وتكون أيضا على آخر سورة ص ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص 88].

وتعود إلى قوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

وقول الحكماء: «إن الباغى له مصرع».

وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يقلبك، والسلام[1].

(1) هذا هو الكتاب الذي يرد فيه على لويس التاسع ملك فرنسا، حين عزم على التوجه إلى مصر وأخذها، فسار إليه السلطان الصالح نجم الدين ايوب من دمشق على محفة، ونزل (بأشموم طناح) في محرم سنة 647 هـ وأعد العدة للدفاع عن دمياط، وفي أواخر صفر وردت جيوش العدو، وبعث ملكهم إلى السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب الكتاب البهاء زهير الرد وكان قاضيا. وقد أنبأه زهير بمصيره، وكان ما أخبره به فقبض عليه وأسر في دار ابن لقمان بالمنصورة.

ابن سودون المصرى

أكبر زجّال في العصر المملوكىّ

كل من يطلع على «**مشعلقات**» حسين شفيق المصرى و «**مشهوراته**» التى عارض بها «**المعلقات**» من الشعر الجاهلى، و «**المشهورات**» من قصائد شعراء العرب بعد العصر الجاهلى يعود إلى ذلك «**الديوان**» الذي ألفه «**ابن سودون المصرى**» في العصر المملوكى الذي كان إماما ببعض المساجد، إلا أن «**روحه اللطيفة**» دفعته دفعا إلى لون مضحك من الشعر، اتخذ الهزل له منهجا فطار اسمه في الآفاق، وتنافس الظرفاء في الحصول على شعره الظريف، وتبادله وترداده في مجالسهم وندواتهم لا لهدف إلا الإضحاك والفكاهة!

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على طابع الفكاهة الذي اتسم به المصريون قديما وحديثا.

وأغلب ديوان «**ابن سودون**» من الشعر الشعبى بلفظ عامى، أما حسين شفيق فإنه يذكر شيئا. وينتقده ويسلط الأضواء على جوانب من المجتمع يريد لها إصلاح، ويعارض كبار الشعراء غير أنه يضع كلمة عامية إلى جانب أختها العربية.

هذا وتجرنا معايشة «**حسين شفيق المصرى**» في «**مشعلقاته ومشهوراته**» إلى العودة إلى «**العصر المملوكى**» لمعايشة عَلَم من أعلام الفكاهة في مصر، ألا وهو «**ابن سودون**» فتعال إليه، لنسعد معه كما سنسعد مع حسين شفيق المصرى.

شعراء الزجل في العصر المملوكى

الزجل نوع من الشعر تغلب عليه العامية، والجمع أزجال. وقد شاع هذا اللون من اشعر في العصر المملوكى، وأصبح معرضا من معارض الفكاهة وما تتضمنه من هزل!

ولعل السر في قربه إلى قلوب العامة أنه كان بلغتهم اليومية الدارجة... لغة الحياة اليومية.

وأكثر زجال هزلى في هذاالعصر هو: «ابن سودون» الذي ألف كتاب يجمع هزله كله سماه: «**نزهة النفوس ومضحك العبوس**».

لقد ضم هذا الديوان شعره كله الهزلى، وأضاف إليه طائفة من الحكايات والنوادر التى تضحك العبوس حقا.

وشعره كله يذهب مذهب الضحك والفكاهة.. إنه شخصية عجيبة في أدبنا المصرى.. كل شعره هزل، وفكاهة ودعابة!

شعره «**كغزل البنات**»[1] لا تكاد تذوق حلاوته في فمك حتى يذوب! إنه يعتمد في فكاهته على المفارقة المطقية.. يبدو جادا وكأنه يروى العجائب، فإذا بك أمام بديهيات مسلمات لا جديد فيها، إنه يذكرنى بذلك الشاعر الذي أيقظ النوام طالبا إليهم أن يهبوا لأمر خطير!

فإذا هو يسألهم: هو يقتل الرجلَ الحُبُّ؟! حيث يقول:

ألا أيـهـا الـنـوام ويـحـكـمُ هـبـوا
أسائلكم: هل يقتل الرجلَ الحبُّ؟!

ولا تلبث حين تسمعه أو تقرأ زجله أن تستغرق في الضحك من هولِ المفارقة!

وابن سودون هذا كان إمام ببعض المساجد في العصر المملوكى، واتخذ الشعر له منهجا في حياته فذاع صِيتُه، وتنافس الظرفاء ومن يلوذ بهم في تبادل زجله الذي يضحك العبوس!

فتعال إلى ابن سودون لتنزه نفسك مع لون من ألوان الفنون.

تعال إلى ما يثير العجب!!

عجب عجب!

عَجَبٌ عجبٌ هـذا عجبٌ بقرا تمشى ولها ذنب!
ولها فـي بُـزَيِّـزهـا[2] لبنٌ يبدو للناس إذا حلبوا

(1) لون من الحلوى متعدد الألوان يذوب في الفم يفرح به الأطفال وستهويهم.
(2) يُزَيّزها: تصغير «بِزّ»: ثدى.

من أعجب ما في مصر يُري الـ ـكـرمُ[1] يُـرَي فيه العِنَبُ
والـنـخـلُ يـري فـيـه بلح أيـضـا، ويـري فيه رُطـب
«أوسيم»[2] بها البِرسيمُ كذا في «الجيزة» قد زُرع القصب
والمركب مع ما قد وسَقَتْ[3] في «الجيزة» قد زرع القصب
والـنـاقـة لا مـنـقـار لها والـوزة ليس لها قتب[4]!
لابـد لـهـذا مـن سبب حَزّر، فَـزَّر[5]، ماذا السبب؟

وبعد.. فهل عرفت السبب؟ لقد قالوا: «إذا عرف السبب بطل العجب!!».

معارف دقيقة، ومعلومات تحتاج إلى كد الذهن!

مشاهدات في رحلاته!

إنه يشعرك بأنه يمدك بثروة من المعلومات، وما عليك إلا أن تشحذ ذهنك، وتعيره انتباهك.. وتستعد فإذا بك بعد أن تسمعه تقول كما قالت العرب: «**تمخض الجبل فولد فأرا**»!

أليس كذلك؟! إنه يقول محدثا عن العجائب في بلاد العجائب:

إذا ما لافتى في الناس بالعقل قد سما
تيقن أن الأرض مـن فوقها السما!
وأن السما من تحتها الأرض لم تزل
وبينهما أشـيـاءُ إن ظـهـرت تُـرى

• **في مصر:**

وكـم عـجـبٍ عـنـدى بمصرِ وغيرها
فمصر بها نيل على الطين قد جَرى!

(1) الكرْم: شجر العنب.
(2) إحدى مراكز الجيزَة.
(3) وسَقَت: حملت.
(4) القَتَب: الرَّحْل الصغير على قدر سنام البعير.
(5) يقال: حَزَر الشيء حزرا: قدره بالتخمين. فهو حازر، وفزر الشيء من الشيء: فرزه وفصله.

وفـــي نيلها مـــن نـــام بـالـلـيـل بلّه
وليس تبلُّ الشمسُ من نام في الضحى
بها الفجر قبل الشمس يظهر دائما
بها الظهر قبل العصر قيل بلا مِـرَا[1]

• في الشام:

وفـــي الـشـــام أقـــوام إذا مـــا رايتهم
تـــرى ظهر كـــلّ منهمُ وهْـــو مـــن ورا
بها الـبـدرُ حـال الغيم يَخْفى ضياءه
بها الشمس حال الصحوِ يبدو لها ضيا[2]
وتسخن فيها النار في الصيف دائما
ويـبـرد فيها الـمـاء فـي زمـن الشتا

• في الصين:

وفـــي الـصِّـيـن صينيّ إذا مـا طرقته
يَـطِـنّ[3] كصينيّ طرقت سَـوَا سَـوَا[4]
بها يضحك الإنـســان أوقـــات فرحه
ويبكى زمـــان الـحـزن فيها إذا ابتلى

• في الهند:

ومـــن قـد رأى فـي الهند شيئا بعينه
فـذاك لـه فـي الهند بالعين قـد رأى
وفـيـهـا رجـــال هـــم خـــلاف نسائهم
لأنـــه تـبـــدو بـأوجـهـهـم لِـحَـى
ومـــن قـد مشى وسـط النهار بطُرقها
تـــراه بها وسـط الـنـهـار وقـد مشى!

(1) بلا مراء: بلا شك ولا جدال.
(2) ضيا: ضياء.
(3) يطن: يحدث طنينا وصوتا.
(4) سوا سوا: مماثلا له.

• في الصعيد:

وعُشاق إقليم الصعيد[1] به رأوا
ثمارا كأثمار العراق لها نوى
به باسقات[2] النخل وهْى حواملٌ
باثمارها. قالوا: يحركها الهوى
وما عملتنى ذاك أمى ولا أبى
ولا امرأة قد زوجانى ولا حمَا

ألم أقل لك: إنه يعتمد دائما في فكاهته على الهزل والهذر وسرد البَدَهيات على شاكلة أدعياء المعرفة.. فلا فكر ولا منطق!

وأراك بعد أن ضحكت معه وعليه تقول: إنه جحا مصر في عصره!

وأقول: نعم ولكنه لم يكن يعتمد على النوادر والنكات كما كان يعتمد جحا.ز بل كان يعتمد على هذا الفن من الهزل الذي تألق فيه وفاق السُّها!

وتعال إلى رائعته اللامية التى يحدثنا فيها عن الظواهر الطبيعية!

وصف أوضح الأشياء في بله وسذاجة!

البحرُ بحرٌ، والنخيل نخيل
والفيل فيلٌ، والزراف طويلُ
والأرض أرض، والسماء خلافُها
والطير فيما بينهن يجولُ
وإذا تعاصفت الرياح بروضة
فالأرض تثْبُتُ والغصون تميل
والماء يمشى فوق رملٍ قاعدٍ
ويرى له مهما مشى سَيْلُول[3]

(1) جنوب وادى النيل.
(2) باسقات: عاليات.
(3) سيلول: سيلان وجرى.

إنه لم يأت بشيء غريب، أو بمعلومة جديدة، ولكنه أضحك على كل حال، وهذه مهمته التى وطن نفسه لها، وطُبع عليها، وأجادها!

إنه ابن سودون، وكفى به مضحكا وهازلا!

وأراك تقول: هل من مزيد؟ إذن تعالى إلى حفل زواجه!!

وصف حفل زواجه!

ويصف لنا «**ابن سودون**» حفل زواجه فيعمد إلى «**المفارقة**» حتى يستخرج ما يريد من هزل وفكاهة، ويصف لنا تلك الزوجة القبيحة التى أورثته الكآبة والغم، يصفها في تبالُه مثير للضحك فتعال إليه:

هو... وهى

حـلّ الـسـرور بـهـذا العقد مبتدرًا
ونـجـم طـالـعـه بـالـسـعـد قـد ظهر
والـفُـلّ، كلّل وجـه الأرض فانعطفت
أغـصـانُـه بـالـتـهـانـى تـنـثـر الـزهـرا
والطيرُ من فرحها في دَوْحها صَدَحت
بـكـل عـود عـلـيـه لا تـرى وتـرا
تـقـول فـي صَـدْحـهـا: دام الهنا أبـدا
على العرائس كى يقضوا بها الوطرا
وكـنـت عند زفـافـى قـد وصـلـت إلى
حَدّ الأَشُـدّ[1] وعقلى في الورى اشتهرا
فكنت أعـرف مـن عقلى وكثرته
أنـى إذا نمت مع ظهرى يكون ورا!

•عروسة:

هـذا، وعقل عروسى كـان أصغر من
عقلى، ولكن حَـوَتْ في عمرها كِبَرَا

(1) الأَشُدّ: بضم الشين: الاكتمال. يقال: بلغ أشده: اكتمل وبلغ قوته.

في السِّنِّ قد طَعنت[1]، ما ضَرّ لو طُعِنت
بالسِّنِّ من رُمْح أو سيف إذا بَتَرا
في وجْهها نَمَشٌ[2]، في أُذْنِها طرَشٌ
في عينها عمشٌ[3] للجَفْن قد سَتَرا
في بطنها بَعَجٌ[4]، في رجلها عَرَج
في كفها فَلَجٌ[5]، ما ضَرّ لو كُسِرَا
في ظهرها حَدَبٌ، في قلبها كدر
في عمرها نُوَبٌ كم قد رأت عِبَرا
يا حُسْنَ قامتها العَوْجَا إذا خطرت!
يوما وقد سبست في جيدها شعرا
تظل تهتف بى: «حسنا ظفرت بها!»[6]
أوّاه لو حاسها موت لها قبَرا

وبعد...

فلقد جمعت كل المعايب الجسمية التى تعاب بها حواء:

(من نمشن وعمش، وبعج، وعرج، وفلج، وحَدَب)

وتمر الأيام والسنون، وعلى الطريق نجد أبا الفضل الشناوى في ظرفه وسلاسته يخاطب زوجته على طريقته، وشتان ما بين ابن سودون وأبي الفضل الذي يقول:

قد ملأت القلب شطه بالهوى يا أم بطه
كان حبي لك مثل الفا ر إذ يَعشَق قطه
قد دعوت الخد وردا ودعوت الردف شنطه
قد هوينا وانتهينا والهوى العذرى ورطه

(1) طعنت في السن: شاخت وهرمت.
(2) النمَش: يقع على جلد الوجه تخالف لونه، وأكثر ما يكون في الشقر.
(3) العمش: ضعف البصر مع سيلان العين في أكثر الأوقات.
(4) بمج: بروز.
(5) القلج: تباعد ما بين الساقين، أو البدين، أو الأسنان والمراد: تباعد ما بين الأصابع.
(6) تظل تردد على مسامعه: لقد ظفرت بحسناء!!

إن تجودى بلقاء فلك دستة بسطه

وأراك تقول:

شتان بين ما قاله ابن سودون في القرن التاسع للهجرة في العصر المملوكى، وما قاله أبو الفضل الشناوى في العصر الحديث في القرن الرابع عشر الهجرى من شعره «الحلمنتيشى».

وقي كلّ طرافة، وفكاهة!

زوجة الشاعر!

وزوجة الشاعر لا تكاد تسلم من لسانه كما رأينا ابن سودون، وأبو الفضل الشناوى!

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن «**حسين شفيق**» المصرى الذي أرهقته زوجته بمطابها من الملابس وأدوات «**الماكياج**» في وقت لا تساعده فيه ظروفه المادية، ولا تساعده على الاستجابة إلى مطالبها يقول:

قالت: افستان في شهر وهذا
علىّ الثوب من عامين ذابا؟!
وهذا البالطو ألبسه زمانا
طويلا حتى شَعْر البالطو شابا!
يا ستى، يا روحى، يا عينى قولى لى:
أما تدرين أنا ناس غلابا؟!
ألبس أبوك غلبانا كحالى
وفي الأعياد ما أكل الكباب؟!
فلايميها يا ستِّى وارحمينى
من المصاريف أثقلْتِ الحسابا
عشان ماذا الزواق وقد كبرنا
وعَجّزنا. ولا.. ما احناش شبابا
كسفتينى.. فضحتينى.. ووَجْهى
من الكسفاتِ يلتهب التهابا

يـاريـتـنـى لـم أُفْـــكِ ده كـــان زفـتَـا
نـــهـــارك يـــوم مـــا كـتـبـوا الـكـتـابـا!

رثاء يجعلك تغرق في الضحك!

ماتت أمه فراح يستعرض أياديها عليه منذ ولادته إلى تربية أبنائه بعد أن زوَّجته وأنجب لها أحفادا.

ترى ماذا يقول في هذا الموقف؟!

لـمـوت أمـى أرى الأحـــزان تحنيني
فـطـالـمـا لـــجَّـســتْـنـــىَ تحنين
وطـالـمـا دَلَّـعَـتْـنـى حـــال ترييتي
خوفا على خـاطـرى كَـى لا تبكينى
أقول: «مَمْ. مَمْ» تجىء بالأكل تطعمنى
أقـــول «امـبـــو» تجىء بالماء تسقينى
إن صحْت في ليلة «وأ..وأ» لأسهرها
تقول: «هُـــو.. هُـو» بِهَزَكى تُنَنِّينى[1]
ورُبَّـــمـــا شكشكتنى حين أُغضبها
وبعد ذا كشكشتنى[2] كى تُرَضّينى
ومِ، فقيهى إن أهـــرُب ورام أبـى
مَـسْـكـى، ويعشى لـه كانت تُخَبّينى
وزغـرطـت في ظهورى فرحة وغدت
تـنـثُـر الـمِـلـحَ مـن قـــوى وتَـرْقـيـنـى
وفـي زواجـــى تصدت للجلاء عسى
عـلـى الـمـنـصـة تلقينى بتزيينى

(1) تقول لى:تَمْ نِنّه هو!
(2) تشكشكه بدبوس ونحوه على سبيل المداعبة، وتكشكشه: تدلله بهز وغير هز.

وريـــت أولادا أيـضـا مـثـل تربيتى
وبـعـد ذلـــك مـاتـت آهِ وانـيـنـى!
يعظم الـلـه فيها الأجـــر لـى وكـذا
لـي فـيّ مـن بعدها جـــودوا بآمين!

إنه لون جديد في الرثاء لم نره عند أحد قبله ولا بعده، لقد خرج عن مظهر الحشمة والوقار إلى الدعابة والهزل فبعد أربع وأربعين سنة يتحدث عن يتمه وذكرياته القديمة! ولا ينس ابن سودون طفولته، وما كان يردده في صغره من كلمات طفولية.. حتى بعد أن كبر.. ترى ما تلك الكلمات الحلوة التى لا يفتأ يرددها؟!

طائفة من لغة الأطفال

إنه يحدثنا عن صغره بعد أن كبر فيقول:

إنه يحدثنا عن صغره بعد أن كبر فيقول:
وصـــار لـمـنـتـهـى عـقـلـى ابـتـداء
بقيت أقـــول: نِـنُّـو. تُـــتْ. وتـاتـه
ودَحَـــو، كُـــخّ. واُمْـبُـو، مَـــمْ.آء

وأراك تقول:

هل من مزيد؟

وأقول: تعال إلى بعض حكاياته وطرفه ورسائله التى ضمها ديوانه: «**نزهة النفوس ومضحك العبوس**»

الشيء بالشيء يذكر

كما أضحكنا ابن سودون بالحديث عن زواجه، ورثاء أمه نجد الشاعر الجزار الذي أتى بعده ليحمل راية الفكاهة والإضحاك. نجده في دعاية مع أبيه، وكان قد تزوج في شيخوخته امرأة مسنة:

تـــــزوج الـشـيـخ أبـــى شـيـخـة
لـيـس لـهـا عـقـل ولا ذهـــن!

لـو بـرزت صـورتـهـا فـي الـدجـى
مـا جَـسَـرَتْ تـبـصـرهـا الـجـن
كـانـهـا فـي فـرشـهـا رمَّـةٌ
وشـعـرهـا مـن حـولـهـا قُـطْـنُ
وقـائـل قـال: سِـنُّـهـا؟
فـقـلـت: مـا فـي فـمـهـا سِـنُّ؟

من حكايات ابن سودون وطرفه ورسائله
نادرة يحكيها عن نفسه!

قال الزلابيانى:

كنت وأنا – صغير – بليدا لا أصيب في مقال، ولا أفهم ما يقال!

فلما نزل بى المشيب زوّجتنى أمى بامرأة كانت أبعد منى ذهنا إلا أنها أكبر منى سنا!

وما مضت مدة طويلة حتى ولدت، والتمست منى طعاما حارّا فتناولت الصحفة مكشوفة، ورجعت إلى المنزل آخذ غطاء الصحفة (المكبة) فنسيت المكبة!

وصرت كلما أخذت واحدة، نسيت الأخرى!

ولم أزل كذلك حتى غريت الشمس!

فقلت: لا أشترى لها شيئا في هذه الليلة، وأدعها تموت جوعا، ثم رجعت إليها، وإذا هى تئن، وإذا ولدها يستغيث جوعا!!

فتفكرت كيف أربيه، وتحيرت في ذلك! ثم خطر ببالى أن الحمامة إذا أفرخت وماتت، ذهبت زوجها والتقط الحَبّ! ثم يأتى، ويقذفه في فم ابنه، وتكون حياته بذلك!

فقلت: لا واللَّه لا أكون أعجز من الحَمام، ولا أدع ولدى يذوق كأس الحِمام[1].

(1) الحِمام – بكسر الحاء –: الموت.

ثم مضيت، وأتيته بلوز وجوز، فجعلته في فمى، ونفثته في فمه فرادى وأزواجا حتى امتلأ جوفه، وصار فمه لا يسع شيئا، وصار الجوز واللّوز يتناثران من أشداقه، فسررت بذلك وقلت:

لعله قد استراح!

ثم نظرت إليه، وإذا به هو قد مات!!

فحسدته على ذلك، وقلت: يابنى! إنه قد انحط سعد أمك.. وسعدك قد ارتفع، لأنها قد ماتت جوعا، وأنت مت شبعا، وتركتهما ميتين لآتيهما بالكفن! والحَنوط[1]، ولما رجعت لم أعرف طريق المنزل، وهأنا في طلبه إلى اليوم!!

خطاب كتبه على لسان أحد أبناء الصعيد[2] إلى أبويه في القاهرة

يقول الدكتور شوقى ضيف:

«.. والذي لا ريب فيه أن ابن سودون كان جعبة فكاهة، فأينما قلبت طرفك في ديوانه اندفعت تضحك، وقد تضحك ضحكا عاليا، واقرأ هذا الخطاب»:

أرسل فنين بن أبي المدارس إلى أهله كتابا من الصعيد يقول في عنوانه: «يصل إن شاء اللَّه تعالى إلى دربنا المحروس!

ويسلم ليد البيت، مطالعة الوالد».

وفي داخله: «السلام عليكم عدد ما في نخيل البلد من أوراق، وعدد أمواج البحر إن تكدر أوْ راق. سلام كثير لا يسعه طبق، ولا طبقان، ولا أطباق!

أطول من مِقْوَد زرافة، ولو كان طاق، أو طاقين، أو ثلاثة أطواق! من كل بُدّ وسبب..

(1) ما يوضع على الميت مما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسادهم خاصة من مسك، وصندل، وعنبر وكافور وغير ذلك.

(*) يطلق اسم الصعيد على جنوب مصر، كما يطلق على الشمال: دلتا النهر.

والذي أعرفكم به إن كنتو «لِسّع»[1] بالحياة أنى أرسلت لكم صحبة القاصد على جوز وِز، فَقْس الصيف، من ديك الوزة.

وأيضا خروف أبلق، وخروف بلا بلق.

أرسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل، وقلتوا لنا على طوله، وما قلتوا على عرضه!

وأرسلتم تطلبوا «كِشْك» وأنا إن أرسلته لكم من غير طبيخ فضيحة!

وإن طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد.

وطلبتوا «قُلَلًا».

والفلاحين مازرعوا إلا قرع طويل، فيكون ذلك في خاطركم.

بلغنى أن امرأتى «حِبلة» فلا تخلوها تولد حتى آجى!

وإن ولدت قبل ذلك لا يكون إلا صبى.

وجرت لى حكاية، وذلك أنى غسلت قميصى، ونشرته في السطوح، فقام بالأمر المقدور، ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت!

وارتجفت بسلامتى رجفة.

وعرفت أن ما هى بشارة خير، وأنها تدل على موت أمى وأَبُويَه،والحمد للّه كانوا فِدايه!

وإنى صليت، وصمت للّه تعالى اللى ما كنت في قمصى.

ولو كنت فيه كنت انكسرت!

فقلت: لا حوالينا ولا علينا.

ولكن من الجرفة وجعتنى عينى اللى تبقى ناحية المشد (ملتزم القرية المالى) عندما أخرج من دارنا.

والذي نعلم به الوالد زوج الوالدة أنى دخلت يوم البستان أنا والخولى، فرأيت فيه نخل، شِى طويل، وشِي قصير، وشي ما يشبه شي، فقلت له:

(1) أصلها «لِسَّه» كما ينطقها أهل الصعيد ويراد بها: للساعة، أي إلى هذه اللحظه.

ده إيه؟ قال: بلح، قلت: ودى؟ قال: نبق. قلت: ودى؟ قال: جميز، قلت: ودى؟ قال: مشمش، قلت: ودى؟ قال: توت.

ورأيت يابوى نخلة فيها كل ورقة قدر الصحفة! فقلت له: ودى؟ قال: موز، فعجبنى قوى!

وقلت له: الموز يطلع في البستان؟ فقال لى: أيوه.

فقلت له: والجُبن المقلى يطلع فين؟

قال: يطلع في طاجن الجَبّان.

وانت تعرف أن بيتنا على دكان الجَبّان، ونا كل يوم آجى وأطل من الطاقة، وعمرى ما رأيت في الدكان نخيل جبن مقلى!

وكابرت الخولى، وراهنتو من دجاجتى الرقادة لنعجتو الحبلة، فالواد يبصر لنا إن كان الخولى غلبنى؟!

والذي أعرفكم به كمان أنى لما طلعت البلد، ولقيت الصابون غالى بعث فرسى البيضة، واشتريت لي حمارة سودة حتى لا تتوسخ. بس كلام ؛ فإنى لو كتبت الذي في خاطرى كله كان الكتاب يجى من هون[1] لفين؟!

بعد السلام على أهل الحارة، كل واحد وحده كتير كتير.

بتاريخ صبيحة يوم الجمعة الحرام بعد صلاة التروايح من يوم عاشوراء السابع والثلاثين من جُمادى الأوسط سنة تاريخه.

وبالأمارة مطرت الأرض المطرة، وأهل البلد يعرفوا إن شاء اللّه».

---

(1) كما ينطقها أهل الشام وأصلها من هنا.

الفرق بين المركب والفرس

وعلى طريقة شيوخ عصره في حوارهم، وما كان يدور بينهم حول الفروق بين الأشياء راح يداعب بعض أصحابه من شيوخ عصره بحديث عن الفرق بين المَرْكب والفرس؛ وهو الشيخ، وشهد شاهد من أهلها، ولا ينبئك مثل خبير!

فيقول: «إن من عرف العلم بتحقيقه، وانعجنت فكرته بدقيقه، علم أن بين المَرْكب والفرس فروقا من كم وِشّ (وجه).

الفرق الأول: أن المركب أثقل من الفرس، بدليل أن الفرس إذا حملوها على فرس أخرى تقدر تحملها.

الفرق الثاني: أن المركب أكبر بدليل أن الفرس إذا وضعت رأسها عند رأس المركب لا يصل ذنبها إلى ذنب المركب!

وأيضا: فإن المركب ينام عليها الواحد بالطول والعرض، وإيش ما خطر له بخلاف الفرس.

وأيضا فإن المركب ينام على ظهرها واحد وشعرة وأكثر، وظهر الفرس ما هى كده!

وأيضا فلفظ فرس (ف ر س)، ولفظ مركب (م. ر. ك. ب) فمركب زائد بحرف، والزائد أكبر من الناقص.

الفرق الثالث: أن الفرس لها سمع وبصر، تسمع من صاحبها إيش ما قاله لها، وتبصر كيف تحط رجلها.

والمراكب ما هى كده.

الفرق الرابع: أن الفرس لها أربع قوائم تندار بهم إن خطر لها مِن هون لهون، والمراكب ما هى كده.

ولا يرد على هذا الصندوق والسرير، وإن كان يركب إلا أنه لا يركب للسفر، والكلام فيما يركب للسفر.

الفرق الخامس: أن بطن المركب مغرقة في الميه، وبطن الفرس مسيبة، إلى غير ذلك من الأفراق».

والآن جاء دورنا لنعيش مع فتوى له!

فتعالَ إليه لتستكمل بهجتك وسعادتك!

فأوقات السرور محدودة!

وحذار أن تقول مع ذلك الشاعر «النكدي»:

ياعينُ قد صار البكا لك عادة تبكين في فرحٍ وفي أحزانِ!

فتوى

ويستفتيه بعضهم في الدجاجة هل هى من البضة أوالعكس؟ فأفتاه على النحو الآتى مستخدما مصطلحات بعض شيوخ عصره:

لا نَقْل عندي[1] في هذه المسالة!

والأمران محتملان.

والأظهر: أن الدجاجة كانت أولا، ثم باضت، وحصل التناسل، ومما يؤيده: «**الحدوتة المشهورة**» وهى:

«أحدتك حدوتة، بالزيت ملتوته، كان ياما كان، في قديم الزمان، أولاد حمدان، يطلبوا نانا، والنانا في التنور، والتنور يريد له حطب، والحطب في الجبل، والجبل يريد له فاس، والفاس عند الحداد، والحداد يريد له بيضة، والبيضة في الدجاجة، والدجاجة تريد لها لقط[2]، واللقط في الحظيرة، والحظيرة تريد لها مفتاح، والمفتاح عند رباح، ما يجى من الساعة لشق الصباح».

وهنا أمسكت شهرزاد عن الكلام المباح لعل مزاجك يكون قد استراح!

(1) لا نقل عندى إلخ: أي ليس لديه دليل نقلى من كتاب أو سنة صحيحة.
(2) اللقط: الحب المنثور على الأرض تلقطه الدجاجة.

الشعار المغربى المراكش
محمد بن إبراهيم
شاعر الحمراء

قال الراوى..

ذات ليلة دار الحديث حول الشاعر المراكشى «محمد بن إبراهيم» «شاعر الحمراء»، وذلك الثقيل الذي لازمه كظله؛ فقال فيه أكثر من مقطوعة تدل على خفة الروح، وحضور البديهة!

وقال أحدنا: لو جمعتم ما قيل في الثقلاء، وما قاله «شاعر الحمراء» لتضاءل كل شعر أمام شعره!

آه لو سمعتم ما قاله في صاحبه «المفضّل» الذي كان جاسوسا يلاحقه أنَّى ذهب، ويتابع أخباره لعددتموه في زمرة الشعراء الظرفاء الذين وقع عليهم الاختيار! وقال آخر: تراثنا العبى زاخر بالسخرية من الثقلاء ويحضرنى ما ذكره أبو هلال العشكرى في ديوان المعانى حيث قال:

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل:

وثقيل أشدّ من غُصَصِ المو
ت، ومن زَفْرة العذاب الأليم
لو عَصَتْ الجحيمُ لما كا
ن سواه عقوبةٌ للجحيم

وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار:

ربما يثقلُ الجليس وإن كا
ن خفيفا في كِفّة الميزان
ولقد قلت حين طل على القو
م ثقيلٌ أرْيَى على ثهلان[1]

(1) أربى: زاد، وثهلان جبل في الجزيرة العربية.

كيف لم تحمل الأمانةَ أرضٌ
حَمَلت فوقَها أبا عمران؟!

وأخذه ابن الرومى فقال:

يا ثقيلا على القلوب خفيفا
في الموازين دون وزن النقير[1]
طِرْخفيفا، وقَعْ مقيتًا فطورًا
كسفاةٍ، وتارة كثَبير[2]

وهنا قال أحد المجتمعين:

تُرى هل يرقى «محمد بن إبراهيم» شاعر الحمراء إلى هذا المستوى، وتلك الدعابة الرائعة؟!

وانبرى له أحدنا قائلا:

أزعم أن أظرف شعراء العربية في القرن العشرين هو الشاعر المغربى المراكشى الراحل «محمد بن إبراهيم» شاعر الحمراء! وكيف لا وقد كانت له زيارات لمصر في الثلاثينيات فشرب من نيلها، ونعم بجوها، وعاشر أهلها!

وكان هناك أحد الثقلاء يتابعه ويلاحقه حتى ضاق به ذرعا، وأفرد له جانبا كبيرا من شعره الساخر!

ومن عجب أن هذا الثقيل اسمه: «مفضل» وقد ضاق به ذرعا كما ضاق البهاء زهير بالثقلاء!

وهنا قال الرواوى:

وللشاعر «محمد بن إبراهيم» شارع الحمراء أبيات قالها في التشنيع والتنكيت على موظف من أصل أجنبى، ثقيل الدم، شريع الكلام، يخلط العربية بالفرنسية والتركية، كان يتابع الشاعر في رحلته إلى مصر ليتجسس عليه لحساب الإنجليز، وعن سرعة كلامه يقول:

(1) كناية عن تفاهته وصغر شأنه، والنقير في النواة معروف.
(2) ثبير: جبل.

(مُـفـضّـل) مُـسْـتـعـجِـلٌ ... فـي الـحـكـمِ والـكـلام

يـقـول فـي دقـيـقـة ... مـا قـلـتـه فـي عـام!

كـأنـمـا يـعـيـش فـي ... ضـيـق وفـي زحـام

لـكـن مـا يـقـولـه ... أقـوى مـن الأوهـام

كـأنـمـا كـلامـه ... نَـفْـخ عـلـى الأنـام

لا تـعـجـبـوا فجسمه ... زمـر[1] بـلا لـجـام

كـقـريـة مـنـفـوخـة ... تُـداس بـالأقـدام!

أثقل خلق الله ظلا ودما

ذات يوم حاول «مفضل» أن يجمع على مائدة له بعض الشعراء والعلماء ليكتسب منزلة بين الوجها!

ولم يكن بد من أن يقبل «شاعر الحمراء» تلك الدعوة بعد ملاحقة منه للشاعر، ولكنه خرج يتملكه الغيظ من «مفضل» فقال فيه:

أراد أن يـحـظَـى مـفـضـلُ بما
يـرفـع راسـه أمـام الـعُـلَـمـا
فـجـمـع الـنـاس عـلـى مـأدُبـةِ
وصـار يـفـخـر بـمـا تـعـلَّـمـا!
فـقـرر الـمـجـتـمـعـون أنـه
أثـقـل خـلـق الـلـه ظِـلا ودمـا!!

(1) الزمر: صوت بالمزمار.

أستاذ كرسى الجهالة!

كان «مفضل» يدعى العلم، ومعرفة كل اللغات، ويحب الشهرة، ولا يفتأ يتجسس على شاعرنا.. وكان شارعنا يهجوه، ولا هدف له إلا النكتة، والفكاهة، والإضحاك، والإمتاع!

قال يذكر جهلة:

«مفضل» طلبوا منـ ـه أن يَخُطّ مقاله
فلم يجبهم! فقالوا: «باللّه اكتب رسالهْ!»
فلم يجبهم! فقالوا: «اقرأ علينا حِواله!»
وحين لم يُدْر قالوا: «تبّا له لا أبالهْ[1]!»
وعندها عينوه أستاذ كرسى الجهالهْ

دمه أثقلُ من الرَّصاص

قال الرواو: كان شاعر الحمراء كثير التحمل والصبر اللهم إلا «ثقل دم مفضل»!

لقد كان يضيق به ذرعا!

والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف!

ولم يكن بين روحيهما تعارف!

أتى مُحَلِّل دمِ مفضل
فشكه بالمحِقن المَصّاص
فانكسر المحقن في عروقه
فدمُه أثقل من الرَّصاص!

وظله ثقيل!

وفي ذلك يقول شاعر الحمراء:

لو أن ظله على
رأس مُصَارع سقط

(1) دعاء عليه!

لَـــسَـــحَـــق الـــــــرأسَ
فـظـلُّـه «كـــوابـــور الـــزلـــط!»

فياويل المصارعين من ظله!

وإلى هذا الحد كان ثقيل الظل في رأى شاعر الحمراء؟!

هنيئا له بحرفته المواتيةَ!

ترى ما تلك الحرفة المناسبة لهذا الثقيل المدعى؟!

في قصة حوارية يحكى شاعر الحمراء ما دار بينهما مهنئا له بتلك الحرفة المناسة في خمسة أبيات قائلا:

وجـــدتـــه مُـنْـبـطـحـا ببـاب بـعـض الأبـنـيـهْ!
فـقـلـت: مـا تـفـعـل؟ قا ل: خـدمـتـي هـذي هِـيَـهْ
قـلـت: مـا هـــي؟ فقا ل: أن أكـون زِرْبِـيَـهْ[1]
يـمـسـحُ فـيّ الـداخـلـو ن لـلـمـكـانِ الأَحـذيـهْ
قـلـت: هنيئا قـد وجـد ت الـحـرفـة الـمـواتـيـهْ

ما وجه نفعه؟!

ولا يكف شاعر الحمراء عن مفضل جزاء وفاقا لما كان به من فضول وصفاقة وادعاء!، وخواء وجهالة!

ومهما قال «شاعر الحمراء» في مفضل فهو قليل عليه!

إنه يصفه بما هو أهل له فيقول:

مَـفَـضّـل بـالـرغـم مـن خَـــواه[2]
وجـهـلـه يـنـفـع مَـــن ســواه
فـكـم مـن الأولاد فـي حـارتـه

(1) الزِّربَية: الوسادة تبسط للجلوس عليها، ويشبه بها ما يوضع أمام الأبواب ليمسح الداخلون الأحذية بها. (مساحة) و (دواسة).
(2) خواه: خلوه من الفضائل والميزات.. والمراد: جهله.

تعلموا الصفع على قفاه!

تُرى هل كان «مفضل» أهلا لكل هذا؟

من زربية.. إلى صفع على القفا!!

لعله كان يستحق هذا وأكثر! وشاعر الحمراء به أعلم، وما بقى كان أعظم!!

وقد قال الشاعر:

لا تمدحنّ امرأ حتى تجربه

ولا تذمنّه من غير تجريب!

احتجاج الحمير!

واحتجّت الحمير ذات يوم!!

تُرى.. لماذا احتجت؟

وهل كان لهذا الاحتجاج علاقة بمفضل؟

دارت بذهن «شاعر الحمراء» أسئلة كثيرة حول ذلك الدعى فقال:

لماذا غيَّر الشاعر رايه؟

يصف الناس الحمار بالبلادة، وكان الشاعر يظن ذلك مثلهم!

ولكنه بعد أن تعامل مع «مفضل» غير رأيه وقال بيتا يتيما هو:

ظننت الحمار بليدا فلما

عرفت مفضَّلا غيرت رأيى!

سرعته في الكلام

حار الشاعر في أمر «مفضل»، وسرعته في الكلام، فكلام مثله غير مفهوم، وكثيرا ما كانت سرعته في الكلام تثيرعجب شاعرنا فقال:

عجبت لسرعته في الكلام

وما ليس يفهم من ثرثره!

إلـــى أن عـــرفـــت مـــن الـعـلـمـاء
وأهـــل الـــحِـــجَـــى[1] أنـــه حـشـرةْ!

آخر زيارة له

ويأبى شاعرنا إلا أن يسجل آخر زيارة له حين فاض الكيل، وبلغت الروح التراقى من شدة الضيق!

فقال:

ويـــــوم عـــجـــن جسمه لـــكـــى يـــصـــيـــر بـــشـــرا
لم يجدوا في السوق مد ـــحـا يـشـتـرى أو سكرا
فـــجـــاء لا طـــعـــم لـه كـقـطـعـة مـــن (...)

وهنا سكت الراوى ولم يتم البيت!

فقال سامعوه: أتم ما بدأت!

ولكنه رفض ضاحكا، وقال:

أكملوه من رءوسكم فكلكُم شعراء!

لماذا خرج الشاعر عن عاده المفضلة؟!

كان شاعر الحمراء حلو اللسان، لطيف المعاشرة، ولكن «مفضلا» أخرجه عن عادته فراح يعتذر عن هجاء مثله قائلا:

أخـــرجـــنـــي مـفـضـل عـــن عـــادتـــي المفضلهْ
قـد كنت أهـجـو النابهيـ ـــن مـــن عُـــتـــاةِ الجهله
مـثـل أبـــي جـهـل وجـيـ ـــش المشركين السّفلَه
فـصـرت أهـجـو تـافـهـا نـــكـــرةّ لا وزن لـــه!

والظاهر أن الشعراء موعودون بالثقلاء يقول الجارم في ثقيل:

تـــبـــا لـــــه مـــــن ثـقـيـل
دمَـــــا وروحـــــــا وطـيـنـه

(1) الحِجى: العقل.

لـــو كـــان مـــن قـــوم نـــوح
لـــمـــا ركـــبـــت الـــســـفـــيـــنـــهْ!

• ويقول الشاعر على الجندى:

ثقيل عـلـى أرواحـنـا ثـقـل الحجر
نُـلَـقّـبـه مـن شـؤمـه زحـــل[1] البشر
تَـغِـيـبُ بـشـاشـاتُ المنى بحضوره
وتهجر أحـــزان الـنـفـوس إذا هجر
كـــان ثـلـوج الـقـطـب حـشـو ثيابه
فـإن هـو وافـى كـاد يقتلنا الخَصر[2]
وأبـشـع مـن ضحك الـقـرود حديثه
وأقـبـح مـن فـقـر ألـــمّ عـلـى الـكِـبَـر
يـمـن عـلـى جـلاسـه بـجـلـوسـه
وأمـتـع مـنـه أن تـجـالـسـك البقر
فـيـاربّ لا تُـدخـل جـنـانـك مثله
فـيـهـرُبَ منه الصالحون إلـى سقر!

أهجى ما قالته العرب في العصر الحديث

قال الراوى:

وأهجى ما قالته العرب في العصر الحديث بيتان من الشعر قالهما محمد بن إبراهيم شارع الحمراء في «مفضل»:

لـــو قـــطـــرة مـــن دمـــه
ســـالـــت فـــي مـــاء الـنـيـل
لـــثـــقـــلـــت دمـــــاء أهـــ
ـــل مـــصـــر ألـــف جـيـل!

(1) زحل: كوكب سيار ينسب إليه النحس.
(2) الخصر: البرد.

فحمد للّه وشكرا لتظل مصر معروفة بخفة الروح، وحلو الحديث وجمال الفكاهة!

ويذكرنا هجاء شاعر الحمراء بالهجاء القديم فقد قالوا:

أهجى بيت قالته العرب قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبًا بلغت ولا كلابا[1]

حين سمعه بنو نمير قال قائلهم:

والله لوددنا أننا افتديناه بأموالنا!

وقالوا أهجى بيت:

تبيتون في المشتى مِلاءَ بطونكم
وجاراتكم غَرثى يبتن خمائصا[2]

إلى مفضل:

كان البهاء زهير يكره الثقلاء وينفر منهم، وكأنى به يقف إلى جانب شاعر الحمراء في مواجهة صديقه «مفضل» فيقول له:

أرِحنى منك حتى لا
أرى منظرك الوعرا!
فقد صرت أرى بُعدَ
لَ عنى الراحة الكبرى
فما تنفع في الدينا
ولا تنفع في الأخرى!

رحم الله شاعر الحمراء!

ورحم اللّه البهاء زهيرا!

وجزى اللّه عنا كل الظرفاء خيرا بقدر ما أسعدونا في حياتهم وبعد مماتهم!

(1) كعب وكلاب قبيلتان.

(2) غرثى: جائعات. خمائص: طاويات البطون. فهل هذا رجولة؟!

حسين شفيق المصرى

صاحب المشعلقات والمشهورات

كان «حسن شفيق المصرى» علاَمة بارزة على طريق الفكاهة امتدادا لـ «سيبويه المصرى».. و «ابن مَمّاتى» صاحب «الفاشوش في حكم قراقوش».. و «ابن سودون» الذي أضحك الناس أيام المماليك.. و «البهاء زهير» في عهد الأيوبيين و «النديم» وكل من سبقوه في عالم الفكاهة!!

إنه الفنان الذكى صاحب «الشعر الحلمنتيش» بمشعلقاته ومشهوراته وهو الفنان الذي أخرج الفكاهة من دائرة الشخصيات إلى المسائل العامة!

ولقد أضحك قراء العربية أربعين عاما مجددا في أسلوب السخرية. وأطلق مئات النكات!، وملأ الجو ابتهاجا وسرورا.

وكان من أبرز فنونه معارضة الشعر القديم بشعر فكاهى فيأتى بالبيت الأول من قصيدة مشهورة، وينقل اتجاهها الجاد إلى السخرية، فغطى بها على «معلقات العصر الجالهى» وما بعده من عصور الأدب حتى العصر الحديث!

رحمه الله! لقد كان أبرع من استخدم النكتة كسلاح، وأعظم من عالجها كفن!

فكان ولم يزل علامة على طريق الفكاهة والسخرية، والنقد الهادف على طريقته!

من هنا كانت البداية

كنا ندرس الأدب العربى في عصوره المختلفة، ولشد ما كانت دهشتنا حين ندرس قصيدة من القصائد أن نجد زميلا لنا- لا عهد لنا بشاعريته من قبل - يفاجئنا بأبيات على وزن القصيدة التى درسناها، ولكنها تتناول أمور الحياة ونقدها بأسلوب ساخر هو مزيج من العربية والعامية!

وكنا نشعر بسرور غامر، وبهجة تزيل عنا أعباء الدراسة، وشقاء الحياة!

ولكن «الغيرة» كانت تتملكنا جميعا لعدم قدرتنا على مجاراته والإتيان بمثل ما كان يردده من نقد ساخر لمشكلات المجتمع!

وكانت لبعضنا محاولات لمجاراته في هذا الميدان، لكنها لم تكن ترقى إلى مستواه! وعرضنا شعره على أحد أساتذنا فكشف لنا «السر»!

وعرفنا منذ ذلك اليوم أن هناك «مشعلقات» عارض بها حسين شفيق المصرى «المعلقات»، وأن هناك «مشهورات» عارض بها القصائد المهشورة في الأدب العربى بعد العصر الجاهلى.

ومن يومها و «شفيق المصرى» بهجة مجالسنا، وبسمة شفاهنا، والمروّح عن أنفسنا .. فتعال إليه! في «مشعلقاته» و «مشهوراته».

دكان زينب

في أواخر «العشرينيات»، وأوائل «الثلاثينيات» من القرن العشرين كانت هناك مجلة تصدر عن «دار الهلال» تسمى «الفكاهة».

كانت تنشر شعرا اختلطت فيه العامية بالعربية الفصحى من نظم الشاعر الراحل: «حسين شفيق المصرى» أحد أعلام الفكاهة والأدب في ذلك الوقت.

ونظرا إلى أن شعارنا لم تسعفه أشعاره الجادّة في طلب الرزق فقد ابتكر فن «الشعر الحلمنتيشى»!

وأساسه أن يأتى في بداية قصيدته الهزلية بمطلع قصيدة قديمة من أجود الشعر، ثم ينسج على منوال مطلعها شعرا فكاهيا، فكان عمله هذا أشبه بالمعارضة للقصائد القديمة.

وإذا كان العرب قد سموا ما اختاروه من قصائد العصر الجاهلى: «المعلقات» سبعا كانت أو عشرا، فإن حسين شفيق سمى معارضاته لها «المشعلقات».

وإليك نماذج لمشعلقاته..

الشاعر طرفة بن العبد الجاهلى يبدأ معلقته بقوله:

لـخَـوْلـةَ أطـــلالٌ بـبُـرْقـةِ ثَـهْـمَـدِ
تلوح كباقى الوَشْم في ظاهرِ اليد[1]

فيقول: حسين شفيق المصرى في قصيدة هزلية:

لـزيـنـب دكـــان بـــحـــارة منجد
تـلـوح بـهـا أقـفـاص عـيـش مُـقَـدّدِ

وعلى نهج هذه المعلقة يقول في قصيدة أخرى:

وقـوفـا بـهـا صحبى عـلـى ترامهم
يقولون: لا تركب إلى الموت واقعد
أرى وقعتى تحت الـتـرام تُميتنى
ولـيـس طبيب مـن هـلاكـى بمنجدى
ولـيـس وقـوعـى عـن حـمـارٍ بقاتلى
وأصـعـبـه كـسـر بـرجـلـى أو يـدى
أتـذكـر أيـــام الـحـمـيـرِ وفـسـحـةً
إلـى عزبة الزيتون بعد المحمدى[2]

ويتناول البخلاء وأصحاب الأموال الذين يضنون بها على الوطن قائلا:

وفـي الحى شيخ أبيض الشعر واقف
يـجـول بـعـيـنـى حـائـر مـتـردد
ويُحصى مـن الأمـــوال مـا هـو جامع
ويـتـركـه بـعـد الـهـلاك الـمـؤكـد
ومـــن كـــان بـــه لـلـبـلاد مـنـافـع
ولـــو كـــان زيـــالا فـذلـك سَـيِّـدى

(1) طرفة بن العبد: أحد أصحاب المعلقات: ومعلقته دالية (تنتهى بالدال) وهى أطول المعلقات السبع أو العشر، وتقع في مسة ومائة بيت.
وخولة: امرأة من قبيلة كلب. والطلل: ما بقى من آثار الديار. والبرقة: مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى، ثهمد: موضع. تلوح: تلمع. والوشم: غرز ظاهر اليد وغيره بالإبرة وحشو المغارز بلون مّأ. يقول: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من ثهمد، فتلمع تلك الأطلال كما يلمع الوشم في اليد.
(2) عزبة الزيتون والمحمدى مكانان بضواحى القاهرة.

وما الماء كالشربات إن كانت شاريا
ومـا لقمة الـقـاضـى كخبز مـقـدد!

ويتناول بعض القضايا ويسلط عليها الأضواء في معارضة أخرى ولكن لمعلقة زهير بن أبي سُلمى التى مطلعها:

أمـن أم أوفـى دِمـنـة لـم تَـكَـلَّـم
بـحـوَمـانـة الـدراج فـالـمـتَـثَـلّـم[1]
ويُحصى مـن الأمـوال مـا هـو جامع
ويـتـركـه بـعـد الـهـلاك الـمـؤكـد
ومـن كـان بـه لـلـبـلاد مـنـافـع
ولـو كـان زبـالا فـذلـك سَـيِّـدى
وما الماء كالشربات إن كنت شاريا
ومـا لقمة الـقـاضـى كخبز مـقـدد!

ويتناول بعض القضايا ويسلط عليها الأضواء في معارضة أخرى ولكن لمعلقة زهير بن أبي سُلمى التى مطلعها:

أمـن أم أوفـى دِمـنـة لـم تَـكَـلَّـم
بـحـوَمـانـة الـدراج فـالـمـتَـثَـلّـم[2]

فيقول حسين شفيق:

ودارٍ لـهـا فـي «بـيـرجُـوان» كأنها
وقـد هـدمـت بـالأمـس لـم تـهـدم!
ومن يجعل (الفوزيت) نصف جنيهة
فـذاك طبيب فـي الفلوس جهنم[3]

(1) الدَّمنة: ما بقى من أثر الديار وأسود بالبعر والرماد وغيرهما. وحومانة الدراج والمتثلم: موضعان. وأم أوفى محبوبته. يقول: أمن منازلها دمنة لا تجيب؟!
(2) الدِّمنة: ما بقى من أثر الديار وأسود بالبعر والرماد وغيرهما. وحومانة الدراج والمتثلم: موضعان. وأم أوفى محبوبته. يقول: أمن منازلها دمنة لا تجيب؟!
(3) كان نصف الجنيه آنئذ شيئا مذكورا.

ومـن خـاف كمسارى الـتـرام يدوسه
ولــو رام أسـبـاب الـسـمـاء بُسلّم
ومن يمشِ في «درب الجماميز» ساهيا
تَـدُسْـه «أتـمـبـيـلاتـه» ويُـخـرشـم
ومن سار «تحت الربع» يشمم فسيخه
ويـقـرفـه بـيـاع الفسيخ فـيـنـدم[1]!

ويعالج ما كان من إهمال الأحياء الشعبية التى تسمى بالوطنية فيقول:

وأحـيـاء مـصـر إن تـكـن وطنية
تجد وحـلـةَ فيها مـن الـرجـل للفم
وكـدت بـبـاب الـخـلـق أغـرق مـرة
فـسـر فـي طـريـق الأزبـكـيـة تسلم

❊ ❊ ❊ ❊

وفي معارضة أخرى لقصيدة زهير يحدثنا حسين شفيق عن «أم فتحى» وزواج الغش!

وشتان بين «أم أوفى» صاحبة زهير، و «أم فتحى» صاحبة حُسَين، إنه يقول:

أمِـنْ «أم فـتـحـى» سِـنَـة لـم تـطـرّم
بطرطوفة الـكـربـاج تطلع بـالـدم؟!
وجرجرتها مـن بعد عشرينَ رفْـسَـةَ
ولـولا لحقنى الناس كانت «حاتُعدم»
وأصـبـح يجرى نحونا مـن صُراخها
خـلائـق جـاءوا بالبوليس المبلّم
وهـددنـى الـضـابـط بحكم غـرامـة
إذا أنـا لـم أسـكـت فـلـم اتكلم

(1) «درب الجماميز» و «بيرجوان» من أحياء القاهرة القديمة، وكذلك «تحت الربع».

ومالعيش إلا ما سمعتم وشفتموا
اسفخص على هذا الزواج المسخم
رأيت زواج الغش لا خيرَ بعده
وأن الفتى بعد الجوازة يندم
ومن يخطب النسوان من غير وَأْمِهِ[1]
يكسعم، ومن لا يتقى البلف بتعمى
ومن لّم يفتش عن حريم بتختشى
يبهدل بتشليق، ويضرب ويشتم
زعيق الفتى نصف، ونصف خناقه
فلم يبق إلا صورة الحكم فاغرم!

❊ ❊ ❊ ❊

وينتقل من معارضة «زهير بن أبى سُلمى» إلى معارضة «امرئ القيس» في «مشعلقة» جديدة!

فبينما يبدأ امرؤ القيس معلقته بقوله:

قِفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسسقط اللَّوى بين الدّخول فحومل[2]

إذا بأبى نُواس الجديد يتمّ ما بدأ به امرؤ القيس قائلا:

فشُبرةُ فالبرّاد[3] لم يعف رسمُها
لمن هو فيها من تهامى وفرغلى

(1) وَأمه: طبقته المناسبة له.
(2) نلاحظ حتى الآن أنهم يبدءون معلقاتهم بالوقوف على الأطلال. قفا: خاطب صاحبيه، أو هو من مخاطبة الواحد بخطاب الاثنين.
والسقط: منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه. واللوى رمل يموج ويلتوى. والدَّخول وحومل: موضعان.
(3) شبرا والبراد: شارعان في حى شبرا من القاهرة الكبرى.

يبيعان مَشوىّ الطِّحالِ وتارةَ
يبيعان ممبارًا فخذ منه وَأْكُلِ
كدأبِك من «أم الفلافل» قبله
وجارتها «أم الخلول» يا شيخ على
مطاعمُها ميكروباتها تلد العَمَى
لعين كثير الأكل والمتقلّل

ثم يقول:

أدكتورُ مهلا بعض هذا التدلل
وإن كنت قد أزمعتَ قتلى فاقتل
أغركَ منى أن جيبىَ فارغ
وأنك مهما تقفل الباب أدخل؟!

ويتحدث عن «القمار» وعاقبته قائلا:

ألا إن في القِمار لفتية
يَخُشُّون في لعب بمال متلتل
فيصبح أغنى القوم غلبان حافيا
رثيث ثياب بعدما كان فُلَّلِ
فمن مبلغ عنى الحكمدار ساعة
تلف حواليه عساه يرق لى
لقد كنت ذا عز وكنت منعما
ومن جا يقامر مرة يتبهدل
يعاجلْه فقر يدق دماغه
كجلمود صخر خطه السيلُ من عَلِ[1]

(1) وفي هذا عبرة لمن يعتبر! وقد قالوا

أعرف الشر لا للشَّر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

مع عمرو بن أم كلثوم

ولا يفتأ حُسَيْن شفيق ينتقل من معارضة معلقة لشاعر إلى معلقة شاعر آخر فها هو ذا «عمرو بن أم كلثوم» يقول في معلقته:

ألا هُبّي بصحنك فاصبحينا
ولا تُبقي خمورَ الأندرينا

ويُنَفّر الشاربين منها حسين شفيق مكملا ومعارضا:

مشعوطةَ كان السُّمَ فيها
إذا ما الماء خالطها عمينا

ويسلط الضوء على الخفراء وإهمالهم في وابجهم فيقول:

ودارٍ قد سكنت بباب خلق
وأخرى في الموارى وعابدينا[1]
وكان لنا بحارتنا غفير
ينام ونحن طرا صاحيونا
وشاويش يغيب إذا اعتركنا
ويحض بعدما نتصالحونا
ألا سائل لصوص القطرعنا
يجيبكم لهون كيف وجدتمونا؟
يقولوا: إننا ناس غلابى
دهانا الدائنون ونفّضونا
وأنا نلبس الجزمات صُفرا
ونقلعهن سودا قد بلينا

❊ ❊ ❊ ❊

ويحلو له أن يعارض هذا المعلقة بمشعلقة أخرى مخاطبا فيها زوجته: «أم رمزى» قائلا:

(1) باب الخلق، والموارى، وعابدين من أحياء القاهرة.

ألا غـــورى بـــوشـــك فـاقـيـنـا
ولا تـبـقـى الـعـــزال فـتـرجـعـيـنـا!
«مُـسَـلْـوَعَـةَ» كـأن «الـبـــودرة» فيها
إذا مـا الـمـــاء خـالـطـهـا عجينا
تَـدَلّـع فـي ابـنـهـا وتـقـــول: توتو
ولـسـت أحـــب مـــن يـتـدلـعـونـا
تـلِـفْـتِ الـــــوادَ مـنـا أمّ رمـــزى
وكـــان الـــواد مـتـبـوهـا فطينا
ومـــا شـــر الـثـلاثـة أم رمـــزى
بـعـيّـلـك الـــذي لا تشخطينا
وقـد عَـلِـمَـتْ بـيـوت فـي حارتنا
وكـــل جـيـرانـنـا يـتـحـدثـونـا
بـأنـا الـــزاعـــلـــون إذا رقـدنـا
وأنـــا الـــزاعـــقـــون إذا صحينا!
وأن غـــدا وأن الـيـــوم طـرد
وبـعـد غـد بـنـا تـتـمـحـكـيـنـا!!

ولا ينسى «عنترة بن شداد» ومعلقته التى يقول في مطلعها:

هـل غـادر الـشـعـراءُ مـن مـتـردّم
أم هل عرفت الـدار بعد تـوهـم[1]؟!

ويعارضها بقصيدة طويلة يتحدث فيها عن «رفع الإيجار» و «الكادر» فيقول:

رفـعـوا إجـــارات الـبـيـوت فـزفّـتـوا
عَـيْـشَ الموظف والفتى المستخدَم
نـصـف الـمـاهـيـة لـلإيـجـار وعيشنا
حـجـر، وذاك غموسنا كالمرهم

(1) عنترة أحد فرسان العرب، والمتردم: الموضع الذي يستصلح لما اعتراه من وهن. يقول: هل ترك الشعراء موضعا في حاجة إلى إصلاح إلا وأصلحوه.

ولـقـد رأيــت (الـكــادر) بعد عشيةٍ
فـقـضـيـتـه لـيـلا كـلـيـل الـمَـيْـتَـم
مـن أيــن أصــرف ع الـعـيـال وبنتنا
بِــدّى أجـهـزهـا يـا أمـا الـهـيـتـم؟!
كيف السبيل إلـى الموبيليات التى
تُرضى عريسَ البنت وهـو جهنمى؟!
وإذا شـكــوت فـإنـنـى مـتـوبـخ
مـالـى وعــرض فـي فـم المتكلم!
وإذا سكت فما أطـيـق مـن الأسـى
وكـمـا علمت مصايبى وتلطمى!!

ويعارض هذه المعلقة بقصيدة أخرى يسلط فيها الضوء على أحد الثقلاء الفضوليين فيقول:

كيف الـخـلاص وقـد تـربّـع هـا هنا
مـن ساعتين ولـم يقم؟ يـا أخـى قُـمِ
جَـثْـلـوا اثـنـتـان وأربـعـون عُـزومـةَ
ابــن الــتــى، وكــأنــه لــم يُـعــزَم
ورأى الـطـعـام هـنـا فليس بـبـارح
غــردًا كـفـعـل الــشــارب المترنم
طَــرِيــا يـحـك سـنـانـه بـسـنـانـه
وكــأنــنــى سـبــابــة الــمــتــنــدم
ولـقـد أكـلـت مـن الـسـلاطـة بعدما
لهط الغموس، وكـاد يشرب من دمى!
ولـقـد خشيت بـأن أمــوت ولـم يقم
إيـه العمل يـانـاس؟ في ابـن المجرم!

❊ ❊ ❊ ❊

ولا ينسى «الحارث بن حِلِّزة» ومطلع معلقته التى يقول فيها:

آذنتنا ببينها أسماء
رُبَ ثاوٍ يُمَلَ منه الثواء[1]

فيقول معارضا مسلطا الضوء على سوء المواصلات فيقول:

بعد عهد لنا ببلدة شبرا ... ء فأدني ديارها الجيزاء[2]
لا أري من أُحِبُّ فيها فأمشي ... خائفا أن تدوسني الكهرباء
فكتب الجوابَ أسأل عنها ... فأضاعت جوابيَ البُسْطاء[3]
سافَرت في الَجُور[4] أسماء من ... مصر، وإقليم أهلها جرجاء
ما معي أجرة البجور إليها ... إن من يركبونه أغنياء
ياوزير المواصلات لقد بعـ ... ـت هدومي بِدَي بها تذكراء
في قطار الركاب إني فقير ... لا يشيل الفقير اكسبرساء
ليتنى راكب إليها على التَر ... سو ولو أهلكتنى الزحماء
ورضينا بالهم، والهم لا ير ... ضي بنا إننا إذن تعساء
ويئسنا من البجور فقلنا ... ربما تنفع الفتي التلفناء
فلجانا إلى التليفون بالأمـ ... ـس، فلم تسعف المدمزيلاء
سوف أبكى، وقد نأت أسماء ... فعيونى من البكا حمراء
ليس للفقر والغرام اجتماع ... إنما المرء فيهما مسخراء
لاتفكر في الحب مادمت مِسْكيـ ... ـنا، وفكر متى يجيء العَشاء!!

❊ ❊ ❊ ❊

ويعلق على حقوق النساء التى نِلنها في معارضة أخرى لهذه المعلقة فيقول:

وحقوق النساء قد نلنها وهـ
ـى حظوظ ياليت قومى نساء!!

(1) الحارث بن حلِّزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة.الإيذان: الإعلام، والبين: الفراق، والثواء: الإقامة.
(2) شبراء، والجيزاء تضمهما القاهرة الكبرى الآن (شبرا والجيزة).
(3) يعنى البريد.
(4) القطار.

ولا يكف حسين شفيق عن «شعره الحلمنتيشى».. إن ينتقل من محاكاة «المعلقات إلى محاكاة «المشهورات» في أدبنا العربى على امتداد عصوره!

ولا يمل المرء من قراءة شعره والاستماع إليه فهو نقد للعلل والأمراض الاجتماعية!

إنه نقد هادف ساخر! يصيب ولا يجرح!

ولقد كان مطبوعا على النادرة، ولا يكاد يتحدث جادا، وقد ابتكر صورا مختلفة للفكاهة منها معارضة القصائد الجدية في القديم مقصائد هزلية حديثة من وزنها وقافيتها على نحو ما صنع في معارضته لقصيدة أبى العتاهية المشهورة في مدح الرشيد، والتى يستهلها بقوله:

ألا مـــا لـــسـيـدتـى مـالـهـا
أدَلا فـأحـمـلَ إدلاَلـــهـــا؟!

ويمضى شفيق المصرى في معارضته لها على النحو الفكهه الآتى:

أظـــنّ «الـــوِلـــيَـــةَ» زعـــلانـــةَ
ومـــا كـنـت أقـصـد إزعـالـهـا
أتـى رمـضـان فـقـالـت: هـاتـوا لى
زكـيـبـةَ نُـقْـلِ[1] فـجِـبْـنَـا لها
ومـــن قـمـر الـديـن جـبـت ثـلاث
لـفـائـف تـتـعـب شـيَّـالـهـا
وجـبـت صـفـيـحـة سـمـن، وجـبـت
وحـــوائـــج مـــا غـيـرُهـا طـالـهـا
فـقـل لـى: عـلـى إيـــهِ بـنـت الـذيـن
بتشتكى إلـى أهـلـهـا حـالـهـا؟!
تـقـول لـهـم: جـــوزى هـــذا فقير
كـأنـى أضـعـت لـهـا مـالـهـا!

(1) النُّقل – بضم النون– هوالبندق، والجوز، والجوز، واللوز وما شابه من عين الجمل، مما يقبل الناس عليه في رمضان.

ولا «والـــلّـــه» لا أخـــاف أبـاهـا
ولا عـــمـــهـــا، ولاخـــالـــهـــا
ولـو كـانـوا نـاسـا مـن الـلـى فـي بالى
لـــمـــا ســـمـــعـــوا قـــط أقـولـهـا
دى جـارتـهـا زعَـلـت زوجـهـا
فـجـاب الـعـصـايـة وادّى لها
وقـــد عـمـيـت مـــن بـعـد مـا سابها
وشـــافـــت مـــن الـدنـيـا أهـوالـهـا
فـــإن عـمـلـت مـثـلـهـا زوجـتـى
فـإخـصٌ عـلـيـهـا وعُـقـبـى لـهـا!

ابن زيدون وحسين شفيق

ولابن زيدون قصيدة «نونية» مشهورة قالها في محبوبته ولادة بنت الخليفة المستكفى مطلعها:

أضـحـى التنائى بـديـلا مـن تدانينا
ونـاب عـن طيب لُقيانا تجافينا[1]

ويسترسل حسين شفيق قائلا في بيان أثر المال في الحياة:

هجرتمونا؛ لأن الـمـالَ خاصَمنا
وغـــاب عـنـا فغبتم إنـتـو رُخـرِيـنـا
إن الجنيةَ هـو المحبوب لا كُحْل
في العين، أو حُمرة في الخَدَ يا أخينا
والـجـمـالُ.. هـو الآداب، فهو إذَا
وَلَـى غـدا الأبـيـض التركى زُزْيُـونـا
لـو كـان وجـهـك وردًا ثـم كنت بلا
مـالِ تـرى العين هـذا الـوردَ ليمونا

(1) التنائى: التباعد، والتجافى، وعكسها: التدانى، والتقارب، وطيب اللقيا.

وكـــم رأيـــنـــا غـــزالا لا فُـــلـــوسَ له
تشوفه الـنـاسُ مثل الـقـرد ميمونا

ومن عجب أن هذه النظرة هى التى أصبحت مسيطرة وسائدة!!

نعم أنا بردان وعندى كحة

وتجعبهُ قصيدة «أبي» فراس الحَمْدانى» التى مطلعها:

أراك عَـصِـىَّ الـدمـع شيمتك الصبر
أمـــا لـلـهـوى نـهـىٌ عليك ولا أمـرُ

فيتمها بلغته وأسلوبه الفكة ناقدا الخدمات الصحية قائلا:

نـعـم أنـــا بـــــردانٌ وعـــنـــدى كُـحـةٌ
ولـكـن مِـثـلـى لا يَـطـيـبُ لـه صـدر
إذا الليلُ أضـرانـى شكوت من العَيا
وولـعـت فحما مـن خلائقه الجمرُ
فـهـل عـلـم الـدكـتـور أنـى بكحتى
أقـطـع أحـشـائـى الـغـداة ولا فجر
فـقـال الـتـمـرجـى: هـل هـنـاك فزيتة
تـخـش بـهـا أو مـا معكش فتنجرَ
وقـال أُصَيْحِابى: الدخول أو الـردى
فـقـلـت: هـمـا أمـــران أحـلاهـمـا مُـرَ
ألـــم تـعـلـمـوا أنـــى فـقـيـر، وأنـــه
إذا شافنى خمسون قرشا له أجـر؟!
بنصف جـنـيـه[1] نـظـرة فابتسامة
فقصقوصة مـن دفـتـر فـوقـهـا حِبر
وفـي الأجـزخـانـات الروشيتةُ بدّها
فلوس كمانى لا يجود بها الدهر!

(1) أيام أن كان الجنيه شيئا مذكورا، وأن لكسوره قيمة وأي قيمة!

فسبعون قرشا في الدواء وإنها
لمثلي إذا ما زوجوه هى المهر
وإن رحت قصر العينى فالقصرُ برصةٌ
وليس لقطن العمر في سوقها سعر!
فإن كنت لا هذا الطبيب يشوفنى
ولا ذاك يشفينى، فقد ذهب العمر
وللوقف مستشفى إذا ما دخلتَه
فلونك مخطوف، ووجهك مُصْفَرّ

تظن أنك باشا!!

وأعجبه قل المتنبى:

لا خيلَ عندك تهديها ولا مال
فليُسعدِ النُّطْق إن لم يُسْعِدِ الحال!

فقال معارضا موجها نقده إلى رجل كانت تنفق عليه زوجته ومع ذلك يفخر على من يكسبون المال بعرقهم؛ فيوبخه قائلا:

تظن أنك باشا إذ تخاطبنى
وأنت في نظرى بالكاد زبال
جاك البلا.. أنت كحيان وعمرك ما
كسبت قرشا، ولاجاءتك أشغال
وكل ما فيك من مجد ومفخرة
جوازة حلوة بحبوحة عال
فالستّ تعطيك مالا حين تصرفه
تهز طولك ممروعَا وتختالُ
ووظَّفتْك ولولاها لمت ولم
تجد وسيل، ولم تسعفك أشغال
إن الذين من النسوان عيشتهم
ناس هلافيت أنذال وأرذالُ

خروف العيد

ويقرأ لأبى الطيب المتنبى قصيدة مطلعها:

الحزن يقلق والتجمل يردع
ولادمع بينهما عَصِيّ طَيّعُ

فيتم القصيدة متغزلا في خروف العيد مداعبا له قائلا:

أخَروفَ عيد النحرِ عمرك ذاهبٌ
وأراك في مرح وأنت تُبَرطع
أمغفل أم في الحياة مكاره
فتوَد أنك نحو موتك تُسْرِع
إن الذين تبسموا لك كلهم
يتبسمون لأن لحمك يُشبع
ويكاد يبلعك الذي تبدو له
لو كنت قبل الذبح ما يُبلع
انظر بعينك هل ترى إلا فتى
عيناه حين تقول: ماء - ماء- تلمَعْ
وهوى الحِسانِ له القلوب مواضع
وهواك أنت له ببطنى موضع!
فتقول: مأمئ لى، فإنك مطربٌ
ولمعدتى أُذُنٌ لصوتك تسمع
في هذه الماءات موسيقى لها
نغم كلحن مليحةٍ تتدلع
يا حسنَ شكلِ خروفِنا في مشيه
فهو العريس إذا مشى يتشخلع
الورد بِرسيم، وفولك فُسْتُق
والحوض فيه كولونيا منها تكرع

بروفة ثانية 25/ 9/ 2019

وعلى الحرير يكون ذبحك بعدما
نلقاك بالتعظيم حين تودع
والناس تدفن في التراب وأنت في
أحشائنا بين الأضالع تهجع

من قضى العام في لعب!

لفتح اللّه بن النحاس الحلبى قصيدة مشهورة مطلعها:

رأى اللوم من كل الجهات فراعه
فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

فيعارضها حسين شفيق ذاكرا نهاية طالب مهمل!

ولا تسألوه عن فؤادى وَصهْينوا
فإن فؤادى الآن صار بتاعه
وسيبوه، أو لا تزعلوا عند لومه
إذا حط في عين الجعيص صباعه
فقد لمت في العالم الذي فات طالبا
ومن غيظتى منه لويت ذراعه
لسقطته في الامتحان وكونه
قضى العام في لعب إلى أن أضاعه
وكان ذكى العقل أشطر شاطر
وكان زكى القلب جدا شجاعه
ولو لم يكن زى العفاريت كلما
دعاه إلى لهو شقىٌّ أطاعه
لنال البكالوريا[1] بعد امتحانها
وراح إلى الليسانس يفرد باعه

(1) هى الشهادة التى كانت مؤهلة لدخول الجامعة كالثانوية اليوم.

ولكنه ياحسرتى!.. ياندامتى!
رأى العلم مرا لا يسيغ ابتلاعه
فلما رأى في الامتحان سقوطه
وطوّلت باللوم الشديد صداعه
تلخبط من هذا الكسوف كيانه
وأحرق منه مخه ونخاعه
فراح إلى سوق المنايا[1] بعمره
وساوم فيه عزرائيل وباعه
فلا تقتلوا منى أخاه بلومكم
ففى القلب جرح لا أحب اتساعه
أنا اللى بتدليعى له قد تلفته
وكم صائعِ حاف أبوه أضاعه
نعم هذبوا أولادكم يتعلموا
فما خاب من يزكى أبوه طباعه!

دع عنك لومى

ويعجبه قصيدة لأبى نواس مطلعها:

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فكيف لا يعارضها، وينسج على منوالها، وهو أبو نواس الجديد، فيقول مسلطا الضوء على الإهمال في شوارعنا عندما ينزل بها المطر، وبخاصة الأحياء البلدية قائلا:

من كف صراف بنكٍ لا يجود بمثلها
إلا لمن باسمه في البنك إمضاء

(1) المنايا: جمع منية، والمنية: الموت.

مـن الـلـواتـى عليها رسـم مئذنة
بـهـا تـعـود إلـى الـعـيـان عَـفْـيـاءُ
مـالـى ارتـعـشـت وأسـنـانـى متكتكة
وخِـلـقـتـى بالتكرميشاء وِحـشـاءُ
مُـلَـهْـلِـطٌ كـامـش مـزد حـلـق لبط
يمشى تشقلبه فـي الأرض وحـلاءُ
رخـت علينا وقـد خـر السحاب بها
كـأنـهـا قـربـة والـجـو سـقَّـاءُ
يـا مـن يـوديـنـى بيتى راكـبـا جملا
كـى لا يحصلنى مـن فـوقـه الـمـاء
أحـيـاؤنـا البلديات الـتـى انوكست
مـسـتـنـقـعـات بـهـا غـلـب وأوداء
فـيـهـا الـشـوارع أنـهـار تـعـوم بها
ويغرق الناس إن راحـوا وإن جـاءوا
وتسبح الشمس فيها ثـم تشفطها
والـطـيـن يبقى فمنه الـدنـيـا سـوداء
ورُبّ مـركـبـةٍ مـرت تطرطشنا
وبـدلـتـى مـن سـواد الـحـظ بيضاءُ
وجزمتى لزقت في الأرض فانخلعت
فانظر لرجل الأفـنـدى وهْـى خفياء!
أحـيـاؤنـا الـبـلـديـات الـحـيـاة بها
مـوت، وفـي غيرها الأمـوات أحياء
أحـيـاء أبـنـاء أوربـا إذا مطرت
فللمجارى وكـل الأرض نشفاء
كـأنـمـا الـغـربـاءُ الـنـاسُ وحدهمو
ونـحـن مـاشـيـة عُـجـفـاءُ جَـرْبَـاءُ
مـن الـذي بـس يـاخـويـا حاينصفنا
كـأنـه بـلـد مـالـوش حـكـومـاء!!

الذين يجعلون من رمضان موسما للأكل

انتقد هذه النماذج «المفجوعة» معارضا قول أبى العلاء المعرى:

عَـلِّـلانـى؛ فـإن بـيـض الأمـانـى
فـنـيـت والـظـلام لـيـس بـفـان

فقال حسين شفيق منددا بمن ينتهزون شهر رمضان ليكثروا من الأكل حتى يصابوا بالتخمة:

نصفُ شعبانَ قد مضى ووراء النصـ
ـف بـاقـى الأيـام مـن شـعـبـان
فـتـرى كـل مـا تـحـب وتـرضـى
مـن شـهـىّ الـطـعـام فـي رمـضـان
مـن كـبـابٍ، وكُـفـتـةٍ، وفـطـيـرِ
وكـنـافـا مـتْـقُـونـةَ فـي الـصـوانـى
وفـراخ مـحـمـرات بـسـمـن
خـيـر مـا يـشـتـرى مـن الـفـرخـانـى
وابـدأ الأكـل عندما يـضـرب المد
فـع، والـهـط، واشـفـط، وقربع كمانى
غـيـرأنـى أخـاف أن يتخم الأبـعـ
ـدُ، أو أن يـصـاب بـالـزورانِ
ليس معنى الصيام لـو كنت تـدرى
جـوعـة، ثـم أكـلـةٌ عِـمـيـانـى!

إن لم تكن بيكا فإنك مثله!

والشاعر يعارض محمد بن عفيف الدين التلمسانى المعروف بالشاب الظريف في إحدى قصائده التى مطلعها:

ل مـن هـواك قـريـبُـهُ وبـعـيـدُه
ولـك الـجـمـال بـديـعُـه وغـريـبُـه!

فيقول ساخرا ممن يقولون: أنت عارف ابن من أنا؟! وقريب من أنا؟ ويتكلون على غيرهم!

إن لـم تكن بيكا فـإنـك مِثلُه ... أو لـم تكن بـاشـا فـأنـت قريبُه
الباشا قد وصـى عليك رئيسنا ... ورئيسنا يـا ادّلـعـدى محْسوبُه
فاحضر إلى الديوان في الميعاد أو ... مـن بعده مَـنْـذا الـذي حاتهيبُه
واطلب من الفّراش قطعة بسطة[1] ... كلْها وقل: (هات شاى) دغرى يَجيبُه
واشرب «سجارتك» التى دخانها ... يعمى عيون الحاسدين هبوبُه[2]
واشغل زميلك دائما عن شغله ... إيـه راح ينوبك منه أو حاينوبُه
قـــزورة، فـي قـصـة، فـي نكتة ... تقضى مـعـاه الـيـوم ثـم تسيبه
وتغيب أيـامـا إلـى الـيـوم الـذي ... فيه الماهية وهـو لست تغيبُه
ويجئ سعادة عمك الباشا إلى ... ذى الوجه وهـو صديقه وحبيبه
فيقول: ليه أكثرتمو شغل ابننا ... أتـعـبـتـمـوه والـعـيـا سيصيبه!

معارضة قصيدة ابن سهل الأندلس

التى مطلعها:

سَلْ في الظلامِ أخاكَ البدرَ عن سَهَرِى
تدرى النجوم ولا يدرى الورى خبرى!

وقال حسين شفيق مسلطا الضوء على إهمال النظافة وتهاون الأزواج في تربية الزوجات والبنات!

أبيت أصـرخ من ضرسى وأزعـق من
عينى وأهـرش مـا فـي ظهرى القذر
حـتـى أخـيّـل أنـى واخـد سكنا
بين الحمير وبـيـن الخيل والبقر

(1) البسطة: القُرْنية، وهى خبزة من دقيق، ولبن، وبيض، وسكر.
(2) اتجهت الحكومات إلى منع التدخين لإضراره بالصحة وبخاصة في أماكن العمل! والشعار يلقى لاضوء على بعض العادات السيئة في أماكن العمل.

اصـل العيا فاعلموا توسيخ بدلتكم
مـن الـتـراب إذا مـا ثـار مـن نُـقَـرِ
ومـن يـكـن ذا طـعـام حـامـض فـإذا
مـات، ادفـنـوه، وقـولـوا: يـا بـلاد بجر
مـا لـى رأيـت الأفـنـدى كـلـه قـرف
كـعـربـجـى الـدبـش والـغـجـر
وهـل لـه زوجـة لـيـست تنضفه
أتـارى زوجـتـه مـن نـسـوة عجر
أمـا تشوفينه فـي الشمس ياكبدى
يمشى يطشطش مـن دهـن ومـن زفر
وتـلـبـسـين حـريـرا ريـحـه عبق
من الكولونيات ذات المشمم العطر
عشان مـاذا وليه في الموسكى دائـرة
طـول الـنـهـار بـوجـه بـاردِ حجرى
وفـرش بيتك مـثـل الأرض سـودّه
ما تحمل الريح من غلب ومـن عفر
والـواد والبنت مـن أكـل الفواكه لم
تنضج أصيبا من الميكروب بالعور
تـعـالـى بـصـى، أهـذا مـطـبـخ؟ أكـذا
تـكـون عيشة كلب حتى يـا نَـضَـرى
بـل لا ألـوم نـسـاء الـحـى لست أرى
لـومـا عليهن إنـى صـادق النظر
فـالـزوج زوجـتـه لـيـست تخالفه
إن لم يكن نعجة أو راجـلا سكرى!
ربـوا نـسـاءكـم.. ربـوا بناتكمو
فضحتُم نفسكمُ في البدو والحضر
تنضفوا أو فـإن الـمـوت يخطفكم
والموت يخطف مثل الراجل النِّوَرى

معارضة لأبى عبادة البحترى

في قصيدته التى مطلعها:

بـــات نـديـمـا لـي حـتـى الـصـبـاح
أغْـيـــدُ مـجـــدول مـكـــان الـوشـاح

فقال حسين شفيق المصرى في رثاء الجنيه الذهبى الذى حل محله البنكنوت:

لـم تغتمض عينى ولا عينه ... حتى سمعنا م الـديـوك الصياح
فـيـا لـهـا مـن لـيـلـة لـم يكن ... فيها لنا إلا الـبُـكـا والـنُّـواح
نبكى على عهد الجنيه الـذي ... إذا ذكـرنـاه نـرى الـدمـع ساح
كـان جنيها ذهـبـا[1] خـالـصـا ... حصانه المرسوم صعب الجماح
أصـفـر رنـان لـه لـمـعـة ... إذا بـدت للعين فـالـهـم راح
كـان إذا رنّ رقـصـنـا له ... ومـا على ذى شيبة مـن جناح
ولَّـى، وولَّـى الأنـس مـن بعده ... وغـاب عـنـا زمـان الانـشـراح
انـظـر إلـى بـوزى تـجـد طوله ... متين مـن همى الـذي لا يـزاح
مـكـلـضـم كـأنـنـى راكـب ... عـلـيّـعـفـريـت ثـقـيـل الـمـزاح
والبنكنوت الهلس أصـل الذي ... أصـاب أحشائى من دى الجراح
لـو لهلبت نـار عـلـى طرفه ... رأيـت ريـح الفقر في الجو فاح
أو وقـعـت مـن فـوقـه مـيـةٌ ... فقد مضت عنك الليالى الملاح
ليس الجنيه البنكنوت الـذي ... تـرى جـنـيـهـا تـشـور الـريـاح

معارضة الطغرائى صاحب لامية العجم

في قصيدته التى مطلعها:

أصـالـة الـرأى زانـتـنـى عـن الخطَل
وحلية الفضل زانتنى لـدى العطَل

وقال حسين شفيق مكملا ومعارضا، مقدما الحكمة من خلال تجاربه كما قدمها الطغرائى في لاميته!

(1) ومنذ صار بنكنوتا، وقد فقد قيمته، ولم يعد ينفع معه ضخ ولا تعويم.

سعيى أخـيـرا وسـعـيـى أولا تعب
والمشى في مَهْمَشا كالمشى في القُلَل[1]
وتُـعـرض الـنـاسُ عنى عند توسختى
وإن نضفت فكل الـنـاس تَـزْغُـر لى!
دنياك إن قصدت تنغيص عيش فتى
فـالـرز باللحم مثل المش والبصل
وأكـذب الـنـاس فـي بـدوٍ وفـي حضرٍ
مـن قَـال: إن بـتـاع الـلـب كالنُّقَلى
ومـن يكن ذا فـلـوس وهـو ينكزها
ولـيـس يصرفها فالبخل كالقَشَل
ومـن يـقـع فـي عـجـوز إن تزوجها
فـإن ذلـك شـهـر غـيـر ذى عسل!
ومـن يـكـن لـخـمـةَ تـذهـب كرامته
لا يرهبُ الناس غير الراجل الشضلى
ولـن تـرى امـرأة فـي الـحـى قـادرة
عـلـى احـتـمـال بـلاءِ حـل بالرجل
قطر البضاعة مشحون فهل نـظَـرَتْ
عيناك شحنتُه يـومـا على جَـمَـل؟
واصـرف همومك لا تزعل فإنك لا
تُحيى الـذي مات بعد الموت بالزَّعَل
وكـن لنفسك عـونَـا فـي مطالبها
فلن يفيدك سى علوى ولا سى على!
والشيخ -فاعلم- كطفل فـي تعقله
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَل
واطـلـب حقوقك بالتغجير هلضمةَ
فالحق- إن لـم تُـغَـجِّـر- غير متصل
أمـا الـحـيـاءُ فمنه الـمـرءُ مسخرة
مـا خـاب لـي أمـل إلا مـن الخجل!

(1) مهمشا والقللى: حيان من أحياء القاهرة.

تقدمتنى أناس كان شوطهمو
وراء خطوى لو أمشى على مَهَل

معارضة ابن هانئ الأندلس

قال ابن هانئ: •أسهام لحظك أم مراشف فيك؟•

وعارضه حسين شفيق فقال مفضلا العلم على المال ناصحا الفتاة بالتحلى بالعلم:

يا بنت زى البنك الكثير فلوسُه
لم تعجبى أحدا فما خطبوك!
أكلام مسخرة وجهل فاضح
لا أنت فالحة ولا أهلوك
المال يذهب، والجهالة وحدها
تبقى، وبختك بالعصا يِدّيك
الخاطبون على «سَنِيّةَ» أقبلوا
يتسابقون، وأنت قد تركوك
و «أبو سنيةَ» راجل في حالة
من غير مال مثل مال أبيك
لكنها بنت تخاف وتختشى
فَلِوَجْنَتَيْها نار مثل فحم الكوك
قد علموها أهلها فتعلمت
وتزينت بحديثها المسبوك
لا بالشخاليل التى لو لم تكن
لك لا نفضحت وأظهروا بلاويك
ماذا يفيدك في الجهالة والد
ذو عزبة وبهائم وديوك؟!
والعلم يرفع عنك قدر سنية
ولو أنها من والد صُعلوك
هى حشمة ليست تروح وتغتدى
طول النهار، وأنت كالمكوك

ولـهـا مـعـارف[1] لايـمـل سماعها
وإذا نـطـقـتِ بـكِـلْـمـة كسفوك
والـبـنـت فـي أدب تـشـرف أهلها
فتطير شهرتهم إلـى الباسفيكى
وإذا تـبـرجـت الـفـتـاة فـجـرسـة
وجـلاجـل بـهـتـيـكـة وهـتـيـك
الـبـنـت فـي هـذا الـزمـان بعلمها
لا بـالـتـقـنـزح أو بـلـبـس الشيك
تـزن الأمـور ولا تـخـانـق زوجـهـا
وتـلاطـف (المونشير) (بالبرتيك)

معارضة قصيدة لمهيار الديلمى

مطلعها:

أقـريـش لا لـفـهـم أراك ولا يد
فتواكلى غـاض الندى وخـلا الندى!

فقال حسين شفيق ناقدا أسلوب التعليم الذي يعتمد على الحفظ ولا يأبه بالفهم:

كـم مـن فـتـى شـفـنـاه نـال شـهـادة
لـلـدكـتـوراه وحـقـه فـي أبـجـد...
لـم تحفظون العلم صما ويحكم
كـالـبـغـبـغـان بـلـفـظـه الـمـتـردِ؟!
لا تـفـهـمـون كـلامـكـم فكأنكم
كـتـب إذا طـبـعـت ولـم تتجلد
ويـل الـبـلاد مـن الـذيـن تعلموا
لـفـظ الـعـلـوم وفـهـمـهـا لـم يقصد

(1) ثقافة وعلوم.

منهم محامٍ لو يشوف قضية
م المعضلات يقول: ما هش حاجة دى
وإذا ترافع في أقل قضية
باظت وسودّ وشه يا ادّلْعدى!
وتراه أخرس في المحاكم صامتا
ولسانه في بيته كالمِبرد
ولرُب دكتور طبيب لو رأى
ميتا يقول -يقوم هذا في غد
فإذا أراد علاج حِتّةِ دُمَلِ
لم يمشِ إلا بعد موت الأبعدِ
وتراه دلدل لغده متعنطزا
والعلم شىء غير لغد الملغد
ومهندس ما شاف قصرا شامخا
م العال يصعد ساكنوه بمصعد
إلا وقال عليه: مثل خرابةِ
ورماه في التأليس بالوصف الردى
فإذا بنى بيتا فأحقر عشة
تزرى به من عقله المتأكسد
فتمرنوا بعد التعلم والنبى
دا الحفظ يابنىَ لا يساوى ميّدى
لولا التجارب لم تكن لفرنج من
فوق السحاب وأنت عجل السيد

معارضة قصيدة أبي الفتح البستى

التى مطلعها:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ
وربحه غير محض الخير خسران

ويقول حسين شفيق المصرى وقد ضمنها كثيرا من حكمه وتجاربه:

والعلم يرفع بيتا لا عمادَ له
والجهل يهدمه فالبيت كيمان
وقد يخاف على الأموال جامعها
واللص ياصاح لا يخشاه عُريان
ولا وقار لإنسان وليس له
حدائق وسرايات وأطيان!
فاجمع بعلمك مالا تستفيد به
فالعلم من غير مالِ ماله شانُ
تدرى وتعجز عما أنت عارفه
فأنت بالعجز مثل اللِّى ليس دَرْيانُ
وقد عجزت ولى علم وتجربة
فوبخونى وقالوا: أنت خيبان
لا يشعرون بما ألقاه من ألم
وهل يبالى بقَرص الجوع شبعانُ
لسوف أرحل عن أرضٍ لأَجهلها
مالٌ، وأعلمها غلبانُ كحيانُ
وهل تطيب حياةُ المرء في بلدِ
وأنتمو فيه عُمَدٌ وأعيان؟!
أحسستُ أنىَ من همى ومن حزنى
تعض قلبى اضراس وأسنانُ
وقد سمعت أحاديثا تروعنى
ومفيش من غير نارِ قَطُّ دخان
وينكرون الذي كالشمس ساطعة
بالله ربكمو هل نحن عميان؟
ما كل من يتغاضى عينه عمشت
فقد تراه عبيطا وهو شيطان

فــلا تــغــرنــك أثـــــواب مــرزكــشــة
قــد يلبس الحلة الغلياء جـربـان!
ولا تــهــولــنــك أطـــمـــارٌ مــمــزقــة
فكم تنكر فــي الأطــمــار سلطان!!

معارضة الأعشى

وعارض «شفيق» «الأعشى» في قصيدته التى مطلعها:

مـــا بـــكـــاء الـــكـــبـــيـــر بـــالأطـــلال
وســـؤالـــى ومـــا تـــرد ســـؤالـــى؟!

فقال:

أيــهــا الـــداركـــان فــيــك شــبــابــى
وصــبــائــى والــلّــعــب ويَـــا الــعــيــال
حــيــنــمــا كــنــت كــلــمــا ســألــونــى
عــن شئون الدنيا أقــول: ونــا مولى!
فـــي زمـــانِ يـــامـــا تـــمـــتـــعـــت فيه
وغــنــائــى فــيــه (حـــلالـــى بـــلالـــى)
ذاك عــهــد مــضــى وجـــاء زمـــان
شِـــلْـــتُ فــيــه الــهــمــومَ كــالــشَّــيــال
صـــاحِ، نفسى مـــســـدودة فـــلـــمـــاذا؟
لست أدرى - والله- مــاذا جرالى؟!
ليتنى عشت طــول عــمــرى صغيرا
وتــشــيــل الــهــمــومَ أهــلــى بــدالــى
أهــمــلــونــى مـــن الـــمـــدارس حتى
صـــرت مــثــل الــحــمــار بــالإهــمــال
وولاد الــجــيــران «بــيــك» و «بــاشــا»
وأنـــا وحـــدى بـــس كــالــكــرنــفــال

أنـــا أذكـــى مـنـهـم وديـنـى
ولـكـن هـل ذكـاء يـفـيـد للجهال
لـم يعد لـي عيش هنا مـن كسوفى
وخـلاصـى مـن الـكـسـوف عـزالـى
أإذا كنت عالما كـانـت الـعـزبـة..
ضـاعـت، ولـخـبـطـت أحـوالـى
تـركـوا لـي مـالا، ومـاتـركـوا لي
مـع مـالـى عـلـمـا لأحـفـظ مـالـى
لـيـت لـى ألـف ألـف جـنـيـه
وقـروشـا أكـوامـهـا كـالـجـبـال
فـأجـيـب الـمـهـنـدسـيـن وأبـنـى
ألـف قـصـر مـن الـقـصـور العلالى
كـلـهـا.. كـلـهـا مـدارس عليا
وابـتـدائـى وروضـة الأطـفـال
وأجـيـب الـخـوجـات مـن كـل جنس
انـجـلـيـزى، فـرنـسـوى، طـلـيـالِ

إمارة الشعر

خلا الجو بعد موت أمير الشعراء أحمد شوقى عام 1932م واجتمع شعراء القرن الماضى وأرادوا أن يروحوا عن أنفسهم في إحدى الليالى، واختاروا واحدا مغمورا من بينهم وهو: «حسين أفندى محمد» المعروف بالبرنس ليكون أميرًا للشعراء وتباروا في حفل مبايعته في مداعبة لطيفة، وسخرية خفيفة! وأدلى حسين شفيق بدلوه معهم فقال في مبايعته:

يـا حُـمـاةَ الـقـريـض[1] حـول البرنس
أصـبـح الشعر دولـةَ ذات كرسى!

(1) القريض: الشعر.

وهـــل الـحـكـم والإمـــــــارةُ إلا
لـبـرنـسٍ يُـضـحـى بـــرأى. ويُمسى
يـقـرض الشعر مثلما يـقـرض الفا
رُحـبـالَا قـد فتلت مـن دِمَـقْـس[1]
كـــان مـــن قـبـلـه الـقـريـض بجلبا
بٍ، فأضحى بـ «بنطلون» و «جرسى»[2]
أيـهـا الـشـاعـر الـكـبـيـر رضـيـنـا
ك أمـيـرًا، فـكـنـه، تـفـديـك نفسى!

شهادة تلطيم

زادت البطالة على عهدة حتى بين حملة الشهادات، وكان للوسطاء رأيهم، أما من لا واسطة له، فإنه يضيع حتى ولو كان حاملا لليسانس، فقال حسين شفيق على لسان شاب يحمل الليسانس ولا يجد عملا:

هـل كـانـت الليسانس لما أخذتُها
شـهـادة تـلـطـيـم بـهـا أتـسـكـع؟!
ألـيـس حـرامـا أنـنـى بـشـهـادتـى
أدور عـلـى أبـوابـكـم أتـلـطَّـعُ؟!
وغـيـرى عـشـان محسوبكم يتوظف
أراه دائـمـا عـلـيـكُـم يـتـدلـعُ!
قـضـى عـمـره فـي الـمـدرسـاء بلية
وقـارقـهـا والـعـقـل مـنـهـا مـفـرق
يقولون لـى: هـل مـن وسيط تجيبه؟
شـفـاعـة عـنـد الـجـعـيـص ستنفع!
على إيـه شـهـادات بـلاش مـدارس
وهَـــمّ طـويـل بـالـشـقـاء مـرصـع!

(1) الدمقس: الحرير.
(2) الجرِس: هو ما يطلق عليه «البلوفر» أيضا.

إذا كانت ذا عقل فكن ذا صنعة
أو اسرح بفجل حين يمضغ يُبْلَعُ!

ترى.. هل تغير الحال؟!

وهل يصدق علينا قول الكواكبى:

تعب الفيلسوف في الناس عصرا، وتولى السرائر الدين دهرا، فمن يسمع، ومن يقرا؟!

ما لا ينسى!!

صدر الأمر بوقفه عن العمل في الصحف في بعض فترات حياته فقال مبديا أسفه:

سواءٌ علىّ أدار يمينا
بى الدهرُ أم دار دهرى شمالا؟!
فإنى أرى كل شيء يمر
فيُنسَى، سوى ما يَشين الرجالا
وأعلم أن المصيرَ الزوال
فماذا يؤمل باغ زوالا
قد كنت والعهد غير بعيد
أكاد أرى في السماء مجالا
فهل مُبصرى أنت في الحجرات
أكاد أرى الخطو فيها محالا؟!

❊ ❊ ❊ ❊

ومرض شفيق فأبدى أقاربه أسفهم وجزعهم لمرضه فقال:

قالت سعاد...

سعلت، قالت: فدتك نفسىَ
سعاد، وانتابها السهاد

وضـــج يـحـيـى أخـــو سـعـادِ
وأمـســكـت قـلـبـهـا وِدادُ
أكـلـمـا تـسـعـل اعـتـراهـم
مـمـا يـحـبـونـك ارتـعـاد؟!
لـسـوف تـقـضـى الـحـيـاة يـومـا
وكـــل حـــى لـــه مـعـاد!
فـــإن أتـــى الـمـوت وهـــوآتِ
ألـقـوك فـي حـفـرةِ وعـــادوا!!

❋ ❋ ❋ ❋

وهذه هي الحياة! وتلك عبرتها!!

هذا، وقد ابتدع الأستاذ حسين شفيق عدة شخصيات فكاهية مرحة منها: شخصية (الشاويش شعلان عبد الموجود) يكتب على لسانه محاضر التحقيق ولكن بأسلوب مرح لطيف، وكثيرا ما كان يعلق على الحوادث، ويكتب المقالات الساخرة وإليك إحداها.

علموهم الأدب!!

في إحدى مقالاته يوجه نقده اللاذع إلى صنفين طفوليين فيقول: يوجد الآن كثيرون يدّعون أنهم من أصحاب الذوق العال، وأنهم من ذوى المبادئ السامية، وأنهم من المغرمين بالمطالعة والقراءة ولكنهم - في الوقت نفسه- يأتون أعمالا تتنافى مع ادعاءاتهم هذه!

فمثلا إذا كنت جَالسا مع إنسان منهم، ومر بك بائع الصحف، وأسرعت إلى ابتياع صحيفة لتقرأها، وتقف على أخبارها، ولتستفيد من آرائها، وهذا بالطبع حق من حقوقك تدفع له ثمنا تخرجه من جيبك، فما تكاد تنقد البائع الثمن، وتتناول الصحيفة حين يسرع هذا الدعى في أخذها منك بدعوى أنه يريد أن يطلع على شيء معين فيها! وهو كاذب؛ لأنه لو كان يعلم أن في الصحيفة شيئا يهمه معرفته لاشتراها!

والحقيقة أنه أخذ منك الصحيفة ليتسلى بها، وليقرأ كل ما فيها!

فهو بعمله هذا يقيم الدليل على أنه «أنانى» يحب نفسه قبل غيره، وعلى أنه عديم الذوق؛ لأنه يستقل بقراءة الجريدة مع أنك لم تجلسه إلا لتتسامرا معا، ومع أنك لم تشتر الجريدة إلا لتقرأها في خلوتك!

فإذا كنت ممن ينكبون بمثل هؤلاء الأدعياء، فكن قاسيا عليهم، ولو أدت هذه القسوة إلى توبيخهم، وقطع علاقتك معهم!

علمهم الأدب، لأنهم قليلو الأدب!

وألعن من هؤلاء من قلة لاذوق مخلوقون يرونك منتحيا ناحية مع آخر، وتتهامسان مما يدل على أنكما مهتمان بأمر خاص، لا تريدان أن يعرفه أحد، أو أن يشترك معكما فيه أحد!

ولكن هولاء (المخاليق) الذين تجردوا من كل ذوق يأبون إلا أن يجلسوا معكما، ثم تراهم يتبجحون فيقولون لك: «لعلكما تتكلمان في مسألة خصوصية؟؟!».

فيدفعك ما جُبِلت عليه من الأدب إلى الجواب سلبا، ولكنه ينم عن الإيجاب!

ومع هذا تراهم يجلسون ولا يستحون فينصرفون!

جابهوهم، وعلموهم الأدب، لأنهم قليلو الأدب!!

شفيق يموت مبتسما

لم تفارق النكتة شفتى شفيق حتى نهاية عمره!

كان شفيق قد ضعف بصره، واحتاج لمرافق، يأخذ بيده، ويدله على الطريق!

وتطوع أحد أقربائه لمرافقته ومصاحبته في غدوه ورواحه، وهذا حال الدنيا!

والتقى به أحد أقربائه قبل وفاته بيوم واحد، فسأله: من هذا الذي معك؟

فأجبا شفيق: «دا واحد ساحبنا!».

ومات شفيق مبتسما كما عاش ضاحكا!!

رحمه اللّه بقدر ما أسعد أصدقاءه وأحباءه!

محمود بيرم التونسى

فتان الشعب وأحد رواد الأدب المصرى!

من حق «محمود بيرم التونسى» علينا أن نتوقف عند معالم حياته قبل أن نعيش مع فنه!

في أواخر القرن التاسع عشر وفي عام 1890م وصل إلى مدينة الإسكندرية رجل يسمى «بيرم التونسى» فارا من الظلم والاضطهاد الذي يلقاه الأحرار هناك في تونس.

وأقام في مدينة الإسكندرية، وكان يتقن صناعة النسيج ففتح حانوتا في سوق المغاربة وظل يبيع فيه سلعه!

وفي عام 1893م رزق بمولود سماه محمودا، وأخذ يعده لطلب العلم، وأخذ يشبع فيه هواية القراءة، وزاد ميله إلى الأدب وعشقه للشعراء والزجالين الذين كانوا اللسان المعبر عن الأمة.. آمالها وآلامها!

وراح يغشى مجالس الأدباء والفنانين في الإسكندرية، ونشر بعض أزجال خفيفة.. وكان ذلك في عام 1912م.

وقامت الحرب العالمية الأولى سنة 1914، وبدأ الناس يحسون وطأة الحكم الأجنبى، والقيود التى فرضت عليهم مما جعلهم يجأرون بالشكوى!

واغتنمها بيرم فرصة فنظم قصيدة بعنوان «المجلس البلدى» كان لها وقعها وأثرها، وراح الجميع يرددونها حتى أصبحت على كل لسان!

وفي عام 1919م قامت الثورة المصرية وبدأ التذمر من الاحتلال وكان بيرم صوت الشعب المعبر في صحف أنشأها.. ينشر فيها أزجالا وانتقادات للاحتلال ولكنها كانت تصادر واحدة بعد أخرى!

وترك الاسكندرية إلى القاهرة ليمارس نشاطه على نطاقٍ أوسع، ولكن المستعمرين كانوا له بالمرصاد ففى ليلة عيد الأضحى من سنة 1919م صدر الأمر بنفيه، ونفذ في الصباح الباكر من يوم العيد، وأخذ عنوة إلى مركب وضع فيها تحت الحراسة، وصدرت الأوامر ألا يبرحها في مرسيليا.

وسافر المسكين تاركا وراءه زوجه وولدين صغيرين!

وعاش في مرسيليا بين الحمالين والعمال من أبناء تونس والجزائر ومراكش وغيرهم.

ومن مرسيليا كان يكتب لبعض الصحف في مصر ويمدها بأزجاله، ومقاماته، ونظراته الرائعة في الحياة.

ويحاول الهرب. ويقبض عليه حتى يبارح البلاد إلى مرسيليا ثانية فباريس متنقلا بين ريف فرنسا ومدنها ووجهته مصر.. ومصر وحدها!

ولقد قضى عشرين عاما في المنفى من عام 1919 إلى عام 1938 ألف فيها أزجالا وروايات ومقامات، وانتقادات باللهجات العراقية، والشامية والتونسية وغيرها في مختلف البلاد واللغات!

ولقد قلد الشعراء العصريين فأبدع، وحاكى قدامى الأدباء غير المعاصرين فأجاد وأفاد.

وكتب على ألسنة كتابنا وشعرائنا ومفكرينا في مختلف العصور، فكان ما كتبه هو بعينه ما يقرؤه الناس لهؤلاء!

وفي سنة 1938 ظُهر يوم 6 مايو وصلت الباخرة إلى بورسعيد، ورست على الميناء لإنزال الركاب، والتزود من الوقود ففكر في الهرب، وسرعان ما فر هاربا إلى القاهرة!

وظل بيرم حركة دائبة، وذهنا حاضرا، وإنتاجا خصبا حتى آخر لحظة من لحظات حياته حتى يوم الخامس عشر من شهر يناير 1961م فصعدت روحه المحلقة إلى باريها، ففقدنا بفقده عبقرية لا نظير لها! رحمه اللّه رحمة واسعة.

لقد كان بيرم مدرسة عظيمة في الأدب الشعبى، وكثيرا ما كان يفخر بأنه «زجال» على غير شأن ناظمى الأدب الشعبى من معاصريه الذين كانوا يصرون على تسمية أنفسهم «شعراء» رغم أن نتاجه لم يخل من شعر جاد وإن كان قليلا، وكان شعره الفكه هادفا دائما.. فتعال ننعم بصحبته، وننعش النفس بفنه وفكاهته!

بيرم والشعر الفكاهى

كان «حسين شفيق المصرى» فريد عصره في فنه ذلك «الشعر الحلمنتيشى»!!

وكان نسيج وحده لا يجاريه في نظم الشعر الفكاهى أحد غير أن الكثيرين من شعراء عصره أفادوا منه.. حين اقتدوا به، وقلدوه فيما ذهب إليه!

ويقول النقاد:

إن الشاعر الفكاهى البارع لابد أن يكون في الأصل شاعرا مُجيدا حتى يأتى شعره الفكاهى رائعا، وجميلا!

ولهذا برع في الشعر الفكاهى المجيدون وحدهم وتداول الناس شعرهم.

وممن نسج على منوال «حسين شفيق المصرى»، ونافسه، وبرع إلى جانبه الزجال الكبير «محمود بيرم لاتونسى»!

وقصائده الفكاهية غاية في خفة الظل، ومن أشهرها «قصيدة المجلس البلدى» التى تدور أبياتها على كل لسان! وقلت ألفاظها العامية!

وبيرم فنان متعدد المواهبن وله من القصائد ما يعتبر شعرا «حلمنتيشيا» على غرار شعر زميله حسين شفيق المصرى.

بيرم في المنفى

قضى بيرم عشرين عاما في المنفى من عام 1919م إلى عام 1939م وفى هذه الفترة أرسل أزجالا، ومقامات، وانتقادات بلهجات مختلفة وظل ينتقل في فرنسا من مكان إلى آخر وقبله معلق بمصر!

ولا ينسى «الصحافة» التى جنت عليه، وكانت السبب في نفيه!

ويبعث إلى مصر قائلا:

أعـيـش شـريـدًا وامـشِ حـافـى
فـي مصر ولا اكـونـش «صـحـافـى»!

على الأدب قول يا عوافى!

لا اعْـمِـل أنـا فـران أَسْـتَـر
لا اعـمـل أنـا فـران واعـجـن

وانبغ في فن العيش واتقن

ويحن إلى الوطن في منفاه، ويذكر اليوم الذي نفى فيه.. وكان يوم عيد الأضحى، فيبعث من منفاه بمقطوعه باكية حزينة يقول فيها:

يوم الدبايح كان آخر مواعيدك
وقفت لك فرحان انصب رايات عيدك
وافرش لك الريحان وسامع زغاريدك
زعّق غراب البين فصّلت أكفاني!

ثم يقول:

ياما التقيت ورأيت جمال ينسيني
واتفكّر الهرمين تجري الدموع تاني

وفي ظهر يوم 6 مايو سنة 1938م وصلت الباخرة من تونس إلى ميناء بورسيعد في طريقها إلى فرناس لإنزال الركاب والتزود بالوقود!

ففكر فترة من الوقت ثم فر هاربا من السفينة، ويصف ما حدث قائلا:

غلبت أقطع تذاكر وشبعت يارب غبة!
بين الشطوط والبواخر وبين بلادنا وأوربا
وقلت: عالشام أسافر إياك ألاقي لي تربة
وعزرائيل انتظرته ماجاش وجاني الخواجه
نافخ وسايق إمارته وقال لي... شوف السماجه
الببرّدَا انتدابنا انزل دى ماهش وِسِيّه
رجعت علي البحر تاني مخفور ورايح فرنسا
في بورسيعد السفينة وقفت تفرغ وتِمْلَه
والبياعين حوّطونا بكارت بوستال وعمله
لكن بوليس المدينة ماتفوتش من جنبه نمله
يابورسعيد واللّه حرة ولسه يا اسكندريه
هتف هاتف وقاللي انظل.. ومن غير عزومه
انزل دا-ربك فوقك وفوق الحكومة

وأقـــول لـكـم بـالـصـراحـه اللـي فـي بـلادنـا قليله
عـشـريـن سـنـه فـي السياحة بـشـوف مـنـاظـر جـمـيـلـة
مـا شـفـت يـاقـلـبـي راحـه فـي دي الـسـنـيـن الـطـويـلـة
إلا أمـا شـافـت عـنـيـه الـلـبـدة والـجـلابـيـه

وتحرك البوليس في البحث عنه بعد أن رحبت به الصحافة، ولكن وزير الداخلية آنذاك (محمود فهمى النقراشى) كان من المعجبين بفنه، فطمأنه وأصدر الأمر بالكف عن مطاردته.

وظل يمارس فنه الذي أحبه حتى الخامس من يناير 1961 ففقدنا بفقده عبقرية جاد بها الزمن، نضَّر اللّه تربته!

تنديد بالضرائب

كانت الضرائب الباهظة على أيامه، تجبى من صغار الفلاحين فقال «بيرم» في ذلك منددا:

يـأيـهـا الـراقـدون هُـبُّـوا فـالـكـون بـالـراقـديـن يمشى
قـلـتـم لـنـا: مـالُـنـا قليل قـلـنـا: ومـاذاك غـيـر بطشٍ
فـكـم حـجـزتـم عـلـى رغـيـفٍ ورطِـل سَـمْـنٍ، وصَـحْـنِ مِـشّ
وقُـفـل بـيـتٍ، وكـوزِ مـاءٍ وزوج نـعـلٍ، ونـصـف بُـرْشِ!

وإليك هجائية قالها في حسين شفيق المصرى وهى تذكرنى بقول الشاعر:

وكـم عـلـمـتـه نـظـم الـقـوافـى
فـلـمـا قـال قـافـيـة هـجـانـى

لكنه كان نوعا من الهجاء المحبوب:

ولْنُسَمِّه: هجاء عمل! إن صحت التسمية!

هجائية بيرم التى قالها في حسين شفيق المصرى!

يـا حـسـيـن بـن شـفـيـقـة[1] ضـجـرت مـنـك الـخـلـيـفـة
أبـدا تُـحـدِثُ كـالـنـاقـو س أصـواتـا عـتـيـقـة

(1) يقصد: حسين شفيق المصرى، وكان يباريه وينافسه لتفوقه عليه في الشعر الحلمنتيش.

هـــل تـــري الـــنـــاقـــوس قـد ... غـيـر فـي الـدنـيـا زَعـيـقـهْ؟!
أم تـــري الـجـحـش يَـسْـتَـبْـ ... ـــدِلُ مـا عـــاشَ نـهـيـقَـه؟!
حـــامـــل جـمـجـمـة جـوفـا ... ء بـــالـــقـــطـــع خـلـيـقـه
أنـــــت لـــــولا بـائـعـو ... الـــفـــول، وأبـــنـــاءُ الـطـريـقـهْ
ســاكـنـو سُـنْـقُـر والـمَـدْ ... بَـــح، والـمـصـر الـعـتـيـقـهْ[1]
شـــلـــبـــي، وإمـــــام ... وغـــريـــب ورُزيـــقـــهْ
أنـــت لـــولاهـــم سـبـاخـ ... ـــك.. مـا عـشـت دقـيـقـهْ
أنـت فـي الـكُـتَـاب كالجُمَيْـ ... ـــز فـي وســط الـحـديـقـهْ
مـشـمـخـر بـشـمـار ... تـجـعـل الـبـطـن طـلـيـقـهْ
وهـــو فـــي الإصـــلاح لاَ ... يـصـلـح إلا لـلـحـريـقـهْ
لا تـقـف لـي وقـفـة الأَبْـ ... ـــلَـهِ لا يـدري الـحـقـيـقـه
مـسـتـعـيـرا هـيـئـة الـمـظـلـو ... م يَـسْـتَـدعـي صـديـقَـه
أو تـــراءي لـــي بـحـلـم ... أَو بـــأخـــلاق رقـيـقـه
كـي يـقـولَ الـنـاسُ إنـي ... مـعـتـدِ رَذْلُ الـسـلـيـقـه
أنـــت لـــص: لـــك كـف ... هـي فـي الـنـشـل عـريـقـه
تـسـتـحـق الـسـجـن لـولا ... سِـجْـنـةٌ فـيـك صَـفِـيـقَـه
لـي عـنـدك أوتـار ... وتـــارات عـمـيـقـه
كـم وكـم تـسـرق مـني ... فـكـرةَ كـانـت رشـيـقـه!!
وسـتـدري أن رعـدي ... حـاضـر يـتـلـو بَـريـقَـهْ

١٣ / ١١ / ١٩٢٧

•• أشهر قصائده النقدية

المجلس البلدى

ممن نسج على منوال «حسين شفيق المصرى» ونافسه وبرع إلى جانبه كل البراعة في هذا المجال الشاعر الزجال: «محمود بيرم التونسى».

(1) سنقر ولامدبح ومصر العتيقة (مصر القديمة) أحياء بالقاهرة.

وقصائده الفكاهية غاية في خفة الظل ومن أشهرها: «قصيدة المجلس البلدى».

فنراه في هذه القصيدة النافذة الساخرة الرائعة لم يستخدم إلا قليلا من الألفاظ العامية، بينما التزم فصاحة الشعراء القدماء، لكنه مع هذا جاء بأشد ألوان الشعر الفكاهى إثارة للضحك والمرح برغم ما جاء فيها من نقد قاسٍ.

لقد حمل فيها على «بلدية الإسكندرية» - آنئذ - حملة شعواء لكثرة ما كانت تفرض من الضرائب على الناس، وتحاربهم! في أرزاقهم، وقد كان أكثر أعضائها من الأجانب!

وشتان بين ما أصبحت عليه الآن، وبين ما كانت عليه!

ويقو بيرم:

لا تنكروا ما رأيتم من ضَنَى جَسدى
ولا فـــؤادى الـــذي أمسكته بيدى
بمحنتى لمم يصب في الناس من أحد
قد أَوقَـعُ القلبَ في الأشجان والكمد

هوى حبيب يسمى المجلس البدى

ثم يقول:

إن الـــدعـــاء عـلـى الـجـبـار أبلغه:
يـارب سلط عليه «المجلس البلدى»
يـا بـائـعَ الـفـجـل بالمليم واحـــدة
كم للعيال، وكم للمجلس البلدى؟!
كـــان أُمِّـــى - بـــلَّ الـــلّـــه تربتها-
أوصت فقالت: «أخوكَ المجلس البلدى»

المسخورات!!
[مَسَخْرة القصائد القديمة]

قلنا: إن «مسخرة القصائد»، أي: تحويل القصائد الجادة إلى قصائد ساخرة!، عمل نهض به ابتداء «حسين شفيق المصرى»، ثم قفَّى على أثره «محمود بيرم التونسى».

ومن قبلهما ذكر الجبرتى في تاريخه في حوادث ستة إحدى وسبعين ومئة وألف هجرية خبر وفاة الشيخ الصالح، والشاعر اللبيب الناظم الناثر الشيخ «عامر الأبنوطى» الشافعى الذي كان يأتى من بلده يزور العلماء والأعيان وكلما وقعت عينه على قصيدة لشاعر قلبها وزنا وقافية إلى الهزل والطبخ، ومن معارضاته «ألفية الطعام» على وزن «ألفية ابن مالك في النحو والصرف» التى يقول فيها:

يقول عامر هو الأبنوطى
أحمد ربى لست بالقَنُوط
واستعينُ اللَّه في ألفيّة
مقاصدُ الأكل بها مَحْوِيَةْ
فيها صنوف الأكل والمطاعم
لذّت لكل جائع وهائم

إلى أن يقول:

طعامنا الضانى لذيذ للنهم
لحما وسمنا ثم خُبزا فالتقم
فإنها نفيسة والأكل عم
مطاعما إلى سناها القلب أَمّ[1]

ومنها:

والأصل في الأخباز[2] أن تُقَمَّرا
وجوزوا التَّقْدَيدإذ لا ضررا

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد عارض من قبلهما الشيخ «عامر الأبنوطى» قصيدة «الطغرائى» المشهورة بـ «لامية العجم[3]» والتى أولها:

أصالةُ الرأى صانتنى عن الخطَلِ
وحلْيَةُ الفضلِ زانتنى من العَطَل

(1) أمّ بمعنى قصد.
(2) جمع خبز.
(3) هناك لاميتان: لامية العرب ولامية العجم.

مجدى أخيرا، ومجدى أولا شرَع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَل
وإن أردت نجاحَا أو بلوغ منى
فاكتم أمورك عن حافٍ ومنتعل

ويقول الشيخ عامر معارضا:

أَنَا جِرُ الضأن تِرياقٌ من العلل
وأَصُحُنُ الرُّزْ فيها منتهى أملى
أكلى غَدَاءَ، وأكلى في العشاء على
حدِّ سَوىَ إذا اللحمُ السمينُ قُلِى
فيم الإقامة بالأرياف لا شبعى
فيها، ولا نزهتى فيها، ولا جَذَلى
أريد أكلا نفيسا استعين به
على العبادات، والمطلوب من عملى
والدّهر يفجع قلبى من مطاعمه
بالعدس، والكِشك والبيصار، والبصل
ناديت هيا، ولا تبطئ بغرفِك لي
فإنه «خُلُق الإنسانُ من عَجَلِ!»

وهكذا سبق بيرمَ التونسى، وحسين شفيق المصرى في «تقليد الشعراء» ومسخرة القصائد المشهورة الشيخُ عامر الأبنوطى.. وإن شئت مزيدا فإليك نموذجا آخر!

الشيخ عامر الأبنوطى وابن الوردى

لعمر بن الوردى لامية[1] مشهورة يقول فيها:

اعتزل ذكر الأغانى والغزل
وقل الفصْل، وجانب من هزل
ودع الذكر لأيام الصبا
فلايام الصبا نجم أفل!

(•) أي قصيدة قافيتها اللام، والنونية قصيدة تنتهى بالنون وهكذا السينية قافيتها سين.

واهـجـر الـخـمـرة إن كـنـت فتى
كيف يسعى فـي جـنـون مـن عقل؟!
لا تـقـل أصـلـى وفـصـلـى أبـدا
إنـمـا أصـل الـفـتـى مـا قـد حصل

فجاء الشيخ عامر الأبنوطى فقلبها طبيخا فقال:

اجـتـنـب مـطـعـوم عَـدْسٍ وبَـصَـلْ
فـي عـشـاء فـهْـو لـلـعـقـل خَـبَـلْ
وعـن الـبـيـصـار لا تـقـربْـه لا
تُـمْـسِ فـي صـحـةِ جـسـم مـن علل
واحـتـفـل بـالـضـأن إن كـنـت فتى
زاكـى الـعـقـل، ودع عـنـك الكسل
مـن كـبـابٍ وضُـلـوع قـد زكَـتْ
أكـلـهـا ينفى عـن الـقـلـب الـوَجَـل

ونعود إلى بيرم، وحسين شفيق، فقد سارا على الطريق، وأخرجانا بفنهما من كل ضائقة وضيق، وأضحكا العدوَّ فضلا عن الصديق!

فتعال إلى ما كنا فيه.. إلى بيرم وحسين شفيق!

فماذا يقول بيرم؟!

بيرم يعارض ابن الرومى[1]

ابـن الـرومـى فـي الـقـرن العشرين!!
صورة كاريكاتورية لأحد «الباصقين»!!

عرضها «الشيخ أمين الخولى» في «مجلة الأمناء» وقال: «ونعتذر بحق التاريخ عن وقعها».

١- أتـي عبدُ الإلـه وقـد جلسنا مـن اللهو المحبَّبِ فـي شئون

(1) هو أبو الحسن على بن العباس الرومى ولد ببغداد وعاش متأثرا بمزاجه اليونانى وبالثقافة العربية كذلك.مات سنة 283هـ.

٢- فـرحـبـنـا وأفـسـحـنـا مكا نَـا يليق بذلك الحَبر السمين
٣- فـأنـذرنـا بـصـوت بلْغَميّ كصوت الكف تعبث في العجين!
٤- سمعنا «عاخها» منه فملِئـ ـا نحاذر بالأكف علي البطون
٥- وأرسلها من الخيشوم سُفْلًا إلـي البُلعوم؛ يالكَ من رزيـن!
٦- وعـاد بها إلـى فـيـه، فكا نت (مكان الليث في وسط العرين)
٧- رجونا أن يداريَها ابتلاعا فـتـسـكـنَ مـنـه فـي كِـنَ كنين
٨- فكانت كالقضاء إذا تبدي فـلا تُغني الشكوك عـن اليقين
٩- فصمم وانحني والقوم صر عـي وسقطها بـرفـق كالجنين
١٠- وقال: أتيت مجلسكم خصيـ ـصا لأبسطكم فهيا فابسطوني!!

مُعَارضة الشريف الرضى![1]
[حاميها حراميها]

يقول الشريف الرضى:

مـنـابـتُ الـعُـشـب لا حـامٍ ولا راع
مضَى الـرَدَى بطويل الـرُّمْـحِ والباعِ

ويقول بيرِم:

حَطوا الغَفيرَ[2] على الدكان يحرسُه
فـبـاعَـهُ جـمـلـةَ لا بـيـعَ قـطَّـاعـى
جـاء الـحـرامـى لـه لـيـلا وقـاولـه[3]
على الـذي فيه مـن مـالٍ وأصـواع[4]
والـصـبـحُ جـاء إلـى الـدكـان صاحبُه
فلم يجد فيه غير السقف والـقـاع!

(1) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة 406هـ.
(2) الغفير هو الخفير والحارس.
(3) قاوله: ساومه، واتفق معه على مبلغ معلوم يعطيه له مقابل تركه يستولى على ما في الدكان!
(4) جمع صاع. مكيال معين.

وينتقل إلى لون أصعب من المعارضات.. معارضة أبي العلاء في لزومياته[1]!!

وإليك نماذج منها:

[قافية الدالين بينهما ياء]

يـا قـادمـا مـن مـصـر مـن ثوبه ... يتضوع العنبر هل من جديد؟!
كيف غـدت سكة زرع النوى ... وبركة الفيل، وباب الحديد[2]؟!
ألا يُـــرَى داهـــسَـــا فيكمو ... ترامكمُ فوق القضيب المديد؟!
وهـل نساء الـقُـطْـرِ قـد اقلعت ... عن ذلك اللَّطْم وذاك العديد؟!
وهـل يلى الأروامَ تجريعكم ... صفراء حمراء كلون الصديد؟!
والصفع في الأقـسـام ما حالُه؟ ... هل خف نوعا، أم قَـوِيّ شديد؟!

[قافية الميم والواو والسين]

منطق جديد!

قـد شـاء ربـك حينا أن يؤدبنا ... وأن يُوَلِّي علي التأديب جاموسا
نَطْحٌ، ونَـزْو، وعِلم لا يُفيد، ولم ... يَحفظ مع الجهل آدابـا وناموسا
فـكـان أن الـتـي تنحط عالمة ... وأنـــت جـاهـلـة يـاسـت دوسـا

[قافية الزاى والواو واللام]

الصحة العمومية!

شـكـت أسـمـاء أن الـبَـعْـ ... ـــــل[3] مـسـلـول ومـهـزول

---

(1) «اللزوميات»، أو «لزوم ما لايلزم» قصائد شق فيها أبو العلاء على نفسه، وألزمها ما لا يلزم من حيث القافية في الشعر.
فالقصائد العادية قافيها «حرف واحد» إن كان فيها ميم نسميها «ميمية»، أو نون نسميها «نونية»، أو سين نسميها «سينية»، ولكن أبا العلاء جعل القافية في القصيدة تنتهى بحرفين متشابهين من أول القصيدة إلى آخره مثل حديد. وجديد، ومدير وهكذا.
لقد ألزم نفسه بدالين بينهما ياء بدلا من دال واحدة. وأبو العلاء هو الشاعر الفيلسوف نشأ بالمعرة وعُمِّر حتى مات سنة 449 هـ بعد أن ترك شعرا كثيرا ورسائل مختلفة.

(2) سكة زرع النوى، وبركة الفيل، وباب الحديد: أماكن بالقاهرة.

(3) البعل: الزوج.

فقلنا: ليس بدعًا ذا ... ك أفيون، ومَنزول!
ألا يا باعة المنزو[1] ... لِ في وادي العمي، زولوا

قافية الياء والدال [خرافة!]

كم من أراضٍ خصبة ... موقوفةٍ للسيد[2]
وصروح بربعَ، كل صر ... ح شامخ ومُشَيِّد
هذا لأن أبا الـ ... ـسائر ذو غياث جيد
كم نكبة نزلت بطنطا ... لا تعد على السيد

قافية الميم والكاف [امتيازات]

لي عتاب يطول جدّا ... على أمة اليمك
جعلتنا أحط من ... أمة الصيد والسمك
قل لنا يا جمال[3] عن ... أمة أرخصت دمك
هل تخطيت أرضها ... طالبا أن تعظمك
كان قد سل سيفه ... فنزيلوس وخرشمك
أو لسنا الذين كنا ... جميعا نعظمك؟!
علم اللّه أن جنـ ... ـس بني الترك (شقلمك)

قافية اللام والسين [الإفلاس]

أفلست حينا لا أبث شكاية ... حتى عرفت فضيلة الإفلاسِ
المفلسون (هُديتَ) أكبر فطنة ... لتغامز الإخوان والجُلاسَ
ولقد يَغُمّ عليَ الغنى صديقه ... إذ لا يرى أبدا سوى مِحلاس

قافية العين والدال [الأذال]

لقد غَشِيَت جوَّ الكِنانة غُمةٌ سمعتُ لها –والشمس طالعة– رعدًا فقلت: أَسرافيل ينفخ صُورَه؟ فقيل: بل الأنذال قد ضربوا سعد[4] وباءوا بخزى أبعد اللّه ضربهم وزاد خطاهم في جهنمه بُعدا.

(1) معجون يُدّعى أنه يقوى الجنس، ويساعد عليه.
(2) المراد به: السيد البدوى صاحب المقام الشهير بطنطا.
(3) جمال باشا التركى. (4) المراد: سعد باشا.

قافية الخاء والراء [ابن آدم]

حسب ابـن آدمَ احـتـقـارًا أنه ... للسعى في طلب الطعام مُسَخر
وأضـلـنـا مـن بـطـنـه مـتـقـدم ... نـحـو الأمـام ورأسـه متأخر
علم الـذي يمشى بـأن طعامَه ... مـن بـطـنـه لـدمـاغـه يتبخر
فابعد-بعدت عن الفلافة- إنها ... لبخارها عند الـرقـاد تشخر

قافية الخاء المفتوحة واللام [بلاد الروم]

ضاقت بـلاد الـروم وهـي فسيحة ... من ردف قسطندي ووجه مَخالي
فاستجديا في مصر حتى أسسا ... (بنكا) لرهن الطشت والخَلْخَالِ

قافية الراء والقاف [الأجانب!]

قـد صـبـرنـا عـلـي الأجـا ... نـب، مَـن عـاثَ أو سـرق
والـذي بـات مـفـلـسـا ... وادعـي أنـه احـتـرق
وبـذلـنـا لـحـو مـنـا ... حـتـي لـم نـشـرب الـمـرق
كـل هـذا مـحـبـب ... جـنـب مـن[1] قـلـد الـورق!

قافية النون والكاف المكسورة
شكوى الفقر!

سُـلَـيْـمَـى، لـم يـكـن بُـعـدى ... لِـصَـدّ، أو غـنـي عـنـك
ولـكـن لـم أكـن ألـقـى ... بـجـيـبـى نـصـف أفـرنـك
ولا قـرشـا بـه اشـتـرى ... لـعـيـنـى قـطـرة الـزّنـك
كـفـي بـالـفـقـر والـتـنـطـيـ ... ـط مـنـاعـا عـن الـهـنـك
عـسـى أن تـصـل الـشـكـ ... ـوي لطلعت عـاهـل البنك
هـو الـحـرب الـذي أضـحـى ... بـمـصـر هـازم الـهـنـك

(1) مزيفو العملة!

قافية الزاى والواو والقاف
الغنى والفقير

خَـلِّ الأنـامَ ولا تأمل منافعهم ... فاللّه قد خلق الإنسان مرزوقا
هم يأخذون نفيس الشيء إن طلبوا ... وإن همو وهبوا أعطوك (...)[1]
تـري الغنى بعيدا عنك مختبئًا ... أمـا الفقير.. تـراه فيك ملزوقا
كم جاءني من فقير يشتكى سغبًا ... ومـن غنى بطين جـاء محزوقا!

قافية الراء والياء والدال
ساعى البريد

كـم مـرةٍ كـتـبـت فـريـ ... ـدةَ بـالـغـرام إلـى فـريـد
وجـوابـهـا فـيـه مـيـ ... ـعـادٌ يجمع الشمل الشريد!
واللّـه أحـمـد أنـنـى ... لـم أشـتـغـل سـاعـى بـريـد!

قافية الراء والواو والتاء [الناس]

الأرض عندى كلها أرض فلا ... باريسها تمتاز عـن بيروتها
والـنـاس فـي نظرى سـواء كلها ... شريفها ما امتاز عن عكروتها
ويغيظنى أنـى رأيـت جماعة ... حملت - لتعرفها الدُّنى- بكروتها
ولقد ضحكت من الجبابرة التى ... زلـت بها الأقـدام فـي جبروتها

قافية الباء، والياء، والباء

الـلّـه يـنـهـي عـن الـمـعـاصـي ... كالشم، والـشـد، والـزبـيـب[2]
والـغـمـز، والـهـز، والـتـدانـي ... بـالـجـسـم للجسم والـدبـيـب
فـكـل هـذا يـمـيـت حـتـي ... لـو كـان فـيـه رضـي الحبيب

(1) كلمة معروفة وضعها مكانها...
(2) شراب كحولى يتخذ من الزبيب.

وإن تعش تضطلع بداء تبكي له بالدم الصبيب
من كان للّه غير عانٍ[1] فسوف يعفو إلي الطبيب

قافية التاء والواو والنون

المفغلون!

أقسمت بالتين والزيتون أن لنا
مداركا لا تعى تينا وزيتونا
أهل البسيطة جهال وعالمهم
لجهلهم قد غدا بالعلم مفتونا
هل يعلم النجم أن الأرض قد ملئت
مغفلين وقد سموه نبتونا؟!

قافية الباء المفتوحة بعدها مد وهمزة

كم مثلكم كان، أهل مصر
خلقا، وقد أصبحوا هَبَاء
أوْدت بهم أمةٌ أعدّت
لهم بخارا وكهرباء
فإن عدمتم كذا عددا
يوما، فلن تعدموا الوباء

من أشهر قصائده

ومن أشهر قصائده تلك التى عارض بها قصيدة الشاعر «عمر بن الفارض» التى يقول فيها:

أنتم فروضى ونفلى
أنتم حديثى وشغلى

(1) عانٍ: خاضع.

فيقول بيرم مصورا حال بعض معاصريه:

أهـــــل الـــكـــلـــوب ومالى عن الكلوب تخلّى
قـضـيـت فـيـه حـيـاتـى عـلـى سـبـيـل الـتـسـلـى
الـــنـــاس تـلـعـب يـومـا وكـــان لـعـبـى تـمـلّـى
كـفـى بـحـسـبـى دلـيـلا وشَـــعـــرى الـمـتـدلـى
وبَـــدْلـــةٍ لـيـس فيها مـــن الـنـظـافـه مِـلّـى
وجـزمـة بـنـت (...)[1] منها تـرى الـنـاس رِجلى
والأكـــل خـبـز وفـجـل لا، بـل، ومـن غير فجل!

بيرم وشعراء عصره!

مَن أشهر الشعراء؟!

كان بيرم التونسى ناقدا، ومن أحكامه النقدية في فكاهة قوله:

(سئل أديب كبير من كبار الأدباتية، يسكن في سوق الليمون، ويسرح جهة الحسينية: من أشعر الشعراء في مصر الفيحاء؟ فأجاب: شوقى بك إذا طرب، والحاج محمد الهراوى؟ إذا هرب، وعبد القادر أفندى المازنى إذا تعب!

وعباس أفندى العقاد إن كان بأَتب، وخليل أفندى مطران إن ظل في حلب!

وحافظ بك إبراهيم لو تمجلس على المكتب، وأحمد أفندى نسيم في دار الكتب، وأحمد أفندى رامى إذا ولول وندب.

وعبد الرحمن أفندى شكرى لو قرأ نهاية الأرَب.

والشيخ بعدالمطلب إذا أرخى العدب[2].

وأحمد أفندى الكاشف إن سار على نهج إبراهيم بك العرب.

وأحمد أفندى محرم لو كان من أرباب العزب.

ومحمود أفندى عمار لو عرف السبب.

(1) حيوان أليف لا نحب أن يجرى على الألسنة حين السب والشتم.
(2) جمع عدية، وهى طرف العمامة المتدلى.

وحسن أفندى الدرش لو ضم الركب من غير تعب.

ومصطفى أفندى صادق الرافعى لو سمع فطرب.

والشيخ الهِهْياوى لو خطّآ العتب.)

وقد قلد شعراء عصره فأبدع!

وإليك نماذج من هذه المحاكاة!

لقد قال شعرا معتبرا نفسه مكان كل منهم معبرا عنهم بلسانه!

ترى ماذا قال؟!

هو والمازنى والعقاد

يا إبراهيم يا مازنى.. ليه ما عرفتش مالى
كـل مـا اكـتـب اتلقى طيفك قبالى
احشرك في الوسِطْ واعمل بك تقالى
قول لى إيه أصل السبب في دى الأذيه؟
أخبرك إيـه السبب في دى اللجاجه
والـلّـى دمـك خفيف خالى السماجه
ثانيا: إنـك ضعيف ما تقولش حاجة
لا زجـل تنظم ولا تـرفـع قضيه!!
من كـده بامسك في زورك كل ساعة
لما مـا الـقـاش كلمتين أمـلا البتاعه
آل مفيش غيرك هُزُء، شوف دى الفظاعه
امْـتـثـل.. أمـــرك لـخـلاق الـبـريـه
يا إبراهيم، حيث أن باظ سوق الجرايد
قـوم ندعبس عالمعاش ياما موايد
مـدّهـا سـيـدك بـــلاش، فيها فـوايـد
لِـلّـى يِـنْـهَـبْ، والـلـى يلهط، مستويه
خذ قفايه، وهات قفاك، وامسك معايا
طار صفيح، والبس يا واد طرطور برايه

واتْـمَـسَـخْ مثلك، وانظم لك حكاية
ونــدُور احنا الجوز نــزور الحلوجيه
وإن لبس «عباس»[1] كمان زعبوط وصدار
فوقه عِ/ّه مِــزَهّــرَه مــن فرمه مصغر
هــو بــالأرغــول يقسم واحــنــا نجعر
عــا الطبل تنجح تــمــام الكومبانِيّة

❊ ❊ ❊ ❊

ننجعص زى الــذوات، والعصر نسرح
في البلد، نشيل هموم الناس ونشرح
منها شغله، ومنها فسحه، ومنها نريح
تبقى دى صدقنى عين «العبقرية»

❊ ❊ ❊ ❊

وإن كسبنا نــروح لعزمى الاحتياطى
بالفطاير والــسـجـايـر تـحـت باطى
بلكى -مين عــارف- يجيبنا يوم نطاطا
روسنا في التخشيبة تبقى لنا الهدية
يا إبراهيم[2]، كار البلا، الزفت، الصحافة
تمشى فيه بــس اللطايف واللطافة
أمــا جـبـار مثلى، وصــاحــب سخافة
مثلك أنــت، الفقر أولــى بــك وبيّه
حيث بان، الشعب ماسك لك خصومه
من زنــاخ عقلك وأنــا ضدلىّ الحكومة
قول لهم: ينفوك، واحْظَى بك يا بومة
أو يــخــلــونــى أجــيــلــك مــن عِــنــيّــهْ

٣١/ ١/ ١٩٢٨ م

(1) يقصد عباس العقاد صاحب المازنى.
(2) يقصد إبراهيم المازنى.

بيرم ومدرسة الفنون

«مدرسة الفنون» عنوان مقالات عدة ضاع أكثرها، وقد عرض بيرم في تلك المقالات ألوانا شتى من الفنون منها:

1 – فن الدلع، وفن الشعر، وفن الحماقة، وفن السرقة، وفن الغزل، وفن الاحترام... إلخ

وإليك نموذجا من تلك الفنون، ألا وهو:

فن الشعر

(سنة أولى شعر)

أ – تحضير:

شعراء المدرسة القديمة، يجمع أحدهم قوافى القصيدة، التى تعجبه، فتكون مثلا: فطس، وعكس، ورفس، ونفس.

فإذا حصل على خمسين كلمة على هذا الوزن شرع في التفكير في موضوع قصيدته، وفي الغالب لا يعرف كيف يجعل موضوع قصيدته، فيخرج الورقة من جيبه أينما حل: في القطار.. وفي المرحاض، وعلى المائدة، حتى يهتدى إلى الفكرة التى توافقها الكلمات التى معه.

فإن كان من العصريين جعل عنوان القصيدة: «دموع السحاب»، أو «صفعات النسيم».

وإن كان من المحافظين صرفها إلى تهنئه صديقه الذي ترقى من وكيل نيابة إلى قاضٍ!

ب– كيف ينظم الشعر؟

قلنا: إن معه قوافىَ سينية، فيتأمل المعنى الذي يصلح لكلمة «نفس» فيتبادر إلى ذهنه الشعر، في جلمة «قتلت نفسى»!

ثم يتوسع في الوزن، فيضيف إليها «لامًا» فتبقى «لقتلت نفسى»!

وهنا مناسبة طيبة ليضع في البيت كلمة «لو» وهى من ملامح الشعر لاعربى وخواصه فيكتب البيت كتابة ابتدائية هكذا:

ولو ..... لقتلت نفيس .....

ثم يطوى الورقة ويضعها في جيبه، ويتفرغ للتفكير، فترى بصره ذاهلا بين السماء والأرض، وهو يفتش عن الكلام الذي يملأ الفراغ بين «لو» والتى بعدها، فيخطر له جمل عديدة منها:

ولـــــولا أنـــنـــى أجـــد الـتـسـلـى

فـــريـــد زمـــانـــه لـقـتـلـت نـفـسـى!

وقد يعرض البيت الذي يختاره على أحد الأزهريين، فيبدى له وجه الركاكة النحوية في «لو وجوابها» فيحذف البيت كله؛ ويبقى كلمة «نفسى».

ثم يستريح من النظم أياما، وإذا بالجرائد تنشر خبر نعى أحد الوجهاء، فيحول القصيدة إلى رثاء له بعد أن يكون غير فيها وبدّل، ويكون البيت الذي فيه «نفسى» صار هكذا:

ليتها - تـقـبـل الـــفـــداء- المنايا

عـــن جـلـيـل فـافـتـديـك بنفسى!

سنة ثانية:

(المطلع - الديباجة - بيت القصيد)

أ- المطلع:

أصحاب العمم المتينة يقولون: إن «المطلع هو أحسن شيء في القصيدة» فلابد أن يكون جملة إنشائية مدهشة، أو إخبارية مفجعة، أو استفهاما إنكاريا.

يعنى أن مطالع قصائد الأموات تكون هكذا:

هـــال الـبـرّيـة خَـطْـبٌ أطـفـأ الشُّهَبا

والشمسُ غابت، ومـاد الكون وانقلبا

ومطلع قصائد الحب:

يـا نـسـيـم الـصـبـاح بـلـغ سـلامـى
لـلـتـى حـرّمـت عـلـيَّ مـنـامـى!

ب- الديباجة

أما الديباجة، فلها أنصار يجعلونها كل شيء في الشعر العربى وكل من تخير الألفاظ، وأجاد سبكها يبقى أمير الشعراء.

والذي يصرف قوته إلى التعبير عما يراه، فلا قيمة له كعباس العقاد، فإنه يصف مصر بمثل هذا البيت:

بـلـد يـجـود الـبُـرَ فـوق أديـمـه
لـلآكـلـيـن، ولا يـجـود الـغـار!!

يقول: إن المصريين أكلةٌ فقط، فبلدهم لا يجود لهم بغير البُرّ «القمح» وليس فيهم جبار عبقرى يستحق أن تنبت مصر لأجله شجر الغاز الذي تعقد منه تيجان العباقرة!

ولكن أصغر الفقهاء عمة، وأوسعهم معرفة يقول لك:

ما هذا التنافر؟ وما هذه الفهاهة[1]؟ لماذا جعل «البُرّ» و «الغار» في بيت واحد؟

هلا قرأ ديوان البحترى، وتعلم منه الجزالة، ومراعاة النظير فقال:

بـلـد يـجـود الـبـر فـوق أديـمـه
لـلآكـلـيـن، ويـنـبـت الـنـوار

أو: للآكلين وتعبق الأزهار!

جـ- «بيت القصيد»:

أي بيت في قصائد الشعراء يمكن أن تجعله «بيت القصيد» لأن أبيات كل قصيدة تقبل «التقنيط» كورق اللعب! مهما «فنطته» صَلُح للعب[2]!

(1) الفهاهة: العِيّ والعجز عن الكلام.
(2) وهذا من عيوب القصيدة العربية التى تكاد تخلو من وحدة موضوعية.

الفن.. يا طالب الفن

الفن من وجهة نظر بيرم يحدثنا عنه فيما يأتى:

الـــفـــن يـــا هـــل الـطـبـيـعـة
روح تـــخـــاطـــب روح
بـــلُـــغـــاهـــا
والـــفـــن يـــا هـــل الـمـحَـبَـه
ـــــه عـــيـــن تـــكـــلـــم عـــيـــن
بـــنـــبـــاهـــه
والـــفـــن يـــا هـــل الـــقـــلـــوب، صـ
ـــــوت مـــن ســـكـــوت الـــمـــوت
أحـــيـــاهـــا
يـــا طـــالـــب الـــفـــن، افـــتـــح لـ
ـــــك كـــتـــب فـــي الـــفـــن
تـــقـــراهـــا
يـــا مـــطـــول الـــشـــعـــر، ومـــشـ
لـــشـــل بـــدَلْـــوُولْـــتـــيـــن
ومـــبـــلّـــم
شـــوف الـــنـــجـــوم فـــي الـــ
ســـمـــا مـــتـــوجـــهـــه عـــلـــى فـــيـــن
واتـــعـــلـــم
ورد الـــخـــدود فـــن
فـــيـــه الـــفـــن يـــتـــغـــيـــر
طـــول الـــقـــدود فـــن
فـــيـــه الـــعـــيـــن تِـــتـــحـــيّـــر
وكـــل شـــيء فـــي الـــحـــيـــ
ـــــاة بـــالـــفـــن مـــتـــســـيـــر
يـــا طـــالـــب الـــفـــن!

بروفة ثانية 25/ 9/ 2019

الشاعر الظريف والناثر اللطيف

محمد حفنى ناصف

صورة قلمية:

قدم لشعره الدكتور طه حسين حسين بقوله: (كان ذكى القلب، خصب الذهن، نافذ البصيرة، حاضر البديهة، سريع الخاطر، ذرب اللسان!

وكان أسمح الناس طبعا، وأسجحهم خلقا، وأرجحهم، وأعذبهم روحا، وأرفعهم شمائل!

وكان يلقاك فتأنس إلى محضره، ويغيب عنك فتشتاق إلى لقائه، وكان مكفوف الأذى، مبسوط المَعرَف[1]، لا يلقى الناس إلا بما يحبون، ولا يذكرهم إن غابوا عنه إلا بما يرضيهم إن عرفوه.

وكان أبغض الناس للغرور، وأحبهم للتواضع، وأزهدهم في التكثر بعمل أو قول.

عرفته من بعيد حين كانت أنباؤه، وفكاهاته ونوادره تسّاقط إلينا أيام كنا في الأزهر، فنازعتنى نفسى إلى لقائه أشد النزاع، وتقطعت بينى وبين ذلك الأسباب!، وأين كنت منه؟ وأين كان منى؟ كنت طالبا في الأزهر أقصى ما أطمح إليه أن أختلف إلى الدروس، وأفهم من الشيوخ، وألقى هذا أو ذاك من أساتذتنا بين حين وحين، وكان من هذه الطبقة التى نتحدث عنها، ولا نرقى إليها!

ثم أتيح لى لقاؤه في الجامعة المصرية القديمة ذات مساء مع أحمد زكى رحمه اللّه؛ فقدمنى إليه!

وكان أحمد زكى قد درس لنا «تاريخ الحضارة الإسلامية» حينا في الجامعة، ثم انقطع عن هذا الدرس، فقال مداعبا:

لا تحزنوا فقد عوضكم اللّه من الدرهم دينارًا؛ فيسحاضركم هذا اليوم «أستاذنا حفنى ناصف»!!

(1) جمعه معارف، وهى الملامح، ويقال: حسن المعارف: الوجه وما يظهر منه، وحيا الله المعارف: الوجوه.

ولم أر كذلك اليوم حياء، ولا تواضعا حين سمعت «حفنى ناصف» يقول بصوت متهدج، ولسان متلعثم: «أستغفر اللّه بل عوضكم من الدينار مليما!!».

ثم اختلفت إلى دروسه في الجامعة، فراقنى منها أول ما راقنى: لين الجانب، وارتفاع الكلفة بينه وبين الطلاب، وتحدثه إليهم وكأنه واحد منهم، وحرصه الشديد على أن يبلغ منهم منازل الرضا في كل حال» (طه حسين).

وبعد: فهذه صورة قلمية لحفنى ناصف أبدع تصويرها تلميذه «طه حسين».. تلميذه البَرّ، وما أجمل أن يعايشه القراء في الجانب المرح من حياته لتنعشنا نوادره ونكاته التى بلغت القمة. فتعال نروح عن أنفسنا).

ثم أما بعد...

فحفنى ناصف هو القاضى الفاضل، والشاعر الكاتب: محمد حفنى ناصف.

نشأ يتيما فقيرا، ودرس بالأزهر، ودار العلوم، وشغل عدة مناصب في القضاء والتعليم، فكان مثلا جميلا للنزاهة والكفاية، وقد توفى سنة 1919م.

وكان فكها عالى الأسلوب شعرا ونثرا.

وفضله كبير في نهضتنا الحديثة في العلم والأدب!

فتعال إلى شعره الفكة..

حفنى ناصف في مرآة الشاعر حافظ إبراهيم

يوم انتقل «حفنى ناصف» من القضاء إلى التفتيش بنظارة (وزارة) المعارف وفي حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريمه- ألقى الشاعر حافظ هذه القصيدة التى نشرت سنة 1912 م:

يـايـوم تـكـريـم (حفنى) أرهـفـتَ للقولِ ذهـنـى[1]
فـيـا قـريـضُ أجـبـنـى ويـا بـيـانُ أَعِـنَّـي[2]
عَـلِّـى أفـى بـعـضَ دَيْـنـى إن كـان ذلـك يُـغْـنـي[3]
يـامـن ضـربـتَ بسهمٍ فـي كـل عـلـمٍ وفَـنّ

(1) الإرهاف: الشحذ، والتحديد. (2) القريض: الشعر. (3) عَلّى: لَعَلّى.

بـنـيـتَ لـلـشـعـر فـيـنـاَ والـنـثـر أعـظَـم رُكْـن
ومـا خُـلِـقْـتَ لَـعَـمْـرى فـي الـشَـرق إلاَ لتبني[1]
فـكـلّ ربِّ يَـراعِ في مِصْرَ خِرِّيجُ حفني[2]
ولا أقـول لـحـفـنـىَ ما قيل قِـدْمَـا (لِـمَـعْـن)[3]
لا تـنـسَ عـيـشـا تـولّـى مـا بـيـن شـرح ومـتـن[4]
ولّـى شـبـابـك فـيـه مـا بـيـن مَـدّ وغَـنَ
وذقـت مِـن جـاء زيـد ومـن شـروح الـشُّـمُـنِّـي[5]
ومـن حـواشـى الحواشى علي مُتون (ابـن جنَي)[6]
مـا لـم تُـذك الـلـيـالـى قـلَـبـن ظـهـر الـمِـجَـنِّ[7]
أيـامَ سـلـطـانُ يلهو (بـمِـشِّـه) ويـغـنـي[8]
يـبـيـت يـقـصـع مـالـم أسـمـه أو أُكَـنّـي[9]
يـشـكـو إلـيـك وتـشـكـو إلـيـه عـيـشـة غَـبْـن
أيـام يـدعـوك (حـفـنـى): مـن الـحـيـاةِ أجـرنـى!
هـات الـمـسـدسَ إنـى سئمت (مشِّي) و (جُبنى)
مـن لـي بـدرهـم لـحـم عـلـيـه حـبَّـةُ سَـمْـن[10]
قـرمـتُ والـلّـه إنـىَ صـات عصافيرُ بطني[11]

(1) لَعَمرى: قسم. (2) اليَراع: القلم.
(3) قدما: قديما. ومعن هو معن بن زائدة الذي ضرب به المثل في الحلم، وقد أتاه رجل محاولا أن يستثيره فهجاه بقصيدة جاء فيها:

أتـذكـر إذا لحافك جلد شـاةٍ وإذ نعلاك من جلد البعير؟!

(4) يريد بهذا البيت وما بعده تذكيره بعهده في الأزهر وما لاقاه من شطف العيش فيه أيام أن كان طالبا به مع زميله سلطان محمد بك.
(5) الشُّمُنّى: هو العباس تقى الدين أحمد بن محمد الحنفى من علماء القرن التاسع.
(6) ابن جنى هو أبو الفتح عثمان بن جنى إمام معروف من أئمة النحو.
(7) «ما» مفعول به لقوله قبل: «وذقت» والمِجَنّ: الترس، وقلبن له ظهر المجن: أي تغيرن عليه وتنكرن له، وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحول عنها.
(8) يريد بسلطان: سلطان محمد بك زميل حفنى بك، وكان مجاورا معه في الأزهر، تخرج في دار العلوم ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة. (9) يقصع: قملا ويميته.
(10) الحبة: جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم.
(11) قرم إلى اللحم قرَما (بالتحريك) اشتدت شهوته إليه. وصياح عصافير البطن: كناية عن شدة الجوع.

أيـــام عـــيـــدُك يـــوم ... تـــفـــوز فـــيـــه بـــدُهـــن
أيـــام (مَـــهْـــيَـــأ) أشـهـى ... إليك من (سَـنْ جُـوَنّـى)[1]
أقـــــول هـــــذا وإنـــى ... لـمـحـسـن فـيـك ظنى
فـــإن غـــدوت وزيـــرَا ... يـــومَـــا وجـئـنـا نهنى
فـلا تـكُـنْ ذا حـجـابٍ ... ولا تُـطِـلْ فـي التجنى
ولا تـقـل مـن غـرور ... يـايـهـا الـنـاس إنـى

❊ ❊ ❊ ❊

أخـشـى عـلـيـك المنايا ... حـتـى كـأنـك مِـنـى[2]
إذا شـكـوتَ صُـداعـا ... أطـلـتُ تـسْـهـيـدَ جَفنى
وإن عـــــراك هُـــــزال ... هـيـأتُ لَـحـدِى وقُطنى
وإن دعـــــوتُ لـحـىَّ ... يَـومـا فـإيـاكَ أَعْـنـى
عُـمْـرى بـعُـمْـرك رهـنٌ ... فـعِـشْ ألـفَ قَـرْنِ!
أسـرفـتُ فـي اَلـمـزح ... فاصفح ياسيدى واعفُ عَنّى
واسـمـع مَـديـحَ مُـحِـبٍّ ... يُـطـرى بـحَـقّ ويُـثْـنـى
لـقـد جـمـعـت خـلالا ... تـضـمـنـت كـل حُـسْـن
مـفـتـشـا وفـقـيـهـا ... وقـاضـيَـا وابـن فَـن[3]
إن (الـمـعـارف) فـازت ... بـمُـنْـيَـةِ الـمـتَـمَـنّـي
(بـحِـشْـمَـت) و (عـلـيَّ ... أبى الفتوحِ) و(حفنى)[4]

(1) مهيأ: اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر، و (سان جونى): اسم لبائع حلواء مفي مدينة حلوان. أنشأ قصرا في روضة على الشاطئ الشرقى للنيل عند حلوان.

(2) يشير بهذا البيت والأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفنى وحافظ، وذلك أنه لما توفى الشيخ محمد عده وقف على قبره يوم تأبينه ستة من الخطباء وهم: الشيخ أبو خطوة، وحسن عاصم باشا وحسن عبد الرازق باشا، وقاسم أمين بك، وحفنى ناصف بك، وحافظ إبراهيم، وقد مات الأربعة الأولون واحد بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم التأبين، وجاءت النوبة على حفنى ناصف. وكان قد بعث إلى حافظ بابيات يذكره فيها بالموت، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية.

(3) «ابن فن» كلمة شائعة الاستعمال بمصر يوصف بها الظرفاء، وأصحاب النكت الطريفة، والفكاهات الرقيقة.

(4) يريد بحشمت: أحمد باشا وزير (المعارف) إذ ذاك وعلى أبو الفتوح وكيلها.

مع حفني ناصف في:
طرائفه الشعرية!

يقول عباس محمود العقاد:

«كان أبناء الجيل الماضي إذا سمعوا رجلا يفهم النكتة في المجلس، ويحسن ردها، ويحفظ النادرة، ويتأنق في سردها، ويروى الأخبار، وينشد الأشعار، سألوه وهم على يقين أنه شاعر مجيد: هل لك شعر في هذا المعنى؟ وهل قلت في الغزل والنسيب، أو في المدح والهجاء، أو في غيرها من أغراض القصيد؟!

وكان حفني ناصف على شرط الشاعر عندهم وزيادة!!»

نكتة لاذعة!

كان للطلبة بالأزهر قديما عدة أروقة[1]، فهذا رواق للشوام، وذاك للصعايدة، وآخر للشراقوة، وكان لكل رواق شيخ يشرف عليه، ويتولى أموره، وكان الشيخ «الغربى» شيخا لرواق الشراقوة، فقال حفني ناصف فيه بيتين هما:

عجبت لأمـر يستفز أولـى النُّهى[2]
وتصدع عند الحر ذكـراه في القلب
عجبت لأهـل الـشـرق؛ كيف تحملوا
على ما بهم من عزة إمـرةَ «الغربى»[3]

جبس وجير

ومن توريته اللطيفة ما أشار به إلى اثنين من كبار الموظفين الانجليز اسمهما: (جبس) و (جير):

(1) الرواق – بضم الراء أو بكسرها – واحد الأروقة: بيت كالفسطاط يحمل على عمود طويل ورواق البيت مقدمه. وسقيفة للدراسة في مسجد أو معبد أو غيرهما. وركن في ندوة أو منظمة للتلاقي والتشاور.

(2) النُّهى: جمع نُهية، والمراد بها العقل. وأولو النهى: أصحاب العقول.

(3) التورية في «الغربى» فهى إما أن تقابل الشرقية، وهى مديرية كانت تقابل «مديرية الغربية» وقد أصبحنا محافظيتين الآن!

لـــمـــصـــرَ بـــئـــسَ الـــمـــصـــيـــر
الـــعـــيـــشُ فـــيـــهـــا مـــريـــرُ
والـــقـــوم طـــيـــنٌ؛ لـــهـــذا
قـــد ســـادَ جـــبـــس وجـــيـــرُ[1]

سمك وطير

ذات يوم وصلت إليه هدية من سمك وطيور فقال:

ورد الـكـتـاب،وجـاءنـا الـسَّـمـكُ
فـلْـيَـسْـلَـمِ الـصـيـادُ والـشَّـبـك
وأقـــام فـيـمـا بـيـن أضـلـعـنـا
فـبـطـونـنـا مـن أجـلـه بِـرَكُ
والـطـيـرُ لـمـاجـاءنـا بُـسِـطَـتْ
فـي جـوفـنـا لـقـدومـه الـدكـكُ
وامـتـدت الأيـدى مُـسَـلّـمـةَ
واصـطـكَـت الأضـراس والـحَـنَـكُ
خـفـضَ الـجـنـاح مـؤمـلا فـرجَـا
مـذ سُـدِّدَت فـي وجـهـه السكك
ولـقـد تـوركـنـا عـلـيـه، فـلـم
يـسـلـم لـه مـن بـيـنـنـا وَرِك
دارت بـه الأسـنـانُ مـسـرعـةَ
واصـطـف فـيـمـا حـولـه بُـلُـك[2]

الخرس والعُميان

مكث حفنى ناصف فترة طويلة من «مدرسة الخُرس والعُميان» وطال ضجره وازداد ألمه لنسيانه فقال مازحا:

(1) جبس وجير فيهما تورية فهما أيضا اسمان من مواد البناء!
(2) بلك: يريد صفا من الجند يؤدون تحية الاستقبال.

غلِط الـنـاسُ فـي عُـرابـى[1] ومسامى
حـيـث أَقْـصَـوْهُـمـا إلـى سِـيـلان
وابــن مـوسـى الـعـقـاد حـيـث نَـفَـوهُ
مــع بــاقــى الــثــوارِ لــلــسُّــودان
لــم يُــريــدوا بـهـم عــذابــا، فهلا
أرسـلـوهـم لـلـخُـرس والـعُـمـيـان؟!

وفرض عليه إتمام المدة بمدرسة «الخرس والعميان» فقال:

قـيـل: إن الـمُـقـامَ فيها وإن كـان
شــقــاءَ يُـفـضـى لِـعــزَوجــاهِ
قـد رضـيـنـا طــولَ الإقــامــة فيها
(واسـتـعـنـا على الشقا بـالـلّـه[2]!)

أشكوكَ كُوكَكَ

كان الشاعر (حفنى ناصف) مسافرا إلى الوجه القبلى في إحدى بواخر شركة «كوك» النيلية، وكان معه الشيخ «حمزة فتح اللّه» وآخرون!

فلاحظ أن الشيخ كثير الشكوى من عمال الباخرة، ولا يسما حين يتوضأ وينتشر الماء حوله!!

فأرسل من الصعيد الأبيات الآتية ووجهها إلى (اللورد كرومر)[3] على صفحات «جريدة المقطّم» على أنها من نظم الشيخ.

وكان من مقتضيات السبك تعمد التعقيد اللفظى، وتتافر الحروف، وغرابة المفردات، (كما كان دأب الشيخ وعادته).

ويقال: إن «إسماعيل باش صبرى» هو الذي نسخها مقلدا خط الشيخ!

(1) عرابى: زعيمالثورة العرابية، أحمد عرابى. وسامى هو محمود سامى باش البارودى شريكه في الثورة.
(2) تضمين لمثل سائر.
(3) ممثل بريطانيا ومعتمدها في ذلك الوقت بمصر.

والبيت الأخير مقتبس من قصيدة الشيخ لموتمر استكهلم في موضوع القطار ومطلعها:

• حَمْد السُّرى يا أُخىَّ العَودِ والنابِ•

أما الأبيات فهي:

يـا أيُّـذَا الفيصلُ الـمُـزْجِـى زواجـرَه
صَوْبَ السفن، وثوب السَّوْسِ سَرْيَلَه[1]
أَشْـكُـوكَ كُوكَكَ كىْ ينفكَّ عن جَنفِ
قـد كـان كَـلا، وكُـلٌّ مَـلَ كـلـكَـه[2]
أباتنى والـجِـرشَّـى حشوها صَـجَـرٌ
إن مَـسَ شِقى خشَبُ الفُلك قلقله[3]
أفٍّ لـهـا دجْـنـةَ شـوسـا أسـاودُهـا
صَـرَعْـنَ منى صِـلا لا حَـرَاك لـه[4]
لَـلْـعَـوْدُ والـنـابُ في وَعثاء وخدهِمَا
خـيـرٌ لـمـعـلـوطِ يبغى تـرحُّـلَـه[5]

شحاذ بالشعر

دخل على حفنى ناصف ذات مرة في احد الأندية رجل قل استكتب غيره بيتين قدمهما إليه بدون كلام!.

جـارت عـلـىّ الليالى فـي تصرفها
واغـرقـتـنـى فـي لُـج مـن المحن
فيا عميدَ الـقـوافـى أنـت مُعتصَمى
أَقِـل عـثـارى[6]وأنـصـفـنـى نـم الزمن

(1) الفصيل: السيف، والزواجر: الأوامر الصارمة، والسَّوْس: من السياسة، وسريل: أي كسى.
(2) الجنف: الجور والظلم، والكَلّ: الثقل. والكلكل: الصدر أو ما هو بين الترقوتين.
(3) الجِرشَّى: النفس. والفؤاد.
(4) الدَجنة: الظلمة. شوسا: ذات جرأة. الأساود: الحيات العظيمة، الصل: الثعبان؟ يشفى سمه.
(5) العَوْد: المسن من الإبل، والناب: الناقة المسنة، الوخد: سرعة السير. المعلوط: الذي يركب البعير من عنفه.
(6) أقل عثارى: خذ بيدى من كبوتى وعثرتى!

فأخذ حفني ناصف بورقة وسجل عليها البيتين الآتيين على الفور:

يَـكـاد شِـعـرك يُبكيني ويُضحكني
ولم أزل ساخرا من ظنك[1] الحسن!
فاقْبل عَطائي بـلا شكر ولا غضبِ
فليس-واللّه- في جيبي سوى (شِلِنِ[2])

وأعطاه «خمسة القروش» التي كانت معه، وعاد إلى البيت سائرا على قدميه.

وفي اليوم التالي أرسل إلى صاحبنا ما فيه القسمة!

مَن في الأصل سَمّاكِ؟!

وللشاعر غزل من طراز فيه طرافة، ودعابة!

ارتجله حين كان يستشفي في مدينة «إفيان» المعدنية.. وقد تضمن «ديوان شعره» هذه الأبيات التي كتبها أثناء انتظار القطار كطلب فتاة اسمها «بلانش» أي: بيضاء!.

سألتها؛ ما اسمها؟ قالت: وقد ضحكت:
«بيضاء» قلت لها: لَمْ يُحْصِ مَعْنَاكِ[3]
فـفـيـك جُـمْـلـة ألـــوان مُـدَبَّـجَـةٌ
غيرُ البياض، فمَن في الأصلِ سَمّاك؟!
فـحُـمـرةٌ، واصـفـرارٌ، ثـم أزرقٌ في
خَـدّ، وشَـعْـرٍ، وطَـرْفٍ منك فَـتّـاكِ
حـرّكْـتِ قلبي، وأيقظتِ الـغـرام به
بـكـهـرُبـاءِ الـهـوى مـن غير أسـلاكِ
ومـاءُ «إفـيـانَ» يشفي الناس من سَقَمٍ
لـكـن قـلـبـي لَا يـشـفـيـه إلّاكِ

(1) ظنك الحسن بي، وأنني سوف آخذ بيدك وأحل أزمتك!
(2) كانوا يطلقون الشلن على خمسة القروش، ونصف الفرنك: على قرشين.
(3) أي أن الاسم ليس كالمسمى تماما بل هو يشير إلى جانب من جوانب الحسن فيك التي تعددت كما بين ذلك البيتان الثاني والثالث.

مداعبة الصديق حافظ إبراهيم

كان الإمام «محمد عبده» رائدا ومرشدا فلما لقى ربه وقف على قبره ستة[1] من الأدباء يؤبنونه!

وصادف أن مات منهم أربعة متعاقبون على ترتيبهم في التأبين، وكان حفنى ناصف خامسَهم.

أما الشاعر «حافظ إبراهيم» فكان آخر المؤبنين، فقال حفنى ناصف موجها الخطاب إلى صديقه الشاعر «حافظ إبراهيم» رحمهما الله:

١- أتذكُر إذْ كُنّا علي القبرِ ستَّةً ... نُعَدِّدُ آثارَ الإمام ونَندُبُ؟

٢- وقفنا بترتيب وقد دبَ بيننا ... مَمَاتُ على وَفْقِ الرّثاء مُرَتَّبُ:

٣- أبو خَطْوَةٍ[2] وَلّي، وقفَّاه عاصِمُ[3] ... وجاء لعبد الرازق[4] الموتُ يطلبُ

٤- فلَبّي، وغابت بعده شمسُ قاسم[5] ... وعما قليلٍ نجْمُ مَحياىَ يغرُبُ

٥- فلا تخشَ هُلْكَا ما حَييتُ وإن أمُتْ ... فما أنت إلا خائفٌ تترقبُ[6]

(1) هم على الترتيب: الشيخ أحمد أبو خطوة، وحسن باشا عاصم، وحسن باشا عبد الرازق، وقاسم بك أمين. وحفنى ناصف، وحافظ إبراهيم. والتأبين: ذكر محاسن الميت ومدحه.

(2) عضو المحكمة العليا الشرعية، وهو الذي أصدر حكم التفرقة الزوجية بين الشيخ على يوسف باشا رئيس تحرير جريدة المؤيد، وبين زوجه السيدة صفية بنت الشيخ السادات.

(3) هو حسن باشا عاصم.

(4) هو حسن باشا عبد الرازق والد الراحلين: حسن، ومحمود، ومصطفى شيخ الأزهر، وعلى بك عبد الرازق.

(5) هو قاسم أمين المستشار (صاحب كتابى: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة).

(6) مرض حفنى مرة حفل تأبين الشيخ محمد عبده بفترة طويلة فخطرت على باله ملاحظة غريبة، وهي أن هؤلاء الأعلام توفوا بترتيب إلقائهم للمراثى. فكتب يداعب حافظا، ويطمئنه على حياته مادام هو (حفنى) على قيد الحياة!

وقد وعى حافظ هذا المعنى، فلما دعى لإلقاء قصيدة في حفل تكريم حفنى لنقله من القضاء إلى المعارف قال:

وإن دعوت لحتّى يومًا فإياكَ أعنِى ... عمرى بعمرك رهن فعش ألف قرنِ

ولما توفى حفنى أيقن أن دوره قد أتى فقال:

آذنت شمس جياتى بمغيبِ ... ودنا المنهل يا نفسى فطيبى!

٦- فخَاطِر، وَقَعْ تحت القِطار ولا تَخَفْ ونم تحتَ بيتِ الوقفِ وهو مُخَرَبُ
٧- وخُصْ لجَج الهَيْجاء أعزلَ آمنًا فإن المنايا منك تجري وتهربُ!

حفنى يرتجل بيتا توقف حافظ عن الإتيان به في إحدى المطارحات

كان حفنى ناصف كلما لقى شاعرا أو راوية أغرى ابنه مجد الدين بمطارحته.

ولا يخفى أن المطارحة تتطلب ذاكرة وبديهة يمكن بهما الانتفاع بكل بيت تبعا لحرف الهجاء الذى يبدأ به.

ومما يذكر أن شاعر النيل حافظ إبراهيم كان في إحدى تلك المطارحات[1] برأس البر فأعوزه بيت يبدأ بالنون، فارتجل حفنى ناصف من فوره:

نمتم، ونمنا، ونام الناس كلهم
لما حللتم برأس البر يا لُكَعُ[2]!

حفنى وصديقه جاويش

كان حفنى ناصف رجلا واسع الآفاق، متعدد المسارب[3]، وكان إلى جانب ذلك من أئمة ظرفاء عصره!

وله في مداعباته بيتان قالهما من مداعبة الراحل الشيخ عبد العزيز جاويش!

وقالوا: احتسى هذا الشويش مدامة[4]
ألم تره للبشر يُبدى وللأنس؟!

---

(1) المطارحة مبادلة يبدأ أحد المتطار حين بذكر بيت آخرهُ نون مثل:

يارب لا تحرمنى حبها أبدا
ويرحم الله عبدا قال آمينا

ويبدأ الثاني من حيث انتهى الأول ببيت أوله نون مثل:

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى
نفعل مثل ما فعلوا

وتستمر المطارحة إلى ما شاء الله حتى يتوقف أحدهما، فهو المهزوم!

(2) الكع: اللئيم. (3) جميع مَسْرب، وهو المسلك في خفية.

(4) المدامة: الخمر. احتسى: شرب.

وما ذاق طعم الخمر يومًا، وإنما
به نشوةٌ من كثرة الأكل للعدسِ!

دَعابة حول الإفادة والاستفادة!

اتفق أن نظم الشيخ الحلونى بيتين في مجلس لداعٍ من الدواعى وهما:

إن كنتَ بين أُناسٍ
غُرِّ الفضائل[1] سادهْ
فالبغِ الإفادة واعدِلْ
عنها إلى الاستفادَه[2]

فجوز الشاعر أن يكون عناه فقال بيتين على البديهة من الوزن والقافية، وهما:

إن كنتُ فُهْتُ[3] بشيء
لا ترتضيه السياده
فذاك منىَ سهوٌ
والسهو للمرء عاده

فقال الشيخ الحلوانى بديهة من الوزن والقافية بيتين هما:

لا والذي لم يزل من
علاك يُبدى الزيادة
ما كنتَ ضمن كلامى
لا ولا ادعيتُ السيادة!

مفاجأة لم تكن تخطر له على بال!

ذات يوم فوجئ حفنى ناصف بنقله إلى «قنا» وكان يعمل بسلك القضاء، وأمر النقل بيد «ناظر الحقانية» الذي سمى فيما بعد: وزير العدل، وكان نقل الموظفين أو ترقيتهم إلى بلاد الوجه القبلى لونا من ألوان العقاب والتأديب!

فقال حفنى ناصف مخاطبا ناظر الحقانية، وقد نقله إلى قنا!

(1) غر الفضائل: سادة أشراف.
(2) الإفادة للغير، والاستفادة من الغير.
(3) فهت: تفوهت وقلت.

١- رَقَّيْتنى حِسًا ومَعْنى[1] فَلِصُنْعِكَ الشُّكْرُ المثَنَّى
٢- وجَعلتَ رأسَ الحاسِدِ يـنَ بمصرَ من قَدَمَىَّ أَدْنَى[2]
٣- وجَعلتَ سُدَّة مَنزلى من أسقفِ الهرمين أسنى[3]
٤- أسكنتنى في بُقعةٍ فيها غدوتُ أعزَّ شأنا
٥- أردُ المشارعَ سابقًا والسبقُ عند الورد أهنا[4]
٦- وأزورُ آثارَ الملو ك وكنت قبلُ بها مُعَنّى
٧- بلَدٌ إذا حَلَّتْ به قدَماك قلتَ: حَلَلْتُ حِصْنَا
٨- حَبَل المقطَّم حوله متعطفٌ كالنون حسنا[5]
٩- هيهات أن يصلَ العدوُّ له، ويدركَ ما تمنى

❊ ❊ ❊ ❊

١٠- قالوا: شخصتَ إلى قنا يا مَرحبَا «بقنا» و «إسنا»
١١- قالوا: قِنَا حَرٌّ فقلْ ـتُ، وهل يَرُدّ الحُرَّ قِنّا[6]؟!
١٢- سر الحياة حرارة لولاه ما طيرٌ تغنى
١٣- كلا، ولا زهر تبسـ ـم لا ولا غصن تثنى!
١٤- تتدفَّقُ الأنهارُ من حَرٍّ، وتُزجى الريحُ مُزْنَا[7]!
١٥- ها قد أمنتُ البَرْد والـ بُرَدَاء[8] والقلبُ إطمأنا
١٦- ووُقيتُ أمراض الرطـ ـوبة، واستراقَ الريح وَهْنَا[9]

(1) لفظان للتعبير عن الاستعمال الشائع (ماديا وأدبيا)، وقد قالها سنة 1900م يشكر وزي رالعدل على ترقيته، ويصف مدينة قنا التى نقل إليها، وهى من قبيل الذم في قالب المدح، أو الدفاع عما يتعذر الدفاع عنه، وعلى هذا الوجه راقت القصيدة أهل قنا واعتزوا بها حتى إنهم علقوها في جامع سيدى عبد الرحيم القنائى.
(2) إشارة إلى أن قنا في مصر العليا.
(3) السُّدة: باب الدار، والظلة بباب الدار، والساحة بين يدى الباب.
(4) أن أي ماء النيل يصل إلى قنا قبل أن يصل إلى القاهرة. والمشارع: جمع شريعة، وهى مورد لاماء الذي يستقى منه.
(5) وصف حقيقى لمدينة قنا؛ إذا يحيط بها الجبل كما تحيط النون بنقطتها.
(6) القِن: بكسر فتشديد: العبد.
(7) مزنا: سحبا جمع مزنة وهى السحابة، وتزجى: تسوق وتدفع.
(8) البرد: نزلة تصيب أغشية الجهاز التنفسى المخاطية. والبرداء: الحمى.
(9) الوهن: نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

١٧- ألْـقَـى الـهـواء فـلا أهـا ... بُ لـقـاءه: ظـهـرَا وبَـطْـنَـا
١٨- وأنـــامُ غـيـرَ مُـدَثَّـر ... شيئا إذا مـا الـلـيـلُ جَـنّـا[1]
١٩- قـد خفّتش النفقاتُ إذَ ... لاأشـتـرى صـوفـا وقُـطـنَـا
٢٠- وفَّـرتُ مـن ثمنِ الـوَقُـو ... دِ الـنـصـفَ أو نـصـفَـا وثُـمـنَا
٢١- فالشمسُ تكفلُ رأحتي ... فـكـانـهـا أمـــى وأَحْـلَـــى
٢٢- فـإذا بـدت لـى حـاجـةٌ ... فِي الغُسْل ألقَى الماء سُخْنَا!!
٢٣- أو رُمْـت طبخَا أو عِلا ... جَ الـخـبـز أُلْـفـى الـجـوَّفُـرنـا
٢٤- سُكَنى القرى تدع السفيـ ... ـهَ مُـوَكّـلا بـالـمـال مُـضْـنَـى
٢٥- أي الـمـلاهـى فـيـه يصـ ... ـرِفُ مـالَـه مـنّـى وأنَّـى؟!
٢٦- كـل أمـرئ تـلـقـاهُ مِـن ... بـعـد الـظـهـيـرة مـسـتـكِـنّـا
٢٧- ويـرى الغريب السِّعرَأيْـ ... ـسَـر حـالـة، وأخـفّ غَـبْـنـا
٢٨- يـجـدُ الـحـلـيـبَ بعينهِ ... لـبـنَـا ويـلـفِـى الـسَّـمـنَ سمنا
٢٩- عِـشْ في القُرى رأسا ولا ... تـعِـش مـع الأذنـاب مُـدْنـا
٣٠- وابـأ بنفسك أن تـرى ... مـسـتـمـرئَـا فـي الـعـيـنَ جُـبْـنَـا
٣١- ودع الـجـزيـرة وَالْـمـهَـا ... والـجـسـرَ والـظـبـىَ الأغَـنَّـا[2]
٣٢- واسـألُ الأغـانـى والـغـوا ... نـىَ[3] واسـألِ الـرحـمـنَ عَـوْنـا

صاحبَ الدولةِ ياشيخ الوزارة!

ولما أشرف حفنى ناصف على «الإحالة على المعاش» ببلوغ الستين كتب إلى الراحل: «حسين رشدى باشا»، وكان يومئذ رئيسا للوزارة يسأله أن يمدَّ في أجل خدمته في مفاكهة غاية في الظَّرف والرقة فقال:

صـاحـبَ الـدولـةِ يـاشـيـخَ الـــوزارةُ
حاجتى - إن شئت- تُقْضَى بإشاره
نـالـهـا قـبـلـى أُلـــوف لـم أكـنْ
دُونَـهـم عِـلْـمـا، ولا أدنـى إداره

(1) غير مدثر : بلا غطاء: جن الليل : أظلم.
(2) يقصد الحسناوات في المدينة. وغنّ غُنة: كان في صوته غنة محببة، ويقال: غَن الظبى: فهو أغن.
(3) الغوانى: جمع غانية، وهى المرأة التى استغنت بجمالها عن الزينة.

نـــاهَـــزَ الـــسـتـيـن عـــمـــرى إنـمـا
لـم أزَل الـقُـوى جَـــمّ الـجَـداره
وإذا لـــم يَـــشْـــكُ مِـثـلـى عِـلـةَ
هـل مـن الـحـمـة أن يـلـزمَ دارَهْ
إنّ تـركـى خـدمـةَ الأوطـــان مَـعْ
طـول مـا مـارسـتُ فـي الدنيا خَسَاره
وحَـيـاتـى كـلُّـهـا قـضَـيـتـهـا
تـارَةَ فـي الـعـدلِ، والتعليم تـارَه
لـيـس عـنـدى ضـيـعـة تـكـفـل لي
رزقَ أولادى، ولا عـنـدى تـجـارة
إن أولادى - عـلـى كـثـرتـهـم -
ليس فيهم بعد مـن يكسب «بـاره»
أَبْـقِـنـى بـضـع سـنـيـن ريـثَـمـا
يـقـدر الأكـبـر أن يُـؤوى صِـغـاره
أو غلى أن ينتهى مـا فـي[1] يدى
وهْـــوَ-إن تـــمّ- فـخـار للنظاره

أنت يامولاى-على قربك- أبعد من الثريا، وعلى تواضعك أرفع من كيوان، وعلى ظهورك أخفى من السُّهَى!

إن فازت العين برونقك حجبت الأذن عن منطقك!، وإن تيسَّرَت المحاورة، تعسرت المجاورة!

لي بضعة ايام أتحين الوصول، وأحاول المثول، فلا أجدك إلا في غياب، أو مارّا كالسحاب، أو مجتمعا بنظرائك، أو مضطلعا بأعبائك!

فلما استولى اليأس على النفس، وغلب الانتظار على الاصطبار جعلت هذا الكتاب سفيرى إليك، ونائبى في المثول بين يديك.. فإن كان للإخلاص جزاء، وللولاء وفاء، فهذا وقته والسلام!

(1) كان ذلك سنة 1915، وكان قد عُهد غليه برسم المصحف فأراد أن يتمه في فترة مد الخدمة له! وقد استغرق هذا العمل سَبع سنوات منها ثلاث وهو بالمعاش وقد لقى ربه بعد إنجازه بقليل!

تصيُّد الفرص لتشجيع أبنائه

ركب هو وأحد أبنائه (ترام) العباسية، وكان كل راكب يقرأ على مسند المقعد الذي أمامه:

«إذا أردت النزول اطلب من الكمسارى توقيف القطار».

وهنا قال حفنى ناصف لابنه وكان في الثالثة الابتدائية:

هل يمكنك أن تقلب هذه العبارة شعرا مع الحرص على ألفاظها قدر الطاقة؟!

فأسمعه ولده قدر عليه، وهنا قال حنفى:

ألم يكن الأقرب أن تقول:

إذا رُمتَ النزولَ أُخَيّ فاطلب
من الكمسار توقيف القطار!!

ويصف حنفى ناصف مداعبا تلميذه عبد السلام فهمى المحامى وكان شديد السمرة فيقول:

سلام على عبد السلام ولعنة
من الله تترى كل يومٍ وليلةِ
أرى وجهك الكُسْبِيَّ[1] ينضح سَيْرَجَا
ومبسمك الألمعى مجارى الطحينة!

وبعد.. فتعال إلى طرائفه النثرية!

فكاهته

انتشرت فكاهاته على ألسنة محبيه، ولم يبق منها إلا القليل وقد روى عنه ابنه الأستاذ مجد الدين بعضا منها، وإليك ما رواه:

[1] أهنيكم بقلبى

عندما كان حفنى ناصف ينتظر دوره في الترقية وهو قاض في الصعيد سافر زميل له من الذين يلونه في الترتيب إلى القاهرة متعللا بعذر يخص أسرته!

(1) الكسبيّ: نسبة إلى الكسب- بضم الكاف- وهو ما يخرج من ثقل عصر السمسم.

وهناك سعى حتى (قَلَب) «حفنى» واقتص لنفسه ترقيته التى نشر نبؤها في الجرائد!

وأراد حفنى أن يهنئه، ويشير إلى أنه فهم المقلب، فارسل له برقية لا تزيد على كلمتين عبر بهما عن المعنيين معا فقال:

«**أهنيكم بقلبى!**».

[2] حمار أصلى

ألّف حفنى ناصف من كثرة تخطيه في الترقية، وغمط حقه، وكثرة عدله – جماعة ممن كان حظهم مثل حظه أسماها «جمعية المستحمرين» فسمع بندواتها المشوقة أحد الباشوات، فقال لحفنى عند أول لقاء: إنه يود أن يشترك في «جمعية المُسْتَحَمرين» هذه!

فأجاب حفنى على الفور:

«**إنت مش حايز لشروط العضوية؛ لأنك حمار أصلى!!**».

[3] أنا لازم أبلط لهم في الخط!

بعد صدور حركة ترقيات تخطته كالمعتاد، دخل عليه زميل فوجده يشتغل، وأمامه أكداس من القضايا!

فسأله: «إزاى تجيلك نفس تشتغل بعد كده؟!

فأجاب حفنى على الفور: «أنا لازم «أبلط» و «أرخّم[1] كما!».

[4] قاض في الجنة...

كان حفنى ناصف في مجلس علماء– وكان بعد قاضيا– فأشار أحدهم

إلى صعوبة إقامة الحدود في بعض القضايا مستشهدا بما روى: «قاضٍ في الجنة، وقاضيان في النار»

فأجاب على الفور:

والـ «ناصف» هو الذي في الجنة!

(1) الرخامة في لغة العامة فعل غير المناسب وما لاي يكون مقبولا، ويراد أيضا بقوله «أرخم»: ما يوافق «أبلط» من البلاط، وأرخم من الرخام.

[5] وأنا ماليش دعوة!

بينما كان حفنى داخلا ذات مرة إلى المحكمة في بلد بالصعيد، ظن أحد السذّج من المتقاضين أنه قد يكون من ذلك النوع من المحامين الذين يتصيدون القضايا في فناء المحكمة بأجر زهيد! فقصد إليه، وبدأ الحديث قائلا:

«... أنا ليّ دعوى...» فاستمر حفنى في طريقه وهو يجيب: «وأنا ماليش دعوة!!».

[6] قل لي: رأيت إيه؟!

كان حفنى يسأل في الجلسة شاهدا- كالمعتاد- عن: اسمه وسنه، وسكنه و«صناعته»، فلما وصل إلى الصناعة، قال: مُغَنّى».

فسأله حفنى على الفور: «قال لى: رأيت إيه؟» وهذه العبارة هى مطلع دور مشهور لعبده الحامولى!

[7] ملحوظة «ع الجزمة»

كان حفنى مدعوا في حفل رسمى بطنطا، فأدركه في آخر لحظة لتأخر القطار، ولم يتسع وقته لإصلاح شأنه!

فلما جلس في المكان الخالى إلى جانب (محب باشا)، وكان مديرا للغربية متغطرسا (يكره حفنيا لأنه سبق له أن أصدر حكما لغير صالحه).

فانتهز «محب باشا» هذه الفرصة لينال من حفنى، ومال عليه ملاحظا بصوت مسموع بعض الشيء أنه لم ينفض الغبار عن حذائه قبل أن يأتى إلى حفل رسمى كهذا!!

وهنا مال حفنى على جاره، وقال له من فوره بصوت مسموع كذلك: «المدير كان بيعمل ملحوظة «ع الجزمة»!!

فلم تمض هنيهة حتى ضج الجميع بالضحك، وشعر المدير بالخجل!!

[8] حفنى ومحمد توفيق دياب

كان حفنى يستمع إلى الأستاذ محمد توفيق دياب إذ كان يحاضر في «فن الإلقاء» ويقول:

إن كل كلام يجب أن يقرأ على مقتضى أصول هذا الفن، مع ما يستلزمه المعنى من الحركات التمثيلية، ولو كان هذا الكلام من القرآن!

ولكن المحاضر أصر، وأخذ يسوق أمثله من الآيات المختلفة مع التعبير بالصوت والحركات التمثيلية معا!

فتحداه حفنى ناصف سائلا:

(وإذن فكيف تتلو قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾[يوسف : 32])

فدوت القاعة بالتصفيق، وعدل المحاضر عن رأيه فيما يخص القرآن!

[9] «طظ!»

كان حفنى كثيرا ما يصادف الأستاذ الأديب عزيز خانكى المحامى في أسفاره إلى أوربا.

فقال الأستاذ مرة: (تعرف أن الملح بالتركى اسمه «طظ»؟

فأجابه حفنى على الفور: وأنت تعرف أن السمك بالانجليزى والألمانى اسمه «فِش»؟!

وذلك طبعا إشارة إلى التعبير العامى «طظ فش» أي: بدون نتيجة!

[10] هو خد بيه إمتى؟

سأل حفنى ناصف- وكان المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف- طالبا من الذين تعلموا في إحدى المدارس الاجنبية عن قائل بيت معين من الشعر.

وكان القائل: صفى الدين الحِلِّى.

فأجاب الطالب: صفى الدين: «الحلبى» بزيادة «ب» على الاسم. فقال حفنى مداعبا:

هو خد «بيه» إمتى؟!

[11] صحيح أنك أدباتى!

دخل حفنى ناصف ذات مرة على حمد باشا الباسل على غير موعد فوجده يتناول عشاءه مع بعض الأضياف. فسأل أحدهم حفنيا: أية صدفة هى التى ساقتك إلينا الآن؟!

فقال حفنى: إنه توارد خواطر!

فقال حمد باشا: بل توارد بطون!

وتلا بيتا من زجل لمحمد باشا صدقى كان يداعب به حفنيا وهو:

أبـــوجـــلال مـــن ألـــفـــيـــن مـيـل

شـــم الـطـبـيـخ مـــن غـيـر أســـلاك!!

فأشار حفنى من فوره إلى «الطربوش المغربى» ذي الزر الكبير الذي يلبسه شيخ العرب حمد الباسل وهو يقول: (صحيح أنك أدباتى) وقد لا يعرف الشباب أنه كان يسير في شوارع مصر حتى أوائل القرن العشرين رجال يلبسون مثل هذا الطربوش المغربى يديرون زره في سرعة بحركة من رءوسهم، ويصفع بعضهم بعضا على القفا، وهم يلقون أزجالا ونكات!

[12]

كان حفنى يستشفى في مصحة على جبل من جبال النمسا الجميلة، فأرسل إلى شيخ العرب «حمد الباسل» يدعوه إلى اللحاق به كى يستمتع بطيب المناخ!

فأرسل حمد يقول: إنه يفضل أن يبقى حيث هو بين بدو قبيلته فهو منهم مثل (فرعون).

فرد حفنى قائلا: (أما أنا فوق هذا الجبل فمثل «موسى»).

[13] هو وشحاذ

كان حفنى جالسا في مقهى فمر عليه شحاذ يستجديه وهو يقول له: «ربنا ما يرقد لك جته على أرض»!!

فقال حفنى على الفور: (يعنى حكمت على بأنى أموت غرقان!!)

[14] هو والترزى

دخل حفنى مرة عند ترزى واختار قماشا لبدلة، وخرج مستعجلا، فناداه الترزى قائلا:

إنه لم يأخذ مقاس البدلة حتى يفصّلها!

قال حفنى – وكان بدينًا– (فصلها على زير[1]).

[15] بنسوار عليكم!

دخل عليه – وهو في جماعة بَيْهو فُندق – واحد محييا بقوله: «بنسوار عليكم» فسأل أحد الجالسين: هو بنسوار يأتى بعدها «عليكم»؟ فأجاب حفنى «بنسوار هنا بمعنى إخص» بكسر الهمزة وسكون الخاء!

[16] هو وأحد أقرباء رفاعة الطهطاوى

من بين من كانوا كثيرى التردد على حفنى رجل من أسرة «رفاعة رافع الطهطاوى» اسمه: حسين رافع.

وكان أسود البشرة لأمه السودانية.

وذات يوم كان حفنى جالسا في رأس البر على شاطئ البحر الأبيض الذي يسمونه البحر «المالح» ليميزوه عن النيل، وإذا بصاحبه «السودانى» يخرج بعد أن أخذ حمامه في البحر «المالح» في الوقت الذي مر فيه بائع متجول ينادى على بضاعته: «لب ابيض وأسمر!».

فأشار حفنى إلى صاحبنا وهو يرد مكملا:

«**سودانى ومُمَلّحَ!**».

وهذا نداء معروف لبائعى الفول السودانى حتى الآن!.

[17] هو وصوره في نظر أولاده!

بينما كان حفنى ناصف ينظّم مكتبه في حضور بينه، ويستعرض صورا له أخذت في مناسبة مختلفة، قال أحد بنيه:

الصورة دى وحشة، (هذه أيضا قبيحة).

فأمّن حفنى على كلامه.

وقال ثان: ودى كمان وحشة (وهذه أيضا قبيحة).

(1) الزير: إناء كبير يملأ بالماء للشرب، وهو مجوف ليتسع للماء.

فأمّن حفنى على كلامه.

وقال ثالثا: وبرده دى وحشة (وكذلك هذه قبيحة).

فقال حفنى: دِهْ دَهْ! أبقى أنا اللى وحش بقى (ماذا! فأنا القبيح إذن!!).

[18] تشجيع ساخر!!

كن حفنى ناصف إذا شجع أديبا حرص على مجاراة ذوقه، وذات يوم كان يركب قطار حلوان، فجلس أمامه بعض سكانها وأخذ يُطْنِبُ في مدح هوائها، وعذوبة مائها، ثم قال:

ولقد نظمت شطرة رائعة إلى درجة لم أستطع معها نظم الشطرة الأخرى، فظن حفنى أن السائل أتى بما لم تستطعه الأوائل!، وتلهف على سماعها فإذا بها:

•«شيكٌ» هواؤك يا حُلوانُ يابلدى•

فضحك حفنى ناصف وقال مكملا على الفور:

•وماؤك العذب «هايليف» لمن يرد•

[19] هو وولده

عندما دخل أحد أبنائه المدرسة الثانوية قال له المدرس: عليك أن تجيد استذكار دروسك حتى تفلح وتنفع نفسك، وسيكون هذا زادك؛ لأن أباك لن يترك لك ثروة يعتد بها!

فعز على الابن أن يعلن المدرس عن أبيه أنه ليس من الأغنياء!

فقال للمدرس: كلا، فأبى يملك ألفى فدان!!

فلما سمع الوالد – حفنى ناصف– هذا الكلام من ابنه سأله عن الألفى فدان؟!

فقال الابن: نحن وزوج أختى مَلك حفنى ناصف عندنا ألف فدان!

مشيرا إلى الباسل زوج باحثة البادية!

فقال الأب حفنى:

بحسابك ياولودى أكون أنا و «شعراوى باشا» عندنا ثلاثة آلاف فدان، وأنا والأمير «عمر طوسون» عندنا عشرة آلاف فدان! وأنا و «البدراوى عاشور» عندنا عشرون ألفا!!

[20] لعل بها خشافا

في مؤتمر المستشرقين كان مع حفنى ناصف ممن حضروا هذا المؤتمر «سلطان محمد»، وفي إحدى المآدب قدم لهم في آخر الطعام «سلطانيات ملونة».

ولم يكن كل منهما يعلم ما عليه أن يصنع بها.

قال سلطان محمد: لعل بها خشافا، أو شرابا حلوا يختم به الطعام. وقال حفنى: انتظر، واصنع مثل ما يصنعون، فذلك آمن وأسلم. ولكن «سلطانا» لم يُطلق صبرا، فرفع السلطانية إلى فمه، وجرع ما فيها دفعة واحدة؛ فإذا به ذوب صابون، وقشر ليمون في ماء تغسل به أطراف الأصابع بعد الفراغ من الطعام! وندم سلطان على تعجله، وأدرك أن في التأنى السلامة، وفي العجلة الندامة!

[21] حفنى وحديقة البرتقال

دعى حفنى ناصف ذات يوم مع نفر من أصدقائه لزيارة «حديقة برتقال» لأحد الأصدقاء من الأعيان!

وعندما وزع البستانى البرتقال المعروف باسم «برتقال بدمه» وجد حفنى ناصف أن برتقالته من النوع العادى، ولا أثر لأى حمرة فيها!

وهنا قال لصاحب البستان: يظهر إن «برتقالتى» عندها أنيميا حدّة! وضحك الجميع!

[22] حفنى وأحد الشحاذين

كان حفنى ناصف يجلس مع مجموعة من الظرفاء، وكانت الإضرابات تعم مصر آنذاك احتجاجا على التدخل الانجليزى في مصر!

وبينما هم جلوس مر عليهم أحد الشحاذين يتسول، فما كان من حفنى ناصف إلا أن قال له:

يا أخى الدنيا كلها مضربة! اضرب لك يوم.. أنت ماعندكش وطينية؟!

[23] ليس من حقك أن توفظ النائمين!

كان لحفنى بك نوادر لطيفة مازال يرويها الخلف عن السلف.. ومنها أنه كان يرأس جلسة في إحدى المحاكم..

وبعد قليل من افتتاح الجلسة راود النوم عيون (عُضو اليمين)، ورآه حفنى بك وسكت!

ثم لم يلبث - بعد قليل - أن سمع غطيطا (شخيرا)، فالتفت يبحث عن مصدره فإذا به (عضو الشمال). فوكزه حفنى وهو يغط، فصحا فزعا مذعورا، فقال له حفنى بك:

إذا كان من حقك أن تنام، فليس من حقك أن توقظ النائمين!!

[24] أطالع في الروح!

بينما كان حفنى ناصف مريضا إذا بطبيبه يأمره بالإقلاع عن أي عمل فكرى، أو القيام بمجهودٍ ذهنى وبخاصة القراءة!

وعاد إليه الطبيب بعد يومين فرآه يطالع في كتاب: (روح الاجتماع) الذي ترجمه الراحل فتحى زغلول، فغضب الطبيب، وقال لحفنى بك:

ألم أنهك عن المطالعة؟!

فابتسم حفنى ناصف على الرغم من مرضه، وقال بروح فكهة: يا أخى لا تغضب، فقد كنت «أطالع في الروح!».

فضحك الطبيب، وقال له: سلامتك!

❊ ❊ ❊ ❊

ما أشقى بنى العلماء!!

ليس عجيبا بعد هذا كله أن يفكر شاعرنا الظريف في الموت ويتحسر على ضياع علمه بموته قائلا:

أَتَقْضِى معى إن حان حَيْنى تجاربى
وما نلتُها إلا بطول عنائى![1]
وأبذل جُهدى في اكتساب معارفٍ
ويَفْنَى الذي حصلتُه بفنائى؟!
ويَحْزُنُنى ألا أرى لىَ حيلةَ
لإعطائها من يستحق عطائى!
إذا ورّث الجُهَالُ أبناءهم غِنًى
وجاهَا فما أشقى بنى العلماء!!

ثم يناجى الموت قائلا:

يا موتُ خذ ما أبقت الأ
يامُ والساعاتُ منى
بينى وبينك خُطوةٌ
إن تخطُها فرَّجْتَ عنَى!

وكانت الخطوة.. وانطلقت الروح إلى باريها.. إلى رحمة اللّه ورضاه!

ومات حفنى ناصف مبتسما!!

ترى فيم كان يفكر؟! وما الذي كان يشغل باله قبل الموت، وهو الضاحك الباسم؟!

❊ ❊ ❊ ❊

(1) تَقضى: تموت. والحَيْن: الهلاك.

شاعر النيل

محمد حافظ إبراهيم

- جاء في مقدمة الديوان.. للأستاذ أحمد أمين: «لم يُعرف بالضبط تاريخ مولده، ولم يعرفه حافظ نفسه، كما أقر بذلك، وقد عُرض على «القومسيون» الطبى عندما أُريد تعيينه في دار الكتب، فقدِّر سنه 39 سنة، وكان الكشف الطبى عليه يوم 4 فبراير سنة 1911 برئاسة الدكتور «بتسى» وهذا هو السبب الذي اعتمد علي4 فبراير سنة 1872 م. وهو سبب واهٍ كما ترى».
- كان مولده في «ذهبية» راسية بالقرب من قناطر ديروط في صعيد مصر، نظرا لأن أباه كان مهندسا للرى، وكانت إقامته في هذه «الذهبية»!
- بعد أن حصل على الابتدائية ضاق ذرعا بالحياة عند خاله، وبحث عن عمل في مكتب محاماة بطنطا، ثم تركه والتحق بالمدرسة الحربية ليتخرج فيها برتبة ملازم ثان ثم رقى إلى رتبة ملازم أول.
- عاش فترة من حياة الجندية ضمن القوة المصرية في السودان، وعندما قامت حركة الجيش المصرى ضد الانجليز في السودان سنة 1901م قبض عليه مع زملاء له من الضباط المصريين بتهمة التحريض على الثورة، وأحيل إلى التقاعد، ولم يكن له ما ينفق منه سوى أربعة جنيهات من صندوق التقاعد.
- أعيد بعد فترة إلى العمل في سلك الشرطة، ولم يرق له العمل بها وظل بلا عمل حتى عين سنة 1911 موظفا بدار الكتب وظل بها حتى أحيل إلى التقاعد في فبراير 1932 لبلوغه سن الستين.
- تلقى من الخديو عباس حلمى رتبة البكوية من الدرجة الثانية سنة 1912 باعتباره رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب وكان مرتبه آنئذ ثمانين جنيها!
- كان حافظ مشهورا بخفة الظل والفكاهة، وحفظ الطرائق والنوادر والأشعار، فتعال نسعد بلقائه.. حيث يحدثنا عنه أعز أصدقائه..

حافظ في مرآة البشرى

يقول البشرى: «كان حافظ حاضر البديهة، رائع النكتة، شديد الفطنة، حُلو الملاحظة، لا يكاد يَعرض لسمعه أو لبصره شيء إلا وجّه عليه رأيا طريفا يصوغه في نكتة عجيبة، قد تستقر على سطوح الأشياء، تتغلغل إلى الصميم، حتى لا تكتشف الأيام منها لا عن طرفة متطرف، ولكن عن رأى حكيم!

وهو لا يتحامى في تطرفه، ولا يتحرج، فتراه يقتحم عليك بتندره كل ماخلك، أَنّى سنح له اقتحامه، فيُصيب من خلقك، ومن ثيابك، ومن أثاث بيتك، ومن طعامك.

على أنه في كل هذا مُرضيك ومُونسك، وباسط أسارير وجهك إن لم يفرح بالضحك من ثناياك». هذا هو حافظ كما صوره البشرى بقلمه فتعال إلى طرائفه! شعرية كانت أو نثرية، وما كان أكثرها!! فكما تكون الفكاهة في الشعر تكون في النثر!

مع حافظ في طرائفه الشعرية

رسالة إلى خاله

لم يعش أبو حافظ طويلا بعد ولادته، فقد توفى وحافظ في الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته من «ديروط» إلى القاهرة عند خاله، ولم يطل مُقامه في القاهرة فقد انتقل وهو في المدرسة الثانوية مع خال له ثان إلى طنطا كما أسلفنا!

وفي طنطا أخذ يربى نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر مع أصدقائه، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التى أنشاها بنفسه لنفسه، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم! وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة وحسن ذوقه، ورهافة حسه، فقد رأى طائرا جميلا هو (اللَّقْلق) أو كما يسمى في مصر «البشروش» في حديقة مدرسة الفُرير بطنطا، فكان يُفَزِّعه بتحريك «حلقة باب المدرسة» ليرى جمال شكله، وجميلَ حركته، واستمر على هذا حتى ضج المشروفون على المدرسة وعملوا له كمينا، وقبضوا عليه وقادوه إلى مركز الشرطة!

ولما تبين لهم حسن نيته، عَفَوْا عنه، وأطلقوا سّراحه!

طبيعى أن يَمَلّ خالُه، فشابّ ليس في مدرسة، ولا يتكسب وضْع يوجب الملل، وأحسن حافظ بذلك فنظم بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق يقول فيهما لخالة:

ثـقُـلـت عـلـيـك مـئـونـتـى
إنـى آراهـا وَاهِـيَـة
فـافـرح فـإنـى ذاهـب
مـتـوجـه فـي داهـيـه!!

إنه شعر ساذج في سن الصبا، ولكنه يُكِنّ عاطفة قوية حزينة!

موقف أليم في بيت خاله يذكره دائما بيتمهه وفقره، ويصور له دائما بؤسه وشقاءه، وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق، وألم كامن، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور!

وهكذا كان «حافظ» كما تقول العامة: «مقطوع من شجرة» مات أبوه وماتت أمه، فكفله خاله، ثم ضاق بمقامه وطعامه، فخرج حافظ من البيت تاركا لخاله البيتين السابقين!!

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل؟

كان أمامه، وقد ضاقت به السبل، أحد سبيلين:

أن يكون معلما في مكتب أو شِبْهِه.

أو يكن محاميا ما دام لسانُه يساعده!

ذهب إلى أحد المحامين لأنه لا يستطيع أن يفتح مكتبا، واشتغل في مكتب «الشيخ محمد الشيمى» المحامى بطنطا، وأخذ يترافع في القضايا ويكسبها، ثم اختلف معه، وترك له بيتين كما ترك لخاله من قبل وهما:

جـرابُ حـظَـى قـد افـرغـتُـه طمَعَا
بـبـاب أسـتـاذنـا الشيمى ولا عجبا
فـعـادَ لـى وهْـو مـمـلـوء فقلت لـه:
مما؟! فقال: من الحسَرَات واحَرَبَا[1]!!

(1) الحَرَب: (بفتح الراء): الهلاك.

أراجيز في ذم رئيس الفرقة

وفشل في المحاماة فسافر من طنطا إلى القاهرة ليدخل المدرسة الحربية!

أديب ناشىء، ومحام فاشل يفكر أن يكون ضابطا كالبارودى.. وكان ما أراد، وتخرج في المدرسة الحربية، وسافر إلى السودان في حملة «كتشنر»، وكان رئيس فرقته «رفعت بك» يكرهه، ويرفع التقارير السيئة عنه، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدو بها هو وأصحابه فمنها قوله فيه:

تـــراه إذْ يـنـفُـخ فـي الـمِـزمـارِ
تـحَـسـبُـه فـي رُتـبـةِ الـسَّـردار
يـجـتـنـبُ الـعـاقـلَ والـنَّـبـيـهـا
ويـعـشَـق الـجـاهـلَ، الـسـفـيـهـا!

حافظ في مرآة الشاعر الهرآوى

شعر نضر، وحديث حُلو، وفكاهات عِذاب.. إنه حافظ إبراهيم في عينى «محمد الهرّاوى» الشاعر المشهور فلا عجب إذا وقع اختيارنا عليه ليكون على رأس الظرفاء من الشعراء.

لقد احتجب حافظ إبراهيم حين كان وكيلا لدار الكتب المصرية بعض أيام في بيته بالجيزة سنة 1918م.

فذهب صديقه الشاعر «محمد الهراوى» الشاعر المعروف ليزوره، ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى في خاطره فارتجل «الهراوى» الأبيات الآتية وهى تصور مكانة حافظ بين الظرفاء من الشعراء:

يـا رئـيـسَ الـشِّـعـرِ قُـل لـى: مـا الـذي يقضى الـرئـيـس[1]؟
أنـــت فـي الـجـيـزةِ خـافِ مـثـلَـمـا تـخـفـى الـشـمـوس
قـابـع فـي كـسـرِ بـيـتٍ قـد اظـلـتـه الـغُـروس[2]
زادهـــدٌ فـي كـلِّ شـيءِ مُـطـرِقٌ ســاهٍ عَـبُـوس

(1) يقضى: يصنع ويعمل.
(2) قابع: مختبئ. كِسْر بيت: قعره وداخله. الغُروس: الأشجار المغروسة.

أيــن شـعـر مـنـك نَـضْـرٌ؟ فـلـنـا فـيـه مـسـيـس
وحـديـث مـنـك حُـلْـوٌ يـتـشـهَـاه الـجُـلـوس
وفُـكـاهـاتٌ عـذابٌ تـتـمـنـاهـا الـنـفـوس
قـد جَـفَـوْتَ الـشِّـعـرَ حتى حَـدَّثَـتْ عـنـك الـطُّـروس[1]
زاهـدٌ فـي كـلِّ شـيءٍ مُـطـرِقٌ سـاهٍ عَـبُـوس
أيـن شـعـر مـنـك نَـضْـرٌ؟ فـلـنـا فـيـه مـسـيـس
وحـديـث مـنـك حُـلْـوٌ يـتـشـهَـاه الـجُـلـوس
وفُـكـاهـاتٌ عِـذابُ تـتـمـنـاهـا الـنـفـوس
قـد جَـفَـوْتَ الـشِّـعـرَ حتى حَـدَّثَـتْ عـنـك الـطُّـروس[2]
وهـجـرتَ الـنـاسَ حتى ساءلـوا: أيـن الأنـيـس؟

فأجابه حافظ إبراهيم على البديهة:

أنـا فـي الـجـيـزةِ ثـاوٍ[3] لـيـس لـي فـيـهـا أنـيـس
أَنْـكَـر الأُنـسُ مـكـانـي ونـأى[4] عـنـي الـجـلـيـس
لـيـس يَـدري مَـن رآنـي أطـلـيـق أم حـبـيـس؟!

هو والرئيس سعد زغلول باشا

كان «سعد زغلول باشا» يحب مجلس حافظ، ويقربه منه، ويسعد بما يُلقيه على مسامعه من طرائف، ولطائف أدبية، وقد ارتجل بيتين في الاستئذان على الرئيس يكشفان عما كان له من مكانة عند سعد باشا[5] هما:

قُـل لـلـرئـيـس أدام الـلـهُ دولـتَـه:
بـأن شـاعـره بـالـبـا مُـنـتـظِـرُ
إن شـاء حَـدّثَـه، أو شـاء أطـريـه
بـكـل نـادرة تَـجـلّـى بـهـا الفكر

(1) جمع طِرس، وهو الورق الذي يكتب عليه.
(2) ثاو: مقيم. (3) نأو: بعد. (4) نأوى: بعد.
(5) كانَّ سعد زغلول زعيمًا للوفد، ورئيس الوزارة آنذاك.

دعابة بين حافظ وشوقى قائمة على تورية جميلة!

ذات يوم دار بينهما حديث عن الوشق والحب، فقال حافظ:

يقولون: إن الشوقَ نارٌ ولوعة
فما بالُ شوقى أصبح اليوم باردا؟

فرد عليه شوقى على الفور قائلا:

وأودعت إنسانا وكلبا أمانة
فضيعها الإنسان والكلب حافظ!

وظل حبل الصداقة بينهما متصلا في البعد والقرب!

بين شوقى وحافظ

كان (أحمد شوقى بك) قد بعث بأبيات ثلاثة، وهو في منافه إلى حافظ وهى:

يا ساكنى مصرَ إنا لا نزالُ على
عهدِ الوفاءِ- وإن غبنا- مقيمينا
هَلَّا بعثتُم لنا من ماء نَهركُمُ
شيئًا نَبُل به أحشاءَ صادينا[1]
كلّ المناهلِ بعد النيل آسِنَةٌ[2]
ما أبعد النيلَ إلا عن أمانينا

فأجابه حافظ بهذه الأبيات:

عجبت للنيل يدرى أن بُلْبُلَه
صادٍ، ويَسْقى رُيَا مِصْرِويسقينا
والله ما طاب الأصحاب موردُه
ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأَ عنه وإن فارقت شاطئه
وقد نأينا وإن كنا مقيمينا[3]

(1) الصادى: الظمآن. (2) المناهل: موارد الماء؛ وآسنة: متغيرة.
(3) لم تنأ: لم تبعد، نأينا: بعدنا.

اعتذار إلى أحمد شوقى

دُعى حافظ إلى حضور حفل زواج كريمة أحمد شوقى في كرمة ابن هانئ على النيل وطرأ من العُذْر ما دفعه فكتب إليه هذا الاعتذار الطريف:

يـــا ســـيـــدى وإمـــامـــى ... ويـــا أديـــبَ الـــزمـــان
قـــد عـــاقـــنـــى ســـوءُ حـظّـى ... عـــن حـــفـــلـــة الـــمـــهـــرجـــان
وكـــنـــتُ أولَ ســـاعٍ ... إلـــى رحـــاب (ابـــن هـــانـــى)
لـــكـــن مـــرضـــت لـــنـحـسـى ... فـــي يـــوم ذاك الـــقِـــران!
وقـــد كـــفـــانـــى عـــقـــابـــا ... مـــا كـــان مـــن حِـــرمـــان
حُـــرِمـــتُ رؤيـــة شـــوقـــى ... ولـــشـــمَ تـــلـــك الـــبَـــنَـــانِ
وعِـــشْ لـــعـــرش الـمـعـانـى ... ودُمْ لـــتـــاج الـــبـــيـــان
إن فـــاتـــنـــى أن أُوفـــى ... بـــالأمـــس حـــق الـتـهـانـى
فـــاقـــبـــلـــه مـــنـــى قـــضـــاءَ ... وكُـــنْ كـــريـــم الـــجَـــنـــان[1]
والـــلّـــه يـــقـــبـــل مـــنـــا الـصـ ... ـــــلاةَ بـــعـــد الأوان!

دَعابة!

كان حافظ إبراهيم يحب الدُّعابة والسخرية حتى لو كانت من نفسه، ويتجلى هذا واضحا من تلك الرسالة الشعرية التى تبادل فيها الابيات مع الأديب السورى الشيخ أمين نقى الدين عندما رزق بمولود سماه «حافظا» وقال فيه:

لـــي ولـــد ســـمـــيـــتـــه حـــافـــظـــا
تَـــيَـــمُّـــنَـــا بـــحـــافـــظِ الـــشـــاعـــر

فقال حافظ:

كـــحـــافـــظ إبـــراهـــيـــم لكنه ... أجـــمـــلُ خَلْقا منه فـــي الظاهر!
فـــلـــعـــنـــةُ الـــلّـــه عـــلـــى (حـــافـــظِ) ... إن لـــم يكن بالشاعر الماهر
لـــعـــل أرضَ الـــشـــام تُـــزهـــى به ... عـــلـــى بـــلاد[2] الأدب الـــزاهـــر

(1) الجنَان: بفتح الجيم – القلب.

(2) يريد ببلاد الأدب: مصر.

على بلاد النيل تلك التى تاهت[1] بأصحاب الذكا النادر
(شوقى) و (مطران) و (صبرى) ومَن سميته في مطلعى الباهر

فقال الشيخ أمين:

واخجلتى إن لم يَجِئ شاعرا
يُنْسِى أباه حِكْمةَ الناثر
شعر نظمناه ولولا الذي
زُرِقْتُه ما مَرّ بالخاطر!

فقال حافظ:

فيا وليدى كن غدا شاعرا
وابدأ بهجو الوالدِ الآمر[2]
فالذنبُ ذنبى وأنا المعتدى
هل يَسْلَم الشاعرُ من شَاعِر؟!

دُعابة في الدكتور محجوب ثابت

كان كلاهما في ضيافة الزعيم سعد زغلول، وكان الدكتور محجوب ثابت مشغولا بأمرين إذا ذاك:

وزارة يتولاها، وفتاةٍ غنية من بيت عريق يتزوجها وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته:

يُرغى ويُزْبِدُ بالقافات تَحسَبُها
قَصفَ المدافع في أُفق البساتين[3]
من كل قافٍ كأن الله صورَها
من مارج النارِ تصويرَ الشياطينِ[4]

(1) تاهت: افتخرت.
(2) الآمر: الذي يأمرك بصنع الشعر.
(3) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القاف في حدث (الدكتور) محجوب ثابت. وحرصه على النطق بها، ويريد بالشطر الثاني منه: أن هذه الفاقات الثقيلة الوقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المزيدة في البساتين الغناء.
(4) المارج: النار التى لا دخان لها.

قـد خـصـه الـلـه بـاقـافـات يَعْلُكها
واختص سبحانه بالكاف والـنـون[1]
يغيب عنه الحجا حينًا ويَحضُره
حينا فيخلطُ مـخـتـلاَ بـمـوزون[2]
لا يـأمَـنُ الـسـامـعُ المسكين وثبتَه
من (كردُفان) إلى أعلى (فِلَسْطينِ)[3]
بينا تـراه ينادى الـنـاسَ في (حَـلَـبِ)
إذا به يتحدى القومَ في (الصين)[4]
ولـم يكن ذاك عـن طيش ولاَ خَبلِ
لـكـنـهـا عـبـقـريـات الأسـاطـيـن[5]
يَـبـيـتُ يَـنْـسُـجُ أحـلامًـا مُـذَهَـبـةً
تغنى تفاسِيرُها عن (ابـن سيرين)[6]
طَـوْرًا وزيـرًا مُـشـاعًـا فـئ وزارتـه
يُـصَـرِّفُ الأمـرَ فـي كـلِّ الـدواويـن[7]
وتـارةَ زوجَ عُـطْـبُـولِ خـدَلَّـجَـة
حـسـنـاءَ تملك آلاف الـفـداديـن[8]

(1) يعلكها: يمضعها، ويريد بالكاف والنون قوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: 82].
(2) الحجا: العقل.
(3) كردفان: بلد معروف بالسودان، ويشير بهذا البيت وما بعده إليكثرة تنقل (الدكتور) محجوب بين المجالس والأندية، وتتقله في موضوعات الحديث، وعدم استقراره في مكان واحد، ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التى يقطعها في هذا التنقل.
(4) يتحدى القوم: يباريهم ويغالبهم.
(5) يريد بالأساطين: الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون جمع أسطوانة وهى في الأصل: العمود والسارية.
(6) أظهر الهمز في «ابن سيرين» لضرورة الوزن، وابن سيرين عالم بصرى معروف بتفسير الأحلام، وله كتاب مشهور.
(7) يشير بهذا البيت إلى أمنية (الدكتور) محجوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات، وهو لا يستقر في أمنيته على وزارة واحدة.
(8) العُطبول من النساء: الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق، والخدَلَّجة: الممتلة الذراعين والساقين. يشير إلى أمنية (الدكتور) محجوب في أن يتزوج مَن تلك صفتها.

يُعْفَى من المهرِ إكرامًا لِلِحْيَتِه
وما اظلَته من دُنيا ومن دين[1]

دَعابة كتب بها حافظ إبراهيم

إلى السيد محمد البلاوى نقيب الأشراف، وكان يعمل معه في دار الكتب قبل أن يُصبح نقيبا!!

قل للنقيب: لقد زرنا فضيلته
فذَادَنا عنه حُرَّاسٌ وحُجَّاب[2]
قد كان بابُك مفتوحا لقاصده
واليومَ أُوصِدَ دون القاصِدِ البابُ[3]
هلا ذكرت (بدار الكُتْب) صحبتنا
إذ نحن رِغم صروف الدهر - أحبابُ[4]
لو أننى جئتُ (للبابا) لأكرمنى
وكان يكرمنى لو جئتُه (البابُ)[5]
لا تَخْشَ جائزةَ قد جئتُ أَطْلُبُها
إنى شريف وللأشراف أحسابُ[6]
فاهنا بما نلتَ من فضل وإن قُطِعتْ
بينى وبينك بعد اليوم أسبابُ[7]

(1) يشير بهذا البيت إلى طول لحية (الدكتور) محجوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير، حتى إنهم لعفونه من مهور بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن!
(2) ذادنا: منعا. (3) أوصدَ البابُ: أُغلق.
(4) صروف الدهر: نوائبه، يشير إلى أن السيد محمد البلاوى كان هو والشاعر معا في الكتب.
(5) يريد بالبابا كبير القسوس بروما، ويريد بالباب: رأس الطائفة المعروفة بالبابية، وهم فرقة من غلاة الشيعة، وسمى «بابا» لأنهم يعدونه باب المهدى، أي: نائبه.
(6) يشير بقوله: «إنى شريف» إلى الحكم الشرعى المعروف من أن الصدقة لا تحل للأشراف.
(7) يريد بالأسباب: روابط المودة.

بين حافظ إبراهيم وصديقه حامد سرى

أرسل حافظ إبراهيم إلى صديقه، وجاره حامد سرى في يوم زفافه يستهديه[1] من طعام العُرس، وثيابا يلبسها فقال:

أحـامِـدُ كيف تنسانى وبينى ... وبينك يا أخى صلةُ الـجـوارِ؟!
أيشبع «مصطفى الخولى» وأُمْسِى ... أعالج جَوْعتى في كِسْر دارى[2]؟
وبـيـتـى فـــارغ لا شـــىءَ فيه ... سِـوايَ وإننى في البيت عـارِى
ومـالـى (جـزمـة) ســوداءُ حتى ... أوافـيـكـم على قُـــربِ الـمَـزارِ
وعندى من صِحابى الآن رَهْـطٌ ... إذا أكـلـوا فـآسـادٌ ضـــوارى[3]
فـــإن لّـــم تـبـعـثـنَ إلـــىّ حـالاً ... بـمـائـدة عـلـى مـتـن الـبُـخـارِ
تُغَطّيها من الحَلْوى صُنُوفٌ ... ومـــن حَـمَـل تـتـبَّـل بـالـبَـهـار
فـإنـى شـاعـر يُـخـشـى لسانى ... وسـوف أريـك عاقبة احتقارى[4]

معاناة!

كثيرا ما تدُلّ فُكاهة الشاعر على ما يعانيه من فاقة، وإهمال وقلة اكترات!

وقد عانى حافظ إبراهيم بؤسا في أول حياته بعد أن اعتزل خدمة الجيش! لذلك كان فرحه عظيما بُحلته الجديدة، وارتجل فيها قصيدة جاء فيها تصوير بؤسه فيقول:

صَحِبَتْنى قبل اصـطـحـابِـك دَهـــرَا ... بِـــذْلَـــةٌ فـــي تـــلـــوُّن الـحِـربـاء
نـسـبـوهـا لـطـيـلـسـان[5] بـــان حـرب ... نـسـبـةَ لـم تـكـن بـــذاتِ افـتـــراء

(1) يستهديه: يطلب منه أن يهديه نصيبه من طعام العرس.
(2) مصطفى الخولى من أصهار حامد سرى، وكسر دارى: قلبها.
(3) رهط: جماعة.
(4) ديوان حافظ إبراهيم 1/ 192.
(5) الطيلسان: كساء أخضر، كان يلبسه الخواصّ من العلماء، وكان أحمد بن حرب المهلبى قد خلع على الشاعر الحمدونى طيلسانا، فتهكم به في عدة قصائد، وصار طيلسان ابن حرب مثلا للبلى والقدم.

كـنـتُ فـيـهـا إذا طـرقـتُ أنـاسَـا
أنـكـرونـي كـطـارقٍ مـن وَبَـاء
كَـسَـفَ الـدهـرُ لُـونَـهـا[1]، واستعارت
لـونَ وجـهِ الـكَـذُوب عند اللقاء!

مناجاة ثوبه الجديد

وذات يوم لبس حافظ رداء جديدا فراح يفخر به، ويسخر من أولئك الذين لا يُوقرون إلا صاحب المظهر البراق ناسين أن «الملابسَ باللابس» فقال:

يـا ردائـي جـعـلـتَـنـي عـنـد قـومـي
فـوق مـا أشـتـهـي وفـوق الـرجـاء!
إن قـومـي تَـرُوقُـهـم جـدّة الـثـو
ب، ولا يـعـشَـقُـون غـيـرَ الـرُّواء[2]
قـيـمـة الـمـرء عـنـدهـم بـيـن ثـوبٍ
بـاهـرٍ لـونُـه، وبـيـن حـذاءِ!

خال على غرة

تعودنا أن نرى الخال في الخد، ولكن الشاعر «حافظ إبراهيم» رأى مليحا على غُرَّتِهِ خال فوقف يسأله:

سـألـتُـه: مـا لـهـذا الـخـال مـنـفـردًا
واخـتـار غُـرَّتَـك الـغَـرّا له سكنا[3]؟!
أجابني: خاف من سَهم الجفون ومِن
نـار الـخـدودِ؛ لهذا هاجر الوطنا!!

(1) غطاه فأخفاه.
(2) الرُّواء (بضم الراء): جمال المنظر وحسنة.
(3) الغُرة: من الرجل والمرأة: الوجه، والغَرا والغَراء: الواضحة.

أضرحَه الأولياء

ويعجب حافظ مما كان يراه – على أيامه– من إقبال على أضرحة الأولياء حيث تجرى حولها بحال النذور، بينما الفقراء الأحياء لا يرزقون بدرهم، فيقول متعجبا:

أحياؤنا لا يُرزَقون بدرهم
وبألفِ ألفٍ تُرزَقُ الأمواتُ!
من لي بحظِّ النائمين بحُفرةٍ
قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها
بحر النذور، وتُقْرأ الآيات[1]

مع المعفوّ عنهم

أراد حافظ إبراهيم أن يشاهد حفلة في «مسرح حديقة الأزبكية» مع «الشيخ البشرى»!

ولما أراد الدخول من الباب اعترضهما العامل المختص بالتذاكر، بحجة عدم وجود تذاكر معهما!

وفي أثناء ذلك حضر «متعهد الحفلة»، وكان يعرف «حافظ» فقال له: لن أسمح لكما بالدخول حتى يرتجل[2] شاعر النيل «حافظ» بيتين من الشعر!

فسكت حافظ بُرهة ثم قال:

رياضُ الأزبكية قد تجلَّت
بأنجابِ كِرامٍ أنت منهم
فَهَبْها جَنَّةُ لخيرِ
وأدخلنا مع المعْفُوَ عنهم

(1) يشير إلى تلك العادات السيئة التيتخالف الدين في أيام مضت، ويسخر ممن كانوا يقومون بهذا العمل! أما الآن فقد أصبح لدى العامة وعى دينى بما ينبغى إزاء الموتى.
(2) يرتجل: يقول دون سابق إعداد على الفور.

وضحك متعهد الحفلة.. وفتحت الأبواب المغلقة وكانت «كلمة السر» بيتين من الشعر خفيف ظلهما!

حافظ وبائع كتب صفيق!

كان هناك بائع كتب لا يكاد يرى الشاعر «حافظ إبراهيم» حتى يقطع عليه هدوءه ويلاحقه أينما ذهب، وقد قال فيه حافظ بعد أن ضايقه:

أديمُ وجهك يا رنديقُ لو جُعلَت
منه الوقايةُ والتجليد للكتب
لم يعلُها عنكبوتٌ أينما تركت
ولا تخاف عليها سطوة اللهب[1]

حافظ ورجل عظيم البطن ضخم البدن

يقول فيه حافظ:

عطلتَ فنَّ الكهرباء فلم نَجِدْ
شيئا يعوقُ مسيرَها إلاَكا
تسرى على وجه البسيطة لحظةَ
فتجوبها، وتحارُ في أحشاكا[2]

مرثية وهمية!

بلغ حافظ أن «جورج الخامس» ملك انجلترا قد توفى! فلم يكد يسمع هذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد، عدم صحة هذا الخبر!!

وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما:

إن الذي كانت الدنيا بقَبضتِه
أمسى من الأرضِ يَحْويه ذراعان

(1) ديوان حافظ إبراهيم 1/ 150. وأديم الوجه: جلده غير قابل للاحتراق.
(2) ديوان حافظ إبراهيم 1/ 149، والبسيطة: الأرض، وتجوبها: تسرى فيها.

وغــاب عــن ملكة مــن لّــم تغب أبــدا
عن مُلْكِه الشمسُ من عِـزَّ وسُلطان!

ومرثية حقيقة: وإذا كان الشيء بالشيء يذكر؛ فإنه لما مات السيدُ عبد الرحمن الكواكبى في سنة 1902م كُتب على قبره بيتان لحافظ هما:

هنا رجــل الـدنـيـا، هنا مَهبط التقى
هنا خير مـظـلـوم، هنا خير كاتب
قفوا واقــرءوا «أم الكتاب[1]» وسلموا
عليه، فهذا القبر قبر (الكواكبى)

حافظ والمندوب السامى الإنجليزى

كانا يسيران معا ذات يوم، وقال المندوب السامى لحافظ وهو يرافقه: تُرى أي بيت من الشعر تحبه يا حافظ؟!

فقال حافظ إبراهيم في إشارة إلى المندوب السامى:

بالطبع بيت الشعر الذي قاله المتنبى، ويقول فيه:

ومــن نكد الدنيا على المرء أن يَـرَى
عَـــــدُوًا لــه مــا مــن صــداقــتــه بــد!!

وظل حافظ على عهده ووعده معبرا عن روح الأمة، فلا عجب إذا أطلق عليه: شاعر النيل.. وشاعر الشعب.

وإليك قصيدته في مظاهرة السيدات سنة 1919م.

مظاهرة السيدات المصريات

قالها في مظاهرة قامات بها السيدات في الثورة الوطنية المصرية في سنة 1919م ونشرت إذ ذاك منشورات وطنية، وتأخر ناشرها في الصحف إلى 13 من مارس 1929م.

(1) أم الكتاب: الفاتحة.

وفيها يسخر حافظ ممن وقفوا في وجه تلك المظاهرة الوطنية النسائية في عهد الاحتلال! فقال:

خرج الغوانى[1] يحتججْ ... ن ورُحت أرقُب جَمْعَهُنّهْ
فإذا بهن تخذن من ... سُودِ الثياب شعارَهنّه
فطلعن مثل كواكب ... سَطَعْن في وسط الدُّجُنّه[2]
وأخذن يجتزن الطريـ ... ـق ودارُ (سعدِ) قصدُهُنّه
يمشين في كنف الوقا ... رِ، وقد أَبَنّ شعورَهُنّه
وإذا بجيش مُقبِلِ ... والخيلُ مُطْلَقَةُ الأعِنّه
وإذا الجنودُ سيوفُها ... قد صُوبت لنحورهنَه
وإذا المدافع والبنا ... دقُ والصوارم والأَسِنّه[3]
والخيلُ والفُرسان قد ... ضَرَيَتء نطاقا حولهنه
والوردُ والريحانُ في ... ذاك النهارِ سلاحُهُنّه
فتطاحن الجيشان سا ... عاتِ تشيب لها الأجنه
فتضَعْضَع النِّسوانُ، والنّسـ ... ـوان ليس لهن مُنَّهْ[4]
ثم انهز من مُشَتَّتا ... تِ الشملِ نحو قصورهنّه
فليهنأ الجيش الفخو ... رُ بنصره ويكَسْرِهنه
فكأنما الألمان قد ... لبسوا البراقَع بينهنه
واتوا (بَهنْدُبُرجَ) مُخْـ ... ـتفيا بمصر يقودهنه[5]
فلذاك خافوا بأسهن ... وأشفقوا من كيدهنه

❊ ❊ ❊ ❊

(1) الغوانى: جميع غانية، وهى المستغنية بجمالها عن الزينة.
(2) الدجُنّة: الظلمة.
(3) الصوارم: السيوف القواطع. والأسنة يراد بها الرماح.
(4) المُنة: بضم الميم، القوة.
(5) هندبرج: هو القائد الألمانى المعروف في الحرب العظمى.

وبعد.. فقد قال حافظ هذه القصيدة لما تألف الوفد المصرى وتحركت مصر إثر القبض على سعد وصحبه، وبدأت مظاهرات سلمية، وأضرب الطلاب عن تلقى الدروس، وخرجت السيدات في 16 من مارس 1919م بمظاهرة عامة، فوصف حافظ قيام الجيش ضد النساء، وتشتيته شملهن في سخرية لاذعة! والذين قمعوا المظاهرات من وراء ستار هم الانكليز، والذين أمروا بالوقوف ضدها هم رجال الحكومة، وحافظ موظف فيها!

حافظ وغلاء الأسعار

ترى كيف عالج حافظ باسلوبه الساخر، ونقده اللاذع «ارتفاع الأسعار» في أيامه؟!

إنه يقول:

بإيها المصلحون ضاق بنا العيـ ـش، ولم تُحسنوا عليه القياما!
عـزَت الـسِّـلـعـةُ الـذلـيـلـةُ حتى بات مسح الحذاءِ خَطْبًا جُسَاما[1]
وغـدا القُوت في يد الناس كاليا قوت حتى نوى الفقيرُ الصياما
يَـقـطـع الـيـوم طـاويـا ولـديـه دون ريح القُتارِيُ الخُزَامى[2]
وَيـخَـالُ الرَّغيفَ في البعد بدرا ويـظُـنُّ الـلـحـومَ صـيـدًا حراما
إن أصـاب الرغيفَ من بَعد كدَ صاح: مَن لي بأن أُصيب الإداما[3]؟!
أيها المصلحون أصلحتم الأر ض، وبِـتّـم عـن النفوس نياما
ليس في طوقها الرحيلُ ولا الجِـ ـدُّ ولا أن تـواصـلَ الإقـدامـا

ثم يختتم قصيدته الطويلة بقوله:

قـد شـقـيـنـا ونـحـن كـرّمـنـا
الـلـهُ بـعـصـر يـكـرم الأنـعـامـا!

(1) السّلعة: المتاع الذي يتجر فيه، والخطب: المصيبة، والجُسام: العظيم.
(2) طاويا: جائعا. والقُتار (بضم القاف): ريح الشواء. والخُزامى: نوع من الرياحين، وزهره من أطيب الأزهار نفحة. وريح الخزامى عنده دون ريح الشواء. بقول: إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثاني دون الأول.
(3) الإدام: كل ما يُستمرأ به الخبز (الغموس).

رحمه اللّه.. لقد قال كلمته وهو في الوظيفة وخارجها.. على الرغم مما كان يعانيه!

وعلى الرغم من بؤسه ومعاناته فإن وجوده في مجلس مّا كان البسمة على الشفاه!

فتعال إلى «طرائفه النثرية» بعد أن عشت معه في «طرائفة الشعرية»!

مع حافظ في طرائفه النثرية!

كان حافظ يمتاز على الظرفاء بأنه شاعر، وعلى الشعراء بأنه ظريف، وكانت ندوته المفضلة بالليل في حلوان، وبالنهار في دار الكتب حيث كان وكيلا لها، وإليك مجموعة من أظرف فكاهاته ودعاباته!

مجالس الأدب!

كانت مجالس الأدب في الجيل الذاهب لا تذكر اسم (حافظ) إلا مقترنا بشوقى.

ولا تذكر اسم (شوقى) إلا مقترنا بحافظ حتى كأنّهما توأمان!

وكان شوقى – في أعماقه على الأقل – لا يطرب لِسَماع اسم حافظ مقترنا باسمه، فقد كان يحس أن الشوط بينهما بعيد.

ولعله أسرَّ بهذا لبعض خاصته، فنقل القول إلى حافظ، فساءه فصاح يقول:

– بَأه يا عالَم... شوقى يقول كده؟!، والناس بقى لها ثلاثين سنة تقول: «شوقى وحافظ»، كما تقول «سميط وجبنه»، «وزفتى وميت غمر»، «وخيار وفاقوس»، «وعسل وبصل!»؟!!

أما من يكون العسل؟ ومن يكون البصل؟ فهذه مسألة أخرى!!

مطلع قصيدة وعقد

زار حافظ صديقه أحمد شوقى فوجده حزينا يشكو من «كيس دُهنى» في سقف حلقه، فقال له على الفور:

«ما تخافش يا شوقى بك.. ده مطلع قصيدة[1] وعَقد»!

عايز غسيل ومكوة

كان وجه الشيخ عبد العزيز البشرى مليئا بالتجاعيد، فلما زاره شاعر النيل يوما، ورآه يغسل وجهه، قال له:

«هو ده وش ينفع في الغسيل؟! داعايز غسيل ومكوه!»

غزبة قديمة !

وسافر حافظ إبراهيم إلى قرية «ديرين» بلد البدراوى باشا عاشور وقضى بضعة أيام في ضيافته، فلما أراد العودة، وهم البدراوى باشا بتوديعه، التفت إليه حافظ قائلا: يا باشا، أليس عندك عزبة قديمة تعطيها لى؟!

أعور شمال!

ولقيه أحد أصدقائه ذات يوم يمشى في الشارع منقبض النفس، كاسف البال حزينا متألما!

فسأله الصديق عما به، فقال له في ثقة:

– إن المصران الأعور عندى ملتهب!

قال صديقه: بماذا تشعر؟

قال: أشعر بوجع شديد ها هنا، وأشار بيده إلى جنبه الأيسر!

فقال له الصديق:

إن المصران الأعور إنما يكون في الجانب الأيمن، لا الأيسر!

فرد حافظ على الفور:

– ياسيدى يمكن أنا أعور شمال.

(1) مطلع القصيدة أول بيت منها.

المصلى والمجَلى

في سباق الخيل يسمون الأول: (المُجَلِّى)، ويسمون التالى له (المُصلّى)

وكان حافظ إبراهيم مع «أحمد حشمت باشا» (وزير المعارف) – التربية والتعليم الآن – في حفل رسمى في سباق الخيل.

وأخذ حشمت باشا يسأل (حافظ إبراهيم) آما كان الأوْلى أن يُسَمى الحِصانُ الرابح الأول: (المصَلِّى)، ويسَمَّى الثاني: (المجَلِّى)؟! على عكس ما هو معروف عن اللغويين!

فأجاب حافظ إبراهيم بذكاء لماح:

عمرك يا باشا ما كنت المصَلّى (أي الثاني في أي أمر)!!

وهى تورية رائعة!!

حساب في البنك

وكان له حساب في البنك الأهلى، فكان إذا مر عليه ليلا أخرج من جيبه بعض الهدايا وأخذ يوزعها على الحراس قائلا:

«علشان يا خدوا بالهم من القرشين»

طول عمره هنا

وذات يوم عندما كان حافظ مديرا لدار الكتب وبينما كان يُسْرع في مشيته أستوقفه أحد المارة وسأله:

«يا عم.. الشارع ده رايح على فين؟»

فأجابه حافظ:

لا رايح حته، ولا جاى من حته، هو طول عمره هنا!

حافظ في ضيافة الخديو

وقد قصد حافظ قصر عابدين لمقابلة الخديو عباس لأمر هام، وتأخر عنده! وعند خروجه دعاه «الخديو عباس»- وكان شحيحا- للبقاء ليتغدى مع المعيّة في المكان المخصص لهم.

واستقبل حافظ الدعوة بابتهاج، ولكنه فوجئ بطعام عادى نمطى لا يتناسب مطلقا مع فخامة وعظمة السلطان!

وبعد الغداء عاد إلى الخديو لاستكمال الحديث حسب طلبه منه!

فسأله الخديو: لعلك انبسطت يا حافظ!

فقال حافظ على الفور:

- الحقيقة يا أفندينا كأنى كنت بتغدى في بيتنا!!

أكثر الناس مرحا

كان حافظ أكثر الناس مرحا، وكان هذا المرح يفيض على مجالسه شعشعةً باهرة، حتى لقد قال «العقاد» حين وقف على قبر حافظ يرثيه:

أَبُــكــــاءٌ وحــــافــــظ فــي مــكــــانِ؟

تلك إحــدى عجائبُ الــحَــدَثــانِ[1]

مباهاة!

كان كل من (حافظ) و (مطران) يباهى صاحبه بأنه أجمل منه، مع قلة حظهما معا من الجمال!

وقد اختلفا في ذلك يوما، فاتفقا على أن يوقع كل منهما عريضة من أعيان القاهرة تشهد بأنه أجمل من صاحبه!

(1) الحدثان: الليل ولنهار.

وذهب (مطران) إلى السيد «عبد الحميد البنان» ليوقع له عريضة وكان يرى أن «حافظا» أجمل من «مطران»، فرفض أن يوقع لمطران! فمازال يلح به حتى أَقَرّ بما يريد. وكتب له في النهاية:

«المقر بما فيه رغم أنفه!!» وهذه إشارة إلى أنف مطران الذي كان مشوها!

حافظ يفسر حلما للدكتور محجوب ثابت

كان حافظ، والدكتور «محجوب ثابت» في ضيافة الزعيم «سعد زغول» في «مسجد وصيف[1]».

ولما سأله عن السبب في تأخره أجاب بأنه كان يحلم حُلما طويلا وسأل محجوب «سعد باشا» إن كان يعرف شيئا عن تفسير الأحلام، فأجابه سعد زغلول إنه لا يعرف، وربما كان «حافظ إبراهيم» أدرى.. وجاء «حافظ إبراهيم» فقص عليه محجوب ما رأى بقوله: رأيت أنى ركبت ثورًا قويًا، وأنى كنت أمسك بكلتا يدى قَرْيَنْه!

وأن الثورة جمح بى جُموحًا مزعجا!

وكان يجرى ورائى نحو مئة حمار!

واستمر الثور في جُموحه حتى استطعت أن أوقف ثورته، وهنا أفقت من النوم!

وهنا قال حافظ:

إن الثور في المنام يرمز إلى القوة.. ولقد رشحت نفسك في الانتخابات لمجلس النواب، وقد انتصرت على حكم القوة، وهذا يقابل تمكنك من إيقاف الثور!

فقال له محجوب: عظيم.. وما معنى المئة حمار؟

فقال حافظ: «ما هُمّا دول اللى انتخبوك يادكتور!!».

(1) مسقط رأس سعد.

عمرك أطول من عمرى!

وفي طريقة إلى مقهاه طارده سائل لحوك كان يقول له:

«قرش صدقه يا بيه!»

فقال له حافظ على الفور: عمرك أطول من عمرى!

حافظ وخليل مطران

ذات يوم صحب حافظ «خليل مطران» إلى حديقة الحيوان وعند دخولهما توجه حافظ إلى الحارس قائلا:

خلّى بالك أحسن وأنا خارج به تفتكرنى لطشت حاجة من الجنينة!

أول فرقتى!

قال حافظ لخليل مطران: أنت أوْحَش إنسان!

فقال له خليل: وأنت أجمل قرد.

فقال حافظ:

وماله.. أبقى برضه الأول بتاع فرقتى!

حافظ ومُطران

كان شاعر النيل: «حافظ إبراهيم» مع شاعر القطرين: خليل مطران بلبنان!

وزارهما بالفندق الذي ينزلان به: «المطران قطان»، فتقدم «خليل مطران» ولثم يد المطران، ففعل حافظ مثله، فتفضل المُطران وخص «حافظ إبراهيم»بقبلة فوق جبينه! الأمر الذي جعله يحس أن «خليل مطران» يحسده على هذه القبلة! ويَغَأرُ منه!!

فما كان من «حافظ إبراهيم» إلا أن أمسك بكلتا يديه رأس «خليل مطران» وقبله!

وقال له على الفور:

«مطران باس حافظ

وحافظ باس مطران!

نبقى خالصين يا سيدى، وما تزعلش!»

لماذا

قال أحد وجهاء لبنان لحافظ:

ما السر في أن «خليل مطران» يحبه أكثر الناس!

فقال: لأنه كالمعصية!

حافظ في رثاء عبد الخالق ثروت

وقف حافظ يوما يُلْقى قصيدته في رثاء عبد الخالق ثروت باشا وكان الجمع حاشدا، والشعراء يتتابعون، وكان من بينهم الشيخ «محمد عبد المطلب» شاعر البادية!

وكان من عادة الشيخ أن يحضر غلى الأماكن التى يرتادها راكبا «حمارًا»، ثم يتركه في رعاية الحارس بقرب مكان الاحتفال.

وعندما وصل حافظ في إلقائه الأخاذ إلى أحد المقاطع المؤثرة!

سأله الحاضرون الإعادة!

وصادف أن ارتفع نهيق حمار الشيخ في الخارج!

فقال لهم حافظ: دقيقة من فضلكم حتى ينتهى «حمار الزميل» من إنشاده! فانقلب المأتم إلى ضحك متواصل!

أقبل الأرض بين يديها!

كان الشاعر «الصعلوك» إمام العبد أسود اللون فاحمه، وكان يرافق الشاعر، ذات يوم فخرجت من أحد المنازل فتاة فائقة الحسن آية في الجمال، فالتفت إليها حافظ مبهورا، ثم أقبل على زميله إمام العبد يقبله فجأة!

وأخذت الدهشة إمام العبد فسأله: ما معنى هذا الذي فعلتَه؟!

فقال حافظ: أقبل الأرض بين يديها!!

أنت عازهم يقطعوا عيشه؟!

كان لحافظ صديق قد ضعف بصره، وكانت وزارة الأوقاف، تُجرى عليه راتبا شهريا لسبق عمله بها، فرآه أحد الشحاذين واقترب منه قائلا: «رينا ينَوّر لك عنيك!».

فصاح به حافظ على الفور قائلا: «حرام عليك يا أخى!

أنت عاوزهم يقطعوا عيشه؟!».

هو وشاعر لبنانى

ذهب شاعر لبنانى اسمه «رشيد مُصُوبع» بنسخ عديدة من ديوان شعر له طبع على ورقته الأول قصيدة أهدى بها ديوانه هذا إلى «حفنى ناصف» وكان مطلعها:

لمن أشتكى حـالـى ولـوعـة مـا بى

سوى حفنى بك ناصف ذى الآداب؟!

فلما آنس أنه ما ينبغى أن يشجع الناس على ذيوع شعر كهذا أعطى الناظم عشرة جنيهات!

وكان مُرَتّب حفنى ناصف آنذك «أربعين جنيها»، وأشار عليه بخلع الورقة الأولى على أن تُحِلَّ المطبعة محلها ورقة جديدة تحمل إهداء لشخص آخر ممن يسرهم مثل هذا الحديث.

ولما علم «حافظ إبراهيم» بذلك بعد اطلاعه على ذلك الشعر.

قال لحنفى: «حَسَنًا فعلت! لأنه مُصُوبع ومُدُوحس كمان!»

هو وإمام العبد

كان إمام العبد كما ذكرنا أسود فاحما، وذات يوم كان يجلس إلى جانب حافظ إبراهيم وأخرج قلمه وأخذ يكتب!

فسقطت نقطة حبر أسود على الورق، فقال حافظ على الفور:

«**الحق يا إمام.. جفف عرقك!**»

دعا حافظ جماعة من أصحابه إلى طعام عنده!

وجاءوا معهم بصديق لهم لم يكن حافظ يعرفه!

ولاحظ حافظ أنه يكثر من الأكل على غير عادة الناس، بصورة ملفتة للنظر، فقال له:

ترى ماذا يكون أمرك لو كنت من المدعوين؟!

وهل تذكرت أنك مدعو من باطن مدعو؟!

ثم قال له: يا أخى إنك تشبه الخزانة التى بها درج سرى!!

حافظ وأحد المحالين إلى المعاش

كان حافظ إبراهيم يقطن في حلوان، ومن بين القاطنين معه أحد الذين أحيلوا إلى المعاش أيضا، ولكنه لم يكن خفيف الظل!

ومما زادالطين بلة أنه بعد إحالته إلى المعاش لازم الشاعر حافظ إبراهيم في غدوه ورواحه.. في البيت.. وفي القهوة.. وفي قطار حلون.. ولما اشتد بحافظ الضيق منه قال له: «يا أخى هما أحالوك على المعاش أم أحالوك علىَّ؟!»

حافظ والبشرى في حديقة الحيوان

كان البشرى وحافظ يزوران حديقة الحيوان، وعند خروجها قال حافظ للبشرى:

«حاسب أحسن حد يحوشك على الباب!»

فأجاب البشرى:

«أما بالنسبة لك فلا خوف، ولا حذر، لأن منك كتير في الحديقة وبناقص واحد!»

روى البشرى عن حافظ:

من النكت التى يرويها «البشرى» عن «حافظ»:

قبل أن تقام الكبارى بين «منيل الروضة» و «القاهرة» كان الناس يتخذون «المعدية».

وجاء رجل من القاهرة ليعبر إلى الروضة من ساحل فم الخليج، وكان الليل قد تقدم، فوجد اثنين من الملاحين يغطان في نوم عميق من تعب الليل وكد النهار،

فما زال بهما حتى أيقظهما، ونهض أحدهما للعمل على المجاديف، والثاني تولى «الدفة».

وأحسن من يتولى أمر المجاديف بجفاف في حلقة وعطش شديد فتتاول «الكوز» ليغترف غرفة من النهر تروى ظمأه، ولكنه لم يكن يعرف أن زميله قد أذاب فيه ملحا لأذنه!

فلما اغترف من النهر غرفة، وشرب من الماء، فإذا هو ملح أُجاج، فصاح على الفور:

«-يا ريس عويس- إيدك.. دخلنا المالح!!»

واحدة ست

قابله أحدهم في الشتاء، فوجده ملتفا بعباءة، فقال له: «أنا كنت من بعيد باحسبك واحدة ست!»

فقال حافظ على الفور: «وأنا كنت باحسبك راجل!»

حافظ والسيدة أم كلثوم

كانت السيدة أم كلثوم من مجموعة حافظ إبراهيم والبشرى وكانت تلميذة لهما.

وكانت لها معهما ومع أصدقائهما جولات ونكت وحكايات، لقد تعلمت أم كلثوم منهما «فنون الأدب» و «فن النكتة» أيضا، ومن النوادر التى تروى عنهم أنهم كانوا مدعوين للغداء في دار رجل اسمه «سكر»، وكان من مشاهير صناعة الطباعة وتجليد الكتب، وطال بهم المقام في انتظار الطعام!

وفجأة سمعوا ضجة في دار سكر وصوت دق في هارون نحاس!

فقال حافظ:

- ما هذه الضجة التى نسمعها؟ وما هذا الدق بالهاون؟

فقالت أم كلثوم على الفور:

- أصلهم بيكسروا راس سكر!

وكان السكر في ذلك الزمان يصنع على هيئة أقماع يطلق عليها الناس اسم «راس سكر»! وكانت تورية رائعة، ونكتة بارعة. ولا عجب فالشيء من معدنه لا يستغرب!!، وقد رويت هذه النكتة عن محمد عثمان جلال كما سيأتى.

إمارة الشعر

تقدم حافظ إبراهيم وفود الشعر التى جاءت من كل البلاد لمبايعة شوقى بإمارة الشعر، ومد يده إليه مبايعا بقوله:

أميرَ القوافى قد أتيت مبايعا
وهذى وفود الشعر قد بايعت معى!

وحرفتها بعض الصحف إلى:

•وهذى وفود الشّرِّ قد بايعت معى!!•

ونقلت إلى شوقى بعد تحريفها وتصحيفها!!

فكان بينهما ما كان!

وعلى الرغم مما كان بين شوقى وحافظ، فقد شاء اللّه أن يقبضهما إليه في عام واحد هو عام 1932م.

وقد سبق حافظ صاحبه إلى لقاء اللّه، فنظم فيه شوقى مرثيته الرائعة التى مطلعها:

قد كنت أوثر أن تقولَ رثائى
يا مُنصفَ الموتى من الأحياء!!

رحمهما اللّه رحمة واسعة بقدر ما أسعدانا، وأمتعانا، وروّحا عنا!!

***

محمود غنيم

الشاعر الكبير والنموذج الراقى في الفكاهة المنظومة!

شاعر كبير في طليعة من أنجبتهم مصر!

يضعه الشعراء في مصاف كبار الشعراء والأدباء من أمثال شوقى، وحافظ، ومطران، والعقاد!

ويمتاز بروحه المرحة، ودعابته الرقيقة، وحلاوة إيقاعه، وحسه المرهف، ونوادره مع الأصدقاء والشعراء إلى جانب ما تميز به شعره من غزارة الفكرة، وحبكة الصياغة، والجزالة!

رحمه اللّه، لقد كان واسع الثقافة، عالما بأصول اللغة وأسرارها، فدانت له، وكانت طوع أمره!

«أ» أصحاب فكاهة منظومة مثل:

1 – محمود غنيم.
2 – محمود بيرم التونسى.
3 – حسين شفيق المصرى.
4 – محمد الأسمر.
5 – وحافظ إبراهيم.
6 – أحمد شوقى.
7 – عبد الحميد الديب.
8 – إسماعيل صبرى.
9 – على الجارم.

«ب» وأصحاب فكاهة منطوقة وهم كُثر.

النكتة المصرية

يقول الأستاذ عبد العزيز البشرى في الجزء الثاني من كتاب «المختار» في الحديث عن النكتة المصرية في العصر الحديث:

وهنا أرجو أن ترخصوا لى في أن أتكلم ما دعت الحاجة.. «بالعامية الخالصة» فقد ينضب ماؤها، ويحول بهاؤها، وإننى لأذكر أننى قرأت للإمام الجاحظ شيئا في هذا المعنى!

وأين نحن من إمام البيان غير مدافع؟، وأين بياننا من بيانه؟ وأين تجويد كلامنا من عفو لسانه؟!

سيداتى سادتى:

إذا أنا خصصت النكتة المصرية بالذكر فذلك لأننى لا أعرف أمة من الأمم العربية الأخرى أحسنت هذا النوع، أو برعت فيه براعة المصريين!

وأريد ذلك النوع الذي تلهمه دقة التفطن، وسرعة الخاطر، وحضور البديهة، والقدرة القادرة على التصوير والتخيل.

وقد يكون للنكتة من الأثر ما لا يكون لمقالة الكاتب مهما أطال وأسهب ولا لقصيدة الشاعر مهما اضفى وأسبغ!

سِرّ البراعة في النكتة!

البراعة في النكتة تحتاج في المرء إلى خلال:

منها الذكاء اللماح، وسرعة الخاطر، وقوة اللَّسن، وأعنى بها القدرة على دقة التصوير والتخييل باللسان، والعلم بأحوال الزمان والبيئة والأشخاص، وشيء من الجراءة، ولا أحب أن أقول: شيء من قلة الحياء!

وأخيرا لابد لها من خفة الروح؛ فلا خير في نكتة تجئ على لسان ثقيل!

ألوان النكتة وأنواعها

إن الرجل الذي أوتى هذه المواهب يلحظ الانحراف مهما دق في خُلق المرء، أو في بعض عمله، أو حديثه، أو في أي شيء من الأشياء على جهة العموم، فسرعان ما يسوى له بخياله صورة مكبرة مهما تبعد في شكلها عن الأصل، فهى متصلة به بسبب أو بأسباب.

ولقد يخلق الحديث خلقا، ولكنه إنما يترجم عن حال من يبتدر عليه. ولقد تجيء في صورة جواب مُسْكت استنادا إلى حال واقعة أو في شكل ملاحظة لطيفة.

ولقد تجيء بالاشتقاق اللفظى، أو من تحريف اللفظ عن جهته، كما روى عن البابلى.. رحمه اللّه.. أنه سمع المغنى يقول:

(أهل السماح الملاح دول فين أراضيهم؟!) فأجاب من فوره: (في البنك العقارى!)، وكان البنك قد حجز على أراضيه في ديون تراكمت عليه!

وقد تقع بالقابلة والطباق، فقد اخترع رجل طريقة سهلة لترويق الماء[1]، وكان البابلى يستثقل ظله فقال:

«بقى يا إخواننا، الرجل ده يروق الميه، ويعكر دمنا!»

وعلى كل حال، فالنكتة ضرب من التصوير (الكاريكاتورى)، أو على الأصح أن التصوير الكاريكاتورى ضرب من النكتة، لأن صاحب هذه يملك ما لا يملك المصور من الاسترسال في التصوير والتخيل بالاشتقاق والتوليد، فلا يزال يقلب الصور ويلونها، ويخرج واحدة بعد أخرى في أشكال، وأوضاع مختلفة حتى يأتى على يجميع المعانى التى يحتملها المقام[2]».

فتعال تعايش أحد أعلام الفكاهة المنظومة في مصر «الأستاذ محمود غنيم» في «شعر المباسطات والمداعبات!» وهو الرائد في هذا الفن!

دعابة مع صديق أغمى عليه في إحدى الغارات الجوية[3]

عند أول غارة حدثت بالإسكندرية في الحرب العالمية الثانية أغمى على صديق للشاعر «محمود غنيم» في أحد المخاربئ، وكان منه ما كان يفعل الخوف! فداعبه الشاعر بقوله:

أرأيـــت صُـنـعَ محمدٍ ... في مخبأ بالناس حافلْ؟
سَـمَـعَ الـصـفِـيـرَ مُـدَوِّيَـا ... فتفككت منه المفاصل!
مـا كـان اشـجـعَـه! فقد ... لاقـى القنابلَ بالقنابلْ!
ووَهَـت[4]عـزيـمـتـهُ فاقْدَ ... ـتَ يابسٌ منه[5]وسائل!
وَيْـحِـى[6] على رفقائه ... مـن قـاتـلِ هـربـوا لقاتل!

(1) عندما كان النيل يأتى وقد اختلط ماؤه بالطمى عن الفيضان، وكانوا بروقونه باساليب مختلفة يوضع الشب، أو ينوى المشمش.
(2) المختار ج 2 لبعد العزيز البشرى.
(*) صرخة في واد 270.
(4) وهت: ضعفت.
(5) كناية عن الغائط والبول، والقنابل الثانية الرياح وما لها من صوت!
(6) كلمة ترحم وإشفاق.

المتطفلون!

ذات يوم كتب الشاعر «محمد الأسمر» مقالا اجتماعيا بصحيفة الأهرام القاهرية يبرز فيه ما يعانيه سكان القاهرة من الثقلاء الذين يتسمّون باسم الضيوف، ويضايقون الناس في منازلهم التى لا تكاد تتسع لأصحابه!

وقد رأى الشاعر «محمود غنيم» جريا وراء الدُّعابة الشعرية أن يبتعد عن الموضوع الاجتماعى الذي كتب المقال من أجله، فنشر في صحيفة الأهرام قصيدة (مُضادة) يحضُّ فيها على الكرم، ويتهم الشاعر الأسمر بالدعوة إلى البخل، وكان بينهما ما كان!

أما البداية فقد وجه الشاعر محمود غنيم دعابته إلى الأسمر قائلا:

صُمْ إذا ما الضيفُ جاءك
وامنح الضيف عَشاءك
واجعل الصوفَ غِطاء الضَيْـ
ـف والسقف غطاءك
لا تَصُنْ زادك في الشِّعـ
ـرى[1] ولا في المِريخ ماءك
يا صديقى، قد فحصنا
لك، فكان البخلُ داءك
خذ نقيع الجود واشريْـ
ـهُ تجد فيه دواءك
أنت بالبخل مريض
تسألُ اللّه شفاءك

ترى ماذا كان رد الشاعر محمد الأسمر على اتهامه له بالبخل؟ قال:

---

(1) الشِّعرى: كوكب نير يطلع عند شدة الحر، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: 49] وهما شعريان. والمريخ: أحد كواكب المجموعة الشمسية.

يا كريم العصر!

يـــا صـــديـــقـــى أنـــــت فـــي شـعـــ
ـــــرك لـــــم تـــلـــبـــس رداءك
يـــا كـــريـــمَ الـــعـــصـــرِ مـــا أجْـــ
ـــمَـــــلَ فـــي الـــجـــودِ ادعـــــاءك
قـــــد عـــــرفـــــنـــــاك صـــغـــيـــرا
وتـــــبـــــيـــــنّـــــا ســـــخـــــاءك
فـــاحـــمَـــدِ الـــلّـــه عـــلـــى الـــســتْ
ـــــرِ، ولا تـــكـــشـــف غـــطـــاءك
لا أُطـــيـــلُ الـــقـــول أنـــت الـــ
ـــيـــومَ أصـــبـــحـــت سِـــــواءك
صـــــرت مـــحـــمـــودا جـــديـــدًا
بـــعـــدمـــا داويـــــــت داءك
فـــــأطـــــال الـــــلّـــــه لـــلـــجـــو
دِالـــــكـــــلامِـــــيّ بـــقـــاءك

ولم يتوقف الأمر عندهذا الحد!

بل لقد رد الأستاذ محمود غنيم على الأستاذ محمد الأسمر.

ورد الأستاذ محمد الأسمر عليه فتبادلا الرد!

وإليك مادار بينهما: وقد رد الأستاذ محمود غنيم على هذه الأبيات بأبيات جاء فيها:

ايـــهـــا الـــمـــنـــكـــر جـــودى
رحـــــم الـــــلّـــــه حَـــيـــاءك
أنـــــت مـــــن يـــــوم بـــعـــادى
عـــنـــك لـــم تـــمـــلأ وعـــــادءك
عـــــرف الـــــرَّفَّـــــاءُ يـــا أســـمَـــ
ـــــرُمـــــن بـــعـــدى رداءك!

بروفة ثانية 25/ 9/ 2019

الأسمر يرد عليه

وكان ختام المداعبة القطعة التالية:

ويـك يـا (مـحـمـود) هـل تَـنْـ ـسـى ردائـى ورداءك؟!
يـوم تـمـشـى فـيـودّ الـدّ هـر لـو قـام فـقـاءك!!
فـاذكـر (الـدرا)[1] الـتـى كنا بـهـا، واذكـر إخـاءك
واذكـر (الـقـلـقـاس)[2] واذكـر يـومـه، واذكـر بـكـاءك!
لـم تـمـؤ هـرة دارِ يـوم أضـربـنـا مُـوَاءَك
طُـفْـتَ بـالـمـطـبـخ لـمـصـرِ يـوم نـادَتْـك غَـداءك
أتـرى تـتـرك لـلـضـيـ ـف إذا جـاء عَـشـاءك؟!
يـا صـديـقـى هـكـذا كـنـ ـتَ فـهـل صِـرتَ سـواءَكْ
يـا كـريـمْ الـعـصـرِ هـل تُـبْـ صِـرُ (قـلـقـاسـا) وراءك؟!
مـاهـجـونـاك ولـكـنّـ ـا ذكـرنـا لـك داءك!!

وهذا اللون من «أدب المباسطات» و «شعر المباسطات» يدخل في الفكاهة ويكون عادة بين الإخوان والقرناء، وهو قديم في الأدب العربى، وقد حمله العرب المهاجرون إلى المهجر الأمريكى في الشمال والجنوب، ومما يذكر ولا ينسى ما دار بين «نعمة قازان»، و «توفيق ضعون» حين أهدى الأول، وهو صاحب مصنع كبير للأحذية.. حذاء إلى الثاني ومعه البيتان الآتيان:

لـقـد أهـديـت تـوفـيـقًـا حِـذاء فقال الـحـاسـدون: ومـا عليه؟!
أمـا قـال الفتى العربى يوما: «شبيهُ الـشـيء مُنجذب إليه»

فرد عليه المُهدى إليه بقوله:

لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمتُه لكنتُ أستاهلُ الدنيا وما فيها!
لكن تقبلت هـذا النعل معتقدا أن الهدايا على قـدر مُعطيها!

(1) المقصود بالدار: مدرسة القضاء الشرعى، وكان الأستاذ محمود غنيم زميلا للأسمر في التلمذة بها.

(2) قصة (القلقاس) تتلخص في أن طلبة القضاء الشرعى أضربوا في يوم من الأيام عن دخول مطعم المدرسة احتجاجا على بعض تصرفات الأنجليز ضد الوطن.

غنيم وناجى

يعتبر الشاعر الفنان «محمود غنيم» زعيم مدرسة الشعر الفكاهى، وقد كان له مع الشعراء مباسطات ومداعبات منه ما عرّض فيها بعلم الدكتور ناجى قائلا:

لنا طبيب يداوى الناسَ إن مَرِضوا بالفصل ما بين أرواحٍ وأبـدان!!
ومَنْ تجرع كأس الموت من يده فلن ميرّ على جنـاتِ رضـوانِ
ردّ «الردنجوت»[1] موبوءًا لصاحِبه فلم يُطَهِّرْهُ محلول «السُّليمانى»

محمود غنيم والردنجوت

ذات يوم كان الوزير الأديب العالم الأستاذ «إبراهيم دسوقى أباظة» وزيرا للأوقاف المصرية ورئيس جماعة أدباء العروبة التى كانت تضم صفوة الشعراء والأدباء في مصر ومنهم: محمود غنيم، وطاهر أبو فاشا، وأحمد مخيمر، والدكتور إبراهيم سلامة، وأحمد عبد المجيد الغزالى، والدكتور إبراهيم ناجى صاحب الأطلال. ودعا الوزير هذه الصحبة إلى حفل غداء تتوسطه نخبة من الديوك الرومى، تحف بها صحون من «العدس الأباظى» وقد اشترط الباشا الداعى على ضيوفه الحضور ببدلة (الردنجوت)، وكان الحضور في مثل هذه المناسبات بالملابس الرسمية.

وجاء «ناجى» مرتديا «ردنجوت» وذهب محمود غنيم بملابسه العادية، ولما ساله الداعى عن الردنجوت قال:

(الـردنـجـوتُ) يـا جـنـابَ الـوزيـر
لـيـس يـقـوى عـلـيـه جـيـبُ الفقير
رمـتُ أن أستـعـيـره مـثـل (نـاجـى)
ثـم أحـجـمـت خـوفـا مـن الـمُـعِـيـر
كـم رأيـتُ الـقـصـيـر فـوق طـويـلِ
ورأيـتَ الـطـويـلَ فـوق القصير!
لـسـت أرضـى بـثـوب غـيـرى
وإن هـم نسجوه مـن سـنـدسٍ وحرير

(1) «الردنجوت»: ملابس رسمية كان يشترط لبسها عند حضور حفلات الخاصة من علية القوم!

وكانت هذه القصيدة بمثابة الشرارة في إثارة تلك التشنيعات المتبادلة بين الصديقين: غنيم وناجى، كما نسعد بها في ترجمة ناجى!

من وحى العدس الأباظى

أوحى العدس الأباظى بشرائح الدجاج البلدى إلى الشاعر محمود غنيم بأبيات وهو يتذوقه لأول مرة!

ولعلة كان في أشد الضيق حين علم أن العدس هو الصنف الرئيسى على مائدة الوزير دسوقى أباظة رئيس أدباء العروبة ووزير الأوقاف آنئذ!

نعم لعله كان يمنّى نفسه بطعام (باشوات) لا العدس الذي له به سابق عهد وإن شئت فقل: رفيق الصبا، وعشرة العمر هو والفول! وفي ذلك يقول:

قالوا لى: ظفرت لدى الوزير اسمه
لو لا؟! ومنمه قد تكوَّن هيكلى؟!
حتى ظفرت لدى الوزير بأكله
فلعقت من بعد الملاعق أنمُلى!
عدس الأباظيين صِنْفٌ آخرٌ
غير الذي عُوِّدْته في منزلى!
ساءلت (ناجى) وهو يحشو فكه
عن صُنعه، فأجاب: لا عِلمَ لى!
هو من كبار العالمين بأكله
ويغير ذلك من كبار الجُهَّل
لا تدعُ «ناجى» إن أُصبت بعلةٍ
وبِطِبَّه، ودوائه لا تحفل

بُط الماحى!

الشاعر «محمد مصطفى الماحى» دعا أدباء العروبة لحضور مأدبة شهية من البط، لم يحضرها الشاعر محمود غنيم، ولكنه عندما علم بما قدم في هذه المأدبة انطلقت شاعريته ارتجالا بهذه الأبيات التى وجهها إلى صديقه الشاعر الماحى قائلا:

قد سمعنا عن بطّكم ما سمعنا
فأكلنا بالأذن حتى شبعنا
غير أن الأفواه تنطق هَمْسَا
ما عرفنا لذلك البط معنى
يا أبا مصطفى عليك سلام
أفيرضيك أن شبعت وجُعْنا؟!
وَسِعَ الناس كلَّهم بَطُّكَ النا
ضِحُ دهنا.. لكنه لم يسعنا!

وما هى إلا أيام حتى أتاه البط، ووسعه بط الشاعر الماحى!

وذات ليلة منم ليالى أدباء العروبة اجتمع شمل الأصدقاء ودار الحديث حول «التعليم ورجاله، وما آل إليه أمره».

وكان بين الحاضرين من رجال التعليم الشاعر الكبير الأستاذ «محمود غنيم» الذي عين مفتشا في «وزارة المعارف العمومية» التى أصبحت فيما بعد (التربية والتعليم).

وتحدث أحدهم عن المعلمين، وسوء حال التعليم وعجب من قول شوقى أمير الشعراء:

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعَلّم أن يكون رسولا!!

وتساءل: أين هذا المعلم الذي كاد أن يكون رسولا؟!

وهنا قال أحدهم: «لو نظر كل واحد من الزاوية التى ينظر منها الآخر لا ستراح كثير من الناس!»

وقال أحدهم: شوقى يتحدث عن معلم مثالى أيام كان التعليم تعليما!

والتفت الجميع إلى محمود غنيم ليسألوه رأيه، فقد عاش التجربة مدرسا وموجها، فعبر عن رأيه فيما يلى:

رأيه في التفتيش

وكشف عن رأيه في التفتيش حين قائلا:

ومـــا ســـرنـــى الـتـفـيـش حـيـن وليته
ولا أنـــا إن وَلّـــى، عليه بـآسـف!
لقد خِلْتُه يُغْنى عيالى من الطَّوَى
فـكـان كـمـضـروبٍ مـن النقد وائـفِ

رأيه في وزارة المعارف

وكان رأيه في الوزارة آنذاك:

وزارة مهضومين، لـيـس بقابض
فتى يرتقى فيها، ولـيـس بـصـارف!
إذا قـيـل: منسيون، فتشت عنهمو
فلم ألقهم إلا رجـال «الـمـعـارف!»

وكنت ترى على الشفاه ابتسامة.. لكنها حزينة!! وضحك كالبكا من «حال المعلم والتعليم» قبل أن تستفحل ظاهرة الدروس الخصوصية» و «المجموعات الإجبارية»!

وحديث عن الطعام

وكثيرا ما كان يدور الحديث يبين الشعراء حول موائد الأصدقاء.

ويرحم اللّه الشاعر «إمام العبد» الذي ضمن بيتين رائعين عن الطعام مثلا سائرا حيث قال:

طـعـامـى كـــان قـبـلا لـحـم عجل
فـصـار الـيـوم مـن خـبـز وفـجـل
فـإن قـلـتـم: لـمـاذا؟ قـلـت: إنـى
«عـلـى قـدر الـبـسـاط أمـد رجـلـى!»

ونراه يحدثنا عن الطعام وألوانه في إطار عاطفي فإذا أبياته تصبح تحفة ضاحكة!

إنه يقول:

حملت كشكول وجدى في هوى الغيد
أبغى به (شـوريـاء) الوصل في العيد
(مـلاعـق) العدل للأسماع قد قرعت
قـرع الـمـعـاول فـي صُـمَ الجلاميد
فـ(فلفلوا) (رز) عهدى في (طناجركم)
وانجزوا سكبه في (صحن) مقصودى
بـفـارغ الـوعـد قـد منطقتُم أملى
و(بـرمـة) المطل طوقتم بها جيدى
منوا علىّ بـ (مـعـمـول) اللقا كرما
أنـا (الـمـربـى) على كيس الأجـاويـد
عندى ازيز (المقالى) في (مطابخكم)
الـذ مـن نـغـمـات الـنـاى والـعـود
وفـي (ملوخية) التعنيف قـد زلفت
أقـدام رجـلـى فهيا اغـرفـى وزيـدى!

وتعيد إلى ذهننا هذه الأبيات العدس الأباظي وموائد أدباء العروبة.

سبحان ربى!

وكان لمحمود غنيم رأيه في موظفي زمانه وأحوالهم التى لا تسر فيقول:

مـثـل الـتـلال تـراهـمُـو وأَضْـخَـمـا
لكنهم فـوق الأرائِـك كـالـدُّمَـى[1]
كـبـراء لـكـن لا يُـجـيـد كـبـيـرهُـم
من أَمْـرِه شيئًا سـوى أن (يَبْصُما)[2]

(1) جمع دمية، وهى لعبة الأطفال يحركونها متى شاءوا.
(2) كناية عن أميته وجهله وتبعيته.

حـالـكِ[1] يُجيد النقل، إن أسكتَّه
يَـسْـكُـتْ، وإن فُتح الصمامُ تكَلما
يـفـنـى فـنـاء، شـخـصـه فـي غـيـره
حـتـى لـتـحـسـبـه يـسـيـر مُـنَـومَـا
سبحانَ رَبّـي! كم من حمارٍ يُمْتَطى
ويـقـول: إنـي مـن سُـلالـة آدمـا!

سِيَبَوْبْه وجَهَلوية!

تصدت إحدى لجان اللغة العربية لتيسير النحو، وكان أحد أصدقائه عضوا بهذا اللجنة فداعبه يقول:

قـم.. انـظـر مـا جـرى يـا سيبويه!
ذهـبـت، وجـاء بـعـدك جَـهْـلَـوَيـه!
فـأصـبـح فـي قـضـايـا الـضـاد يُفتى
ويـرجـع مـشـاكـلـهـا إلـيـه
وقـيـل: مُـجـدِّدٌ فـي الـنـحـوِ قلنا
قـواعـد نـحـوه فـي مـقـلـتـيـه!

الجهل خير لى وأبقى!

ورقى أحد معارفه إلى درجة أعلى، فبعث إليه يهنئه ويداعبه بما يستحقه:

قـالـوا لـنـا: حـسـن تَـرَقَـى ... فـأجـبـتُ: فـاز بـمـا استحقا
لـمَ لا؟! ولـم أرَ بـيـنَـه ... أبـدًا، وبـيـن الـجـحـش فـرقـا!
هـذا زمـانُ الـجـهـل.. فيه ... «تُـحـرزُ الـعـرجـاءُ سـبـقَـا»!
لَاهُـمْ[2]، هَـبْ لى الجهلَ؛ إن ... الـجـهـلَ خـيـر لـى وأبـقـى!

(1) الحاكى: (الفونغراف).
(2) هى اللهم.

محمود غنيم والكلاب

اهتم الناس بالكلاب في كل العصور، وما زال للكلاب في بعض أقسام كليات الشرطة مكان، وعليها قيِّم مدرب تحبه ويحبها، وقد استغل الناس في الكلاب قوة حاسة الشم فاتخذوها للكشف عن المجرمين، تشم مكان الجريمة وآثار المجرمين، ثم تجرى سعيا إلى المجرم فتمسك به، ويحاول هو التخلص منها فلا يستطيع، وفي كلب من كلاب الشرطة يقول الشاعر محمود غنيم:

كلب يدل على الجُناه
تمشى العدالة في خطاه
إن قال أرهقت النيا
بة سمعَها وصغى القضاه
لم يُعْيِ[1] أهلَ البحثِ سِرٌّ
غامض إلا جَلاَهْ
يستخرج السر الدفين
كأنه بعض الحُواه[2]

إلى أن يقول:

قالوا: اتطرى[3] الكلب؟! قلتُ
لهم: ومن أطرى سواه؟
يرعَى الوِداد وما را
يت من الأنام فتى رعاه
سألوا الكلابَ الحق إذ
وجدوه بين الناس تاه

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر؛ فقد ذكر الشاعر الجزار الكلاب في شعره، وقد لامه اللائمون على ترك الشعر، واتخاذ صنعة الجزارة، أي: ذبح الحيوان، وبيع لحمه، حرفة له فقال:

(1) لم يعيهم: لم يعجزهم وحيرهم.
(2) جمع حاوٍ.
(3) أتطرى الكلب: أتمدحه، والإطراء: المدح.

كيف لا أعشق الجِزارة ما عشـ
ـتُ، وأقلى[1] الفنون والآدابا
فبها صارت الكلاب تُرَجَّينى
وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وأراد بالكلاب الأولى ذلك الصنف من الحيوان، وبالثانية البخلاء من الناس الذين كان يمدحهم بقصائده فلا يجزونه عليها إلا الحرمان والرد!!

ابن الرومى ووجوه الكلاب

وأراد ابن الرومى أن يهجو بعض من كان يستثقلهم واسمه «عمرو» فعقد موازنة لطيفة بين عمرو هذا وبين الكلب، انتهى منها إلى تفضيل الكلب بعد استعراض كل منهما:

وجهك ياعمرو فيه طول
وفي وجوه الكلاب طول
والكلب وافٍ وفيك غدر
ففيك عن قدره سُفول[2]
وقد يحامى عن المواشى
وما تحامى وما تصول
وأنت من بيت قوم سوء
قصتهم قصة تطول
وجوههم للورى[3] عطات
لكن أقفاءهم طُبول
بيت كمعناك ليس فيه
معنى سوى أنه فُضول[4]
مستفعلن فاعلن فعول
مستفعلن فاعلن فعلول

(1) أقلى: أكره، وأبغض. (2) سفول: انحدار ونقص. (3) الورى: الخلق.
(4) زائد لا يفيد معنى جديدا.

الشاعر والشيخ

محمد الأسمر

شاعر الأزهر في القرن العشرين

تحت سماء دمياط الساحرة، وعلى أرضها الجميلة.. حيث تطل برأسها من نافذة على البحر الأبيض المتوسط، وتمتد على ضفاف النيل.

في هذه البلدة الطيبة الوديعة الساكنة ولد شاعر الأزهر النابغة الأستاذ: «محمد الأسمر».

وقد أستمد من جمال بلدته وخصوبتها دماثة الخلق، ووداعة النفس، وطيب القلب، وخفة الروح، ووسامة الوجه وبشاشته.

وقد أجمع العامة والخاصة على الإعجاب بشعره، وأطربهم قصيدُه بجماله وتعدد ألوانه!

وكان شاعرنا - رحمة اللّه عليه- حسن المعاشرة، لطيف الدعابة، محبوبا عن عارفيه.

وقد ضم «ديوانه» الكبير الذي بلغت صفحاته ستمائة وثمانين صحفة ألوان من شعره، منها «الإخوانيات والدعابات».

مع الشاعر الظريف: محمد الأسمر

في دعاباته الشعرية ومفاكهاته

الشيخ محمد الأسمر والجامعة العربية

في البدء من حقه علينا أن نذكره بما هو أهل له من التكريم..، ولقد كتب الشيخ محمد الأسمر قصيدة في سنة 1945 بمناسبة «توقيع ميثاق الجامعة العربية» غنتها أم كلثوم من ألحان زكريا أحمد في قصر عابدين في حفلة كبرى حضرها موك ورؤساء العرب، وفيها يقول:

زهرالربيع يُـرى أم سـادةٌ نُجُبُ؟!
وروضــةٌ أينعت أم حفلة عجَبُ؟
تجَمَع الـشـرقُ فيها فهو مؤتلق
كالعِقْد يلمع فيه الـدر والـذهـبُ

وختم هذه القصيدة ببيت حافظ إبراهيم الشهير الذي قال فيه:

هـذى يـدى عن بنى مصرِ تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العربُ

وهذا البيت من الشعر من أحسن ما قالته العرب طوال أربعة عشر قرنا! وقد كان الشيخ محمد الأسمر من اظرف الناس وأملحهم وجها، وأسمحهم خلقا.. أنيقا في ثيابه الأزهرية، يميل إلى السِّمنة، وعندما رحل شوقى أمير الشعراء رشح الأستاذ العقاد محمد الأسمر ليصبح أميرا للشعراء. فتعال ننعم بصحبة هذا الشاعر الظريف!

هو والشاعر ابو الوفا

بعث الشاعر وهو طالب بمعهد دمياط الابتدائى بهذه الأبيات إلى صديقه الشاعر: «محمود أبو الوفا» يداعبه ويعاتبه على وعد أخلفه!

بنفس الـذي بـتُّ الـمَـسـاءَ مراقبَا
لإنـجـازه وعـد الـصـبـاح فأخلفا[1]
ولـيـس غـريـبـا مـنـه إخـلافُ وعـدِه
ولكن غريب أن يشَمّآ «إبـا الوفاء»
ورُبَ أبٍ قـد فـرَق الـدهـرُ بينه
وبـيـن ابـنـه حتى تـنـاسـاه أو جـفـا[2]
فـإيـاك والأسـمـاءَ لاتـغـتـرِرْبـهـا
فـمـا وضـعـت للطفل إلا لـيُـعـرَفـا

(1) بنفسى: أفديه بنفسى.
(2) يشير إلى تخليه عن صفة الوفاء، وتقطع الصلة بينه وبينها، كما تقطع الصلة بين الابن وأبيه.

وماوُضِعت وصفًا له حين وضعِه
فقد كان طفلا صارخا ما تكشفا
بمصر أسامِ وضعها وضع شاعر
تعسَّف في أشعاره وتكلفا!!

تهنئة بمناسبة قران كريمة الشاعر الهراوى «سارة» وردها على التهنئة!

ياسُرَ (مُن رَا)[1] للك المسَرّة فأنت بين الحِسان غُرّه
وما اجتلتك[2] العيونُ إلاّ رأتك نورًا لها وقُرّه
ربيبةَ العلم والقوافى[3] وربةَ الفضلِ والمبَرّه
أبوك صاغ الَقَصيدَ عِقدًا وأنت في العقد خير دُرّه
هُنيت ياسُرّ من رآها هُنِّيتِ هُنّيت ألف مَرّهْ

وقد ردّت كريمة الشاعر «سارّة» بهذه الأبيات:

شكرا لعَمّى الأسمر الألمعِىّ العَبقرىِّ
وافى إلىّ قصيدُه فظفرت منه بجوهرِ
قلمى المقصرُ لا يَفى بجميل شكرِك فاعذرِ
اشكرهْ عنى يا أبى ببيانك المتَخيَّر
فأبو نواسِ ماله إلا أخوهُ البُحتُرِى[4]!

ضيافة!

دعا الوجيه (مصطفى خلوصى) بعض أصدقائه إلى ضيافته في (دندنيل) بين «بنى سويف» و «الفيوم».

(1) سُرَّ من رَا: اسم مدينة: سامراء. وأراد هنا سارة بنت الهراوى فهى مصدر سرور لكل من رآها.
(2) تأملتك. (3) الشعر.
(4) أبو نواس والبحترى شاعران كان لهما شأنهما في العصر العباسى وتريد بهما الأسمر واباها.

وكان من بين المدعوين: «محمد علام» وزير الزراعة الأسبق، وأحمد بك الشيخ، كما كان بينهم الأستاذ سليمان بك عزت، والأستاذ محمود رشيد.

وقد نظم الشاعر القصيدة الآتية يصف فيها هذه الضيافة:

ومنزلِ لمصطفى نزلتُه ... حَلَلْتُ في الجنة إذ حللتُه
ما تشتهى الأنْفُس فيه حاضرُ ... وطابَعُ الحسن عليه ظاهرُ
فلو تراه لرأيت (فِلّه) ... بديعة تحوى الجمالَ كُلّه
نَسّقَها كما يشاءُ (مصطفى) ... وجلب الحُسْنَ إليها واصطفى
بِتْنا بها نأكل أكلا لَمّا ... وما شكونا بشما ألَمّا[1]
وخير ما تأكله ما تهضمُهُ ... حتى ولو كان الحديدَ تلقُمه
إن أنسَ لا أنسَ وكنا خمسَا ... يوم تناولنا الخروفَ هَمْسَا
ثم نهضنا علنه شَنَا[2] باليا ... وهيكلا من العظام خاويا
ثُمتَ قلنا: ليس بعدُ من عَشا ... كفى كفى ما كان من هذا الغدا
حتى إذا ما الليل جن وادلهمْ[3] ... صاحت بنا أمعاؤنا: أين اللُّقَم؟!
فنظر القوم لرب الدار ... نظرةَ سِنّوْرِ[4] لجُحْر فارِ
و (مصطفى) يضحك منا كُلِّنا ... في عجبَ من قولنا وفعلنا
قلنا له: يا مصطفى هل من (يمك) ... قال: نعم عندى حمام وسمك
وصاح بالخادم: أَقْبِل فأتى ... وقال: هل تم الطعام يافتى؟!
قال: نعم. قال: إذن فهيَا ... أكلا، وشُربا طيبا هنيّأ
فلو ترانا قلت: قوم جاعوا ... بضعةَ أيام؛ فهم سباعُ!
وهكذا يفعل طِيبُ المنزل ... فمن يصادَفَ مثلَه فلينزلِ
لقاء من أحببت، والهواء ... يفعل ما لا يفعل الدواءُ

❊ ❊ ❊ ❊

(1) بشم من الطعام: أصابته تخمة. وألمّ: نزل. وأكلا لما: كثيرا.
(2) الشن: القربة.
(3) جن الليل: أظلم. وادلهم: اشتدت ظلمته.
(4) سِنَّوْر: قط.

ثم نهضنا بعد ذاك للسَّمَرْ ... من نكت طريفةٍ، ومن سِيَر
ودبّ للعين الكَرى[1]، فقمنا ... كُلٌّ إلى سريره، ونمنا
ما راعني غير شخير (أحمدَ) ... في نومه مرجِّعًا[2] مُرَدِّدَا
كأنه وقد غفا بكَلَّته[3] ... مُدَخّن (يَشُدَ) في نَرْجيلتهْ
وأسفر الصبح وضيئا مثلما ... يضحك للإغراء معسولُ اللَّمَى[4]
ولاحتِ الحديقة الغَنَّاءُ ... والروضة الفينانة[5] الفيحاءُ
كأنها وللندى فيها أثر ... زبرجد مُلْقى عليه بالدُّرر
ما أجملَ الدار ومَن بناها ... وأقربَ الألفاظَ من معناها!

مكافأة تأخرت!

كان الشاعر منتدبا في وزارة الداخلية لمراقبة بعض المطبوعات، وتأخر صرف مكافأته، وكلما سأل عن سبب تأخير صرفها قالوا: إلى الآن لم يتم «التوقيع» بالموافقة على صرفها من (عبد الرحمن عمار بك) وكان وكيلا لوزارة الداخلية، فبعث الشاعر إليه بهذه الأبيات:

(عمارُ) يا أخا الأدب ... لي عندكم حَقَ وجَبْ
بالأمس زكَّاهُ (الرئيـ ... ـسُ) خير من زان الرتب[6]
وقال (توفيق): دنا ... ما ترتجيه واقترب[7]
وكلّ يوم لم أزل ... اسأله وارتقب
تمضى الليالى وهو في الطَّـ ... ـول شبيهاتُ الحقب[8]
فقصِّر الليلَ على ... مُضناك[9] وانظر في (الطلب)

(1) الكرى: النوم.
(2) الترجيع: إعادة الصوت.
(3) الكلّة: الناموسية. والنارجيلة (الجوزة) أو «الشيشة».
(4) اللّمى: سمرة طبيعية على الشفاه محببة.
(5) الفينانة: طويلة الأشجار.
(6) المراد بالرئيس هنا: دولة إبراهيم عبد الهادى باشا.
(7) الأديب الكبير الأستاذ توفيق صليب وكان مديرا للمطبوعات.
(8) جمع حقبة، وهى الفترة من الزمن.
(9) الذي حل به الضنى والتعب.

هـــل (الـــوكـــيـــل) هـــا هنا ... أم الـــوكـــيـــل فـــي حـــلـــب؟!
يـــا حـــافـــظَ الأَمْـــــنِ ومَـــنْ ... أعـــــرضَ مـــن غـــيـــر سَـبـب
أدرك أخـــــاك إنّ أمْـــ ... ـــــنَ جـيـبـه قـــد اضـــطـــربْ!

ومازلنا في حديث المال.. وحديثه عجب اي عجب!

لقد قال فيه شوقى:

«يا مال.. الدنيا أنت.. والناس حيث كنت. سخرت من قارون وسعرت النار يانيرون!»

فلا عجب إذا شغلت جنيهات ثلاثة بال شاعرنا أيام كان الجنيه جنيها بحق!

فتعال نعرف قصتها!

ثلاثة جنيهات!

احتفظ القائمقام «عبد الحميد فهمى مرسى» مدير الشئون العامة بوزارة الحربية والبحرية لصديقه (محمد الأسمر) بثلاثة جنيهات أودعها درج مكتبه!

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر يحضه فيها على المحافظة عليها!!

(أعـبـدَ الحميد) وأنـت امـرؤ ... عـرفـتُـك مـن عُـنـصـر طبيب
لـنـا عـنـدكـم مهجة أُودِعَـــت ... لشهر الـصـيـام على الأغـلـب!
ولـــو أسـتـطـيـع لأودعـتُـهـا ... إلـى رمـضـان على كـوكـب[1]
فـلا تَـغْـفُ عينك عـن حفظها ... ولا تـنـأ عـنـهـا ولا تلعب
فـإنـى أخـــاف عليها النسيمَ ... وأخـشـى امـتـداد يـد الأجنبى
ولـولا السيوفُ ولـولا الحِرابُ ... لـديـك لما سـاغ لـى مشربى!
مـعـلـقـةٌ تـرهـب الـسـارقـيـن ... وتـبـعـث بـالـمـنـظـر الـمـرعـب
ومهما يكن فـحـذارِ اللصوصَ ... حـــذارِ حـــذارِ ولا تغضب
فـــإن لـهـم خـيَـلًا كُـلّـمـا ... تـذكـرتُـهـا دارت الأرض بى!
وراقـــب ضـيـوفَـك يـا صاحبى ... وحـتـى ذوى النسب الأقـرب!
وراقـــب يـديـك ولا تعتب ... وراقـــب يـــدىّ، ولا تعجب!

(1) بعيدا عن أيدى العابثين.

وحـاذرِ من (السيد المرغنى)[1] وإن كـان فـخـر بـنـى يَـعْـرُب
أبـيـت وجـسـمـىَ فـي منزلى! وروحـى وعقلىَ فـي المكتبِ
ووالله ليس الحِرص من شيمتى ولا جمعىَ الـمـالَ مـن مذهبى
ولـكـنـه مـرض طـارئ يـزول، وعـدوى الغنى المتعِب
ثـلاث مـن الـورق العبقرى لديكم، وكيلى عليها النبى!
إذا عَـلِـمَـتْ أنـنـى ريـهـا بخشن- ولاشـك- عـن مهرب!

تعليقان

وعلق الشاعر الأستاذ: (عبد الحميد فهمى مرسى) على هذه القصيدة بقوله:

تـروح وتـغـدو إلـى مكتبى كـأنـك تـسـعـى لـقـبـر النبى
تـحـج إلـيـهـا لـكـن تطمئنَ عـلـى مـا لجيبك مـن مَـهـربِ
ولـسـت أخـاف عليها سـواك إذا مـا تـسـلّـلْـت كـالأرنـب!
فـلا تـجـزعـن ولا تـهـلـعَـنّ ونـم مـطـمـئـنـا، ولا تتعب

وعلق عليها الشاعر الكبير الأستاذ على الجندى عميد دار العلوم الأسبق بقوله:

ثـلاث مـن (البنكنوت) النفيس تـنـفـس عـن تـعـب المتعب
أفـى الـحـق أن يقتنى شاعر ذخـائـر فـي عامنا الأجْـدَبِ؟!
ألـم يـكـفـه أنـه بـيـنـنـا يـحـلُّ محل (أبـى الـطـيـب)؟!
فيما أسـمـرَ العين مـاذا دهـاك ومـا ذلـك الطمعُ الأشعبى؟!
أتَـسْـمَـنُ والـضُّـرُّقـد شفنى وتمزح والـجـوع قد جَـدّ بى؟!
وتـخـتـال فـي ثـوبـك الأزهـرىّ وثـوبـىَ بـالِ لـى مَـنـكـبـى؟!
أعِـنّـى فـإنـى أخـوك الـذي يُـفَـديـك بالنفس والمنصب

(1) السيد الميرغنى الإدريس شيخ الأدارسة بالبلاد العربية وله شعر بديوان الشاعر تحت عنوان: «سودانيات».

سمراء الاسكندرية!

ذهب الأسمر إلى الاسكندرية مستشفيا بنسمة البحر وراح يبحث عن حجرة في المنزل يُطل منها على البحر!

فوجد تلك السمراء الهيفاء فأنساه هواها حسن هواء البحر، فتعال إليه يحكى لنا تجربته الطريفة:

سمراءُ هيفاءُ لها منزلٌ ... يُطل في الثغر على البحر!
لما قرعت البابَ أبصرتُها ... تفتحه في رقة الفجر!
ليست من السود دجوجيةّ[1] ... ولا من البيض أو الصفر
لكنها سمراء مثل القَنا[2] ... شكلا وفي لونِ لَمى الثغر[3]!!

❊ ❊ ❊❊

قلت لها: هل عندكم غرفة ... طيبةٌ هَيّنة الأجر؟!
ينزل فيها شاعر مُفلسّ ... ليس له شيء سوى الشِّعر
جاء لكم من مصر مستشفيا ... بنسمة البحر من الحَرّ
فرحبت بى ساعةَ خلتنى ... فيها مع الشمس أو البدر!!
وقالت: اصبر لِغدِ وائتنا ... وكيف للشاعر بالصّبر؟!

❊ ❊ ❊ ❊

سمراء، أنسانى الهوى عندكم ... حسن هواء البحر والبَرّ
جئت أريح الفكر في داركم ... فبات مشغولا بكم فكرى!!

تخفيف!

مرض الشاعر، وعاده بعض إخوانه، وانشغل بعضهم عن ذلك فقال الأبيات الآتية:

لما مَرِضّنا بدت أمُورُ ... وكَشَّف اللّه ما تكَشَف
فزارنا معشر كرام ... ومعشرٌ غيرُهم تخَلَف

(1) الدجوجى: شديد السواد. (2) القنا: الرماح. (3) اللّمى: سُمرة محببة في الشفاه.

وكـلـهـم مـخـلـصٌ وفِـيٌّ وكـلـهـم مُـحْـسِـنٌ تـلـطَـف
مـن زارنـا فَـهْـو أهـل فضل أمـا الـذي لـم يـزر فخفَّف!

شكوى صديق!!

وشكا له صديق ما ألم به فعرض عليه قضيته من البداية إلى النهاية وصاغها الأسمر شعرا:

يـقـول لـي صاحبي قـولا عجبت له
زُوّجـت أنثى بـدا لـي أمـرُهـا عجبا!
تـقـول لـي كـلَّ يـوم غـيـرَ راحـمـةٍ:
«كـنِ كيف شئت ولكن أدِّ ما وَجَبا»
فـمـا تـريـدك أنـثـى عـالـمَـا فَـطِـنَـا
أو شـاعـرًا لبقا، أو قـائـدا دَرِبـا[1]
ومـا تـريـدك أنـثـى آيـة عجبا
فـي حسنه، أو غنيا ينفق الذهبا!
لكن تـريـدُك لـلأمـر الـذي خُلقَتْ
لـه الإنـاثُ، وإن أكَّـلْـتَـهـا حَـطَـبَـا!!

❊ ❊ ❊ ❊

صدعتُ بالأمر شهرا رُحـتُ مُنْحَنيا
من بعده أشتكي الآلام والـوصـبَـا[2]
جـردتُ سيفيَ عضْبا[3] في معاركها
حتى تَثَلّم مـن هـول الـوغـى ونَـبَـا[4]

(1) دربا: مولعا بالقيادة. (2) الوصب: التعب. (3) عضبا: قاطعا.
(4) تثلم: لم يعد قاطعا. ولم يعد ماضيا. ونبا: لم يقطع.

وصحتُ من فرط ما بى: «أنت طالقة»
وقمت عنها أجـرُّ الـسـاق والركبا!
وقلت: بِينى[1]، فليس العمرُ بَعْثرةَ
ورحــت ألمس نفسى مُمْعِنَا هَرَبا

احتجاب!

ذهب الشاعر محمد الأسمر مع صديقه القائمقام (عبد الحميد فهمى مرسى) لزيارة صديقهما الشاعر الأستاذ «على الجندى» بمنزله، فقيل لهما: إنه غير موجود!

فنظم الشاعر الأسمر هذه الأبيات، وأرسلها إلى الأستاذ الجندى مداعبا:

سـألـنـا عـنـك لاوقــتَ الـغَـداء ... لِـتَـأْمَـنـنـا، ولا وقــتَ العَشاء
ففيم حجبتَ نفسَك بعد هذا ... وأنت الشمسُ واضحةُ الضياء؟!
أضـعـتَ بـسـوء ظـنَـك أيَّ لهوٍ ... لـهَـوْنَـاه مَـسـاءَ الأربـعـاء!!

ورد الأستاذ الجندى

رد الأستاذ الجندى على الشاعر محمد الأسمر بالأبيات الآتية:

لعَمرى لـم أخُـن عهدَ الإخـاء ... فـدُومَـا لـلـوفـىّ على الـوفـاء!
سيُمحى الـوُدُّ في الدنيا وودُّى ... بـه الـقَـاكُـمـا يـوم الـجـزاء
أضِـنَ به- على جودى - كضَنِّى ... بمن أهـوى على عـادى الفَناء
واحـرصُ أن يـدوم دوامَ وصْـلٍ ... أتـى بـعـد القطيعة والـجَـفـاء
أأرغـب عـن لقائكما اختيارًا ... وأُنْـسُ النفس في هذا اللقاء؟!
«مَـسَـاء الأربـعـاء» خُـذا أمانا ... لقلبى مـن مـسَـاء الأربـعـاء
إذا مـا عـادت الـذكـرى فـؤادى ... خضَبتُ بعَبْرتى الحَرَى ردائى!

ولم تنته المباسطات بين الأصدقاء من الشعراء، فقد كانت، ومازالت، وستظل مبعث سرور وهناء! فتعال ننعم بلقاء بعده لقاء!

(1) بينى من ألفاظ الطلاق. فارقينى وابتعدى عنى.

العصا بين شاعرين

أهدى الشاعر «محمد الأسمر» عصا من خيزُران إلى صديقه الأستاذ «على الجندى» ومعها أبيات منها:

ياصديقى، وأنت نعم المربى ... قد بعثنا العَصَا فرَبِّ الزمانا!
وإذا ما اللسانُ أخفق في النصـ ... ـح فشَمِّر، واجعل عصاك اللسانا
هى نعم الخليلُ والصاحبُ الوا ... في، مُعينٌ رفيقَه ما استعانا
إن تشأ كانت المُعينَ وإن شئـ ... ـتَ رفيق إن لم يعاونك زانا

وتلقى الأستاذ الشاعر محمد الأسمر ردا من الأستاذ الشاعر على الجندى في أبيات منها:

قد اتتنى العصا فكانت أمانَا
لي مما أخاف واطمئنانَا
تُحْفَةٌ من أخٍ نبيلِ السجايا
لا عَدِمْناه يُتْحف الإخوانا
(أسمرٌ) لِاسْمه صبونا[1] إلى السُّمْـ
ـرِ، بيضُ الوجوه كانت مُنانا
لو ترانى وقد توكأتُ في السيـ
ـرِ عليها لَخِلْتَنى سُلْطَانا

عصا عبد الحميد

.. وقرأ الشاعر القائمقام (عبد الحميد فهمى مرسى) ما دار بين الشاعرين: «محمد الأسمر»، و «على الجندى» حول العصا، فبعث إلى صديقه الشاعر الأستاذ الأسمر بعصا هدية منه، فأرسل إليه الأستاذ الأسمر الأبيات الآتية:

جاءت عَصاك فمرحبا بمجيئها ... لا الصارمُ الماضي، ولا العَسَالُ[2]!
ذكرَتْ مَغَارسَها[3] وسابق عهدها ... بين الرياض فأقبلت تختالُ

(1) صبونا: ملنا. (2) الصارم: السيف: والعَسّال: الرمح.
(3) مغارسها: أماكن غرسها الطيبة.

لسنا نَهشُّ بها على غنم و لا مما يخاف أذاته الأطفال
هى الكرامةُ ليس مضروبا بها أحد، وإن ضُربت بها الأمثالُ[1]

ونتنقل من العصا المهداة إلى هدية الديكة الرومية وغيرها مما لذ وطاب!

ترى ماذا فعل الصحاب؟!

هدية السيد ميرغنى الإدريسى
قرّبا مَربط النعامة مِنى!

بعث (السيد ميرغنى الإدريس) إلى الشاعر (محمد الأسمر) هدية من الديَكة الرومية، والتمر، والقصب، وكان معهما حوت[2] كبير!

وقد أرسل السيد هذه الهدية إلى الشاعر عن طريق صديقهما الشاعر القائمقام (عبد الحميد فهمى مرسى)، وقد أراد (عبد الحميد) أن يداعب صديقه الأسمر، فبعث إليه الهدية، واستبقى الحوت، فبعث الأسمر إلى السيد بالقصيدة الآتية يتمنى له الشفاء من مرض ألمّ به، ويشكر له هديته، ويذكر ما صنعه عبد الحميد:

يا سليلَ النبىَّ عوفيتَ مِمَا بِتَّ تشكوه من أذاة الليالى
قال: أشكو الأملاح قلت: عجيب كيف يشكو الأملاحَ حُلْوُ الخصالِ؟!
الصديقُ الكريمُ والعَسَلُ الصا في، شهىَ الودادِ، عذبُ الخِلالِ
والذي أرسل (الديوك) فقلنا: أديوك أم تلك بعض الجِمَالِ؟!
والذي أرسل العجيب من (التمـ ـر) نواهُ يباعُ بالمثقال
ولَطيفَ الأعوادِ من (قصب) هـ ـشَ رماح وافت بخمرِ حلال[3]
هل سمعتم من قبلها بكئوسِ حاملاتِ للراحِ وهى عوال[4]؟!
هذه هى الهدايا اللواتى تلْبَسُ المدحَ مشرقا كاللآلى
لا كعبد العزيز وهْو صديق حين أهدى الخرافَ مثلَ النِّمالى
أو كعبد الحميد حين أتى (الحو ت) إلينا فسَفَّه لم يُبالِ
سَفَّهُ سَفَّةَ فجاء عليه وهْوَ فوق العشرين في الأرطالِ

(1) كقول الشاعر: العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة وقولهم: «العصا لمن عصَى»!
(2) يطلق الحوت على السمكة. (3) يقصد عصير القصب. (4) العوالى: الرماح.

لـم تكن منه بالحميدةِ فعلا ... وهْـو عِندى الحميدُ في الأفعال
أي شـيء دهـاه وهْـو مُـحبٌّ ... مخلص فاستحلَ غير الحَلالِ؟
هـل رأيـتـم، أو سمعتم بـمَـزْحٍ ... مثل هـذا فـي سابق الأجـيـال؟!
ليت شِعْرى، إن كان ذلك مَزْحاً ... من صديق، فيكف حَدُّ القتال؟!
(قـرَبـا مريط النعامة مِـنـى)[1] ... إن خطب الصديق للحوت غالِ
(قـربـا مَـرَيـطَ النعامة مِنى) ... سَفَّ (عبد الحميد) رزق العيالِ
أيـهـا السيدُ الـكـريـمُ السجايا ... عِـشْـتَ فـي صـحـةٍ، وأنـعـم بـالِ
أنت نعم الصديق، والصحاب البَرّ ... بـأصـحـابـه عـلـى كـل حَـال

إمارة الشعر في حفل دَعَابىّ!!

أراد شعراء مصر أن يروحوا عن أنفسهم فيما مضى، فأقاموا في ليلة من «ليالى رمضان» حفلا دعابيا كبيرا بايعوا فيه: «حسين أفندى محمد» بإمارة الشعر!!

و «حسين أفندى محمد» المعروف بـ «البرنس» شخصية فكهة فذة في بابها، ينظم القصائد كيفما كانت ألفاظها، وكيفما كانت معانيها، ولكنه مع ذلك لا يخلو من اعتداد بنفسه، وإكبار منه لما ينظم!

وقد جعلته هذه الخلال محبوبا لدى الشعراء، يتحدثون إليه، ويتندرون معه، ومن أجل ذلك أقاموا له هذا «الحفل الدُّعابى»!!

وقد كان من الشعراء الذين خطبوا في هذا الحفل، وبايعوا فيه البرنس بالإمارة الأساتذه الشعراء:

1 – أحمد الكاشف. 2 – محمد الهرّاوى. 3 – السيد حسن القاياتى.
4 – كامل كيلانى. 5 – السيد إبراهيم. 6 – حسين شفيق المصرى.
7 – عزيز بشاى. 8 – محمد الأسمر. 9 – عبد الجواد رمضان.

(1) النعامة: فرس مشهور فارسها ابن عباد، وفيها يقول:

قـريـا مـريـط النعامة منى ... لَقِحَتْ حرب وائل عن حيال

أي: بعد حيال، وكان ذلك في حرب البسوس (بين بكر وتغلب) وقد كسر وهو على متنه ظهر المهلهل (الزير سالم). وفي قوله هذا استعداد لحرب قد تطول! بسبب ذلك الحوت!!

أنشد كل منهم قصيدة دعابية بين يدى (البرنس)، وهو جالس على كرسى عالٍ.

وكل قصيدة من هذه القصائد تتضمن مبايعته بإمارة الشعر وإليك نماذج مما ألقى في حفل الإمارة:

قصيدة الأستاذ الأسمر

يـــا أمـــيـــرَ الـــشـــعـــراءْ ... أنـــت أولـــى بـــاللِّـــواء[1]
ســـيـــدى فـــلـــتـــهـــنـــأ الـــيـــو ... مَ بـــمُـــلـــك الأدبـــاء
(امـــرؤ الـــقـــيـــس) عـــلـــى با ... بـــك بـــعـــض (الأمـــنـــاء)!!
و (أبـــو الـــطـــيـــب)[2] فـــي الـــدو ... لـــه بـــعـــض الـــوزراء!!
و (الـــنُّـــواســـىّ)[3] (وهـــ ... ـــارون) مـــعَـــا فـــي الـــنُّـــدمَـــاء!!
و (الـــمـــعـــرىّ)[4] لـــدى الـــسُّـــ ... ـــدّةِ يـــحـــبـــو لـــلـــعَـــلَاء!
دولـــة لـــيـــس بـــهـــا إلا ... م كـــبـــارُ الـــكـــبـــراء!
وإذا شـــئـــت حَـــشَـــدْنـــا ... لـــك فـــيـــهـــا الـــدخـــلاء
فـــهـــم الـــيـــوم كـــثـــيـــر ... زُمَـــــرٌ مِـــلْءُ الـــفـــضـــاء
ســـيـــدى، فـــاســـلُـــك لفيفا ... مـــنـــهـــم فـــي الـــخُـــفَـــراء
رحـــمـــةَ مـــنـــك وفـــضـــلا ... وجـــنـــونـــا فـــي الـــعـــطـــاء!

❊ ❊ ❊ ❊

ســـيـــدى ولـــيـــشـــمـــلِ الـــطَّـــرْ ... دُ جـــمـــيـــعَ الـــثُّـــقَـــلاء
ســـيـــدى لايـــبـــقـــى فـــي الـــدو ... لـــة غـــيـــرُ الـــظـــرفـــاء
ســـيـــد ى ولـــتـــرحـــمِ الـــشُـــعْـــ ... ـــرَ مـــن الـــقـــول الـــهُـــراء
فـــيـــه الـــيـــوم ثُـــغَـــاء ... ورُغـــــاء، وعُـــــواء[5]
ونـــعـــيـــق، ويُـــغـــام ... ونـــهـــيـــق، ومُـــكـــاء[6]

(1) اللواء: العلم. وحامل العلم يقود القافلة ويتقدم الصفوف.
(2) أبو الطيب: المتنبى. (3) النواسى: أبو نُواس. (4) أبو العلاء المعرى.
(5) الثغاء: صياح الشياه. والرّغاء: صوت الإبل، والعُواء: صوت الكلاب. وكلها بالضم.
(6) النعيق: صوت الغراب. والبغام: صوت الظبية، والنهيق: صوت الحمارن والمكاء: الصَّفير، ويقال: مكا الطائر.

بـــه مـــا شـــئـــت مـــن فَـــوْ ضـــى ومـــن فَـــرْط أدّعـــاءْ
والـــقـــوافـــى[1] بـــيـــن هـــذا مُـــجـــهِـــشَـــات بـــالـــبـــكـــاء!

قصيدة الأستاذ الكاشف

إمـــارة الشعر خذها يـا حُسَين فقد
أتـــى يباعيك الإخـــوان والـصُـحَـبُ
وأَدْرِكِ اللقبَ المضنى ســواك به
ليطمئنَ إلـى غـالـى اسـمـك اللقبُ
جمعتَ فـي خير نـــادٍ، خير طائفةٍ
فكان فيما جمعتَ الـشـرق والغرب
سـعـوا إلـيـك بـنـجـواهـم تطالعها
ولـــو سـألـتـهـم جـــدواك لاكتتبوا
وأحـسـنـوا موسما فخما، ومؤتمرا
ضخما، وذاتُـك فيه المنظر العجبُ
باليُمنِ في رمـضـانَ السَّمْحِ تشهده
والـقـول مـا أولـمـوا فيه ومـا أدبـوا[2]
لـم يـبـق مـن سـبـب لـلأدعـيـاء إلـى
مـا حـاولـوه، ومـا ودَوا، ومـا حسبوا
وكـــان فيما تـولـيـت الـقـضـاء على
مـا لـفـقـوه، وأمـــلاه الـهـوى الـكـذبُ
يـا مـن يُـدَبّـر سُـلـطـانـا ومملكة
ولـيـس فيها لـه بيت ولا نَـشَـب[3]
ومـــن يُـحَـيـيـه اتـبـاع وحـاشـيـةٌ
وقـد يـقـام لـه الـتـمـثـال والـنُـصُـب

(1) القوافى: الشعر. مجهشات: عاليات الصوت بالبكاء.
(2) ما أقاموا من ولائم ومآدب.
(3) النشب: المال، والعَقَار.

متعت كلَّ فتَى منهم بمنصبه
ولي تنى بين من عنيت منتدبُ
وحسْبُك اليوم دار الكتب عاصمة
لدولتيك وإيوانا كما يجب
من لى بُسدّتك العليا أقبلها
ودون سُدّتِك الأستارُ[1] والحجُب
هذا نصيبى من الفوضى ظفرت به
من بعد ماخاننى في غيرها الأرَبُ
لم يغننى الجَد في قول وفي عمل
وقد لعبت عسى أن ينفع اللعبُ!

ما قاله الأستاذ الهراوى في الحفل

إلى العَرشِ فاصعَد، وامضِ بالأمرِ واقطع
ومُرْ، وانهَ، وامنح ما بدا لك، وامنعِ
وصَرَف أمورَ الشعر في الأمة التى
تميتُ رجالَ الشعر فيها ولا تعى!!
فأنت أميرُ الشعر غير مُنَازَع
وكلُّ أمير غيرِ شخصك مُدّعِ

أبيات السيد حسن القاياتى

يا حُسَيْن يا عزيزى يا أميرى
يا أميرَ الشعراء في اللُّب الغرير[2]
سُدْ كما ساد صرير[3] شَدَّما
أمَر الأقلامَ في وادى الصرير

(1) السدة: باب الدار، كما كان يقال: الأعتاب الملكية.
(2) اللّب: العقل. والغرير: الذي لا تجربة له...
(3) الصرير: الصوت والطنين. والوادى: كل منفرج بين جبلين.

قصيدة الأستاذ كامل كيلاني

تِـهْ بـالإمـارة لا تعدل بها بدلا ... وقم بأعبائها - إن شئتها- بطلا
قد ارتضاك حُماةُ الشعر قابطةَ ... أميرَهم فلتكن في عصرنا مثلا
كنت «البرنسَ» فأصبحت الأميرَ فما ... زادوك شيئا سوى التعريب مرتجلا
لا تَرْحمنْ ناكثًا عهدَا لبيعته ... ولا تُـنِـل ثـاثـرا عـقـوا ولا أملا
وابطش بكل فتى يسمو بهمته ... إلـى الإمـــارة وامـلأ عقله خبَلا
استعجم العُربُ حتى صار قائلُهم ... مستبهم الطبع صِنو البَهم مكتملا
عابوا المقلِّد في الأشعارِ تنظمها ... وأنـكـروا أن يـروه ثـاويـا طللا
قلنا: صدقتم؛ فهاتوا من روائعكم ... فجمجموا[1] القول مسروقا ومُنْتَحَلا[2]
قلنا: أبينوا، خِسِئتُم، لا أبالكُمُ ... وأفصحوا هَبِلَتْكُم أمُّكم[3] هبَلا
فأجفوا[4]، ثم قالوا: «ما لمثلكمُ ... إبـداعـنـا، فرأينا جَـدهـم هَـزْلا
قد جَدَ العصرُ في وزن وفى لغة ... فلست تعرف شعرا قال أم زجلا؟!
وجُـنَ قائلهم، أو جُـنَ سامعهم ... أو جُن عصرهم طفلا ومكتهلا!!
رِطانةٌ[5] لست تدرى حين تسمعها ... أقـال محتفلا أم قـال مرتجلا؟!
فكن أميرا لهذا العصر مضطلعا ... بثقله، واحتمل أعـبـاءه رجلا
فأنت تفهم شعر القوم مقتدرًا ... وتدرك السر والأسباب والعللا[6]
إن يركب الجحشَ شعْرُور[7] لغايته ... فما رأيـنـاك إلا راكـبـا جملا[8]
وإن يكن شعرهُم من سخفه بصلا ... فإن شعرك يحكى الشهد والعسلا

(1) جمجم فلان القول: لم يبين كلامه.
(2) انتحل الشيء: ادعاه لنفسه وهو لغيره.
(3) هبلتكمْ: تكلتكم.
(4) أجفوا: فزعوا وانزعجوا.
(5) الرطانة: الكلام الأعجمى. أو الكلام الذي لا يفهمه الجمهور، وهي بفتح الراء، أو بكسرها.
(6) السبب عند العروضيين (أصحاب موازين الشعر): حرفان: متحرك فساكن، أو متحركان، فالأول يسمى السبب الخفيف، والثاني يسمى الثقيل. والسبب في الشرع: ما يوصل إلى الشيء ولا يؤثر فيه كالوقت للصلاة. والعلل: جمع علة، وهى عند العروضيين: التغير اللاحق بالأسباب والأوتاد في الأعاريض والضروب خاصة لازما لها.
(7) الشُّعرور: غير النابه من الشعراء، وهو فوق المتشاعر ودون الشويعر!
(8) أهل للإمارة.

(مُرْ،وادعُ،وانهَ،وسَلْ،واعرض لحضَّهم تمن وارجُ كذاك النفى قد كملا[1]

قصيدة الأستاذ سيد إبراهيم

من حيث إن الفنون اضحت في مركز تاعسٍ خسيس
وصار أمر القريض فوضى وليس للشعر من رئيس[2]

❊ ❊ ❊ ❊

وحيث إن «البرنسَ» أهل لذلك المنصب الخطير
قد قرر المحتفون جمعا تقليده منصب الأمير

❊ ❊ ❊ ❊

فيا أميرَ القريش أقدم وبدل الفن من أساسه
ومن يخالف فامنحه عفواَ وإن تشا فلتُطح برأسه!

❊ ❊ ❊ ❊

وإن تفضلت يا أميرى فاقبل إذن هذه الإماره
وانهض باعبائها فخورا وامنع عن الفن كل غاره

❊ ❊ ❊ ❊

واقبل - إذا شئت- بعد هذا إمارة الخط مستقلا
فقد غدا الفن لا يساوى قلامة[3] الظفر أو أقلا

❊ ❊ ❊ ❊

(1) هذا بيت من أبيات الفية ابن مالك ويشير فيه إلى المواضع التى ينصب فيها المضارع بعد فاء السببية أو واو المعية مع واحد ما في البيت.
(2) القريض: الشعر.
(3) قلامة الظفر: ما يؤخذ منه حين يطول. والمراد القلة.

وأنت حَسْبُ الفنون وحدك ... وقد أقام الزمان سعدك
إن هتف الحاسدون ضدك ... فما أرى للفنون نِدَّك[1]
والشعر في مصر يا أمير ... مستفعل فاعل فعلو
فكن أميرًا على القوافى ... فالناس ليست لهم عقول

قصيدة الأستاذ عبد الجواد رمضان

دعتك[2] وقد توافر طالبوها
وهل يحوى العلا إلا بنوها
أميرُ الشعر أنت وإن تغالى
وأسرف في الدعاية مدّعوها
جياع تاجروا باسم القوافى
وقد ربحوا الحياةَ وأخسروها
ساحمى عرشها، وأذود عنها
زعانفَ[3] للرذيلة سخروها
وهل خلقت جلالتها لغيرى
وشعرى أمها وأنا أبوها؟!

قصيدة الشاعر عزيز بشاى

على العرش فاجلس أو على النجم فاحلل
فدونك هذا منزلا بعد منزلِ
بلغت سماءَ الشعر بعدك عاليا
على الناس فالْبس تاجه وتقبل
وصرت أميرَ الشعر فارفع لواءه
على مصر واجلس في الإمارة وانجل

(1) الند: الشريك والمثيل والنظير. (2) دعتك: أي الإمارة.
(3) زعانف: كل جماعة ليس أصلهم واحد، والزعفة المفرد وهى القطعة من القبيلة تشذ وتنفرد.

أمـيـر إذا هـز الـيَـراعـة[1] أقبلت
مـلـوك الـنُّـهى تسعى إلـيـه وتجتلى
لـقـد كـذبـوا إن قـيـل: إنـك مُـدَع
فعلمُك مـوفـورٌ، ودلـوُك مُمْلتى
وظِـلُّـلـك مـمـدود، وسـيْـلـك جـارف
عـلـى كـل مِـفـضـال، وكـل مُـفَـضَـل
طلعت على الـدنـيـا بشعرك نـازلا
بوحيك فابعث بالقريض وأرسـل
وقـم آمـرا فـوق الأريـكـة ناهيا
جـنـودك، وافـرح بـالـجـنـود وهلل
لـقـد بـايـعـوا إذ بـايـعـوك أميرهم
فقم واستمع من بايعوك «وصَهْلل»[2]
حملت - أمير الشعر- للشعر تاجه
فـصـنـه، وإلا فـاسـتـرح وتـنـزَلِ
ملكت زمـام الـمـدح والـذم عـنـوةَ
فرحت بمعسول، وجئت بحنطل!!
زمـانـك مـن أهـل الـنـبـاهـة ساخر
فقم، واهذِ[3] واسخر من زمانك واهزلِ!!

قصيدتا البرنس!

في الحفل الذي أقيم لتر لترشيحه أميرا للشعر والشعراء، ألقى البرنس قصيدتين:

(1) اليراعة: القلم.
(2) كلمة يصف بها العامة من يتمادى في الضحك.
(3) من الهذيان.

القصيدة الأولى

على الشعراء قد صرت الأميرا
وإن كنت الخُبَعْثَنِة[1] الصغيرا
أنا (المتنبى) في نظمى ونثرى
أقول الشعر مختالا فخورا
وإنى لَلرَّئيسُ بكل نادٍ
أحاكى الشمس في الدنيا ظهورا
بدارِ الكُتْب قد قضّيت عمرى
نقىَّ الجيب أستاذًا حَصُورا
تلانى الشاعر المتنبى قِدْما
وجُبت قريضه سَبحًا بُحورا
لوائى قد سما فوق الثريا
له القدح[2] المعلى هُدًى ونورا
له القدح المعَلّى في المعالى
لوائى ما بدا يسمو البدورا
على الشعراء قد صرت الأميرا
على الشعراء قد صرت الأميرا

القصيدة الثانية

رجال المجد دمتم للمعالى — مدى الأيام في تحسين حالى!!
فأنتم سادة الأدباء طُرًا — وأنتم كالفائد في الجَمال
فهذى حفلتى بكم أقيمت — برغم حواسدى، آل العوالى
أدام اللّه سعيكم إلينا — بحاء قبل ميم قبل دال[3]!
بكُم نلت الإمارة في قريض — بكم جُزت الأواخر والأوالى

(1) الخُبَعْثَنَةُ: الناقة، وقيل هو العظيم الشديد من الأُسْدِ. ومن الرجال القوى الشديد.
(2) القدح المعلّى: الحظ الوافر. (3) أي بحمد.

لشاعركم برنس المجد كونوا ... له نعم الثمالِ[1] مدى الليالى
برنسكم لكالمتنبى شعرا ... وفي هذى الإمارة فهو تالى
أدام اللّه عليكم جميعا ... لإحياء المروءة كالخوالى[2]
وأحياكم حياة لي وعزا ... وأبقاكم لنا دون انفصال
بكم تبدو المواسم وهى تشدو ... رجال المجد، دمتم للمعالى

بين الأسمر ومحمد عبد الغنى حسن

لوحظ في أثناء الحرب العالمية الثانية أن موجة الغلاء الفاحش قد أضافت إلى كرب الناس وضيقهم بالحياة والغارات مزيدا من الضيق!

وشكا الشاعر «محمد الأسمر» يوما لصديقه: «محمد عبد الغنى حسن» اختفاء «كاوتش» الأحذية من الأسواق!

وما هو إلا أن بعث الشاعر عبد الغنى حسن إلى صديقه الأسمر بالكوتش المراد ومعه أبيات فكاهية، فيها تعريض بالحرب، وغلاء السلع، ورخص الإنسان، وفيها يقول:

إننى مرسل إليك «الكاوتشا»
ويدى من نَداك تَرعش رعشا
ليتنى أستطيع إهداء نفس
لم تجد في صفاءِ نفسِك خدشا
ما لحربِ البَسُوس عادت ضروسَا
تبطش اليوم بالمالك بطشا؟!
عجبا! أصبح «الكاوتش» عزيزا
بينما المرءُ لا يساوى قرشا!
لا تَضيرك الكعوبُ إن هى عَزَتْ
أنت أعلى كعبَا وأرفع عَرْشا

(1) الثمال: الملجأ والغِياث. (2) كالسابقين.

يـا مُـذيـبَ الـقـلـوب رقـةَ شـعـرِ
أو لـمَ تخشَ أن تذيبَ (الكوتشا)؟!
رقـةٌ فـيـك لـم تُـتَـح لـزهـيـرِ
وأفـانـيـن لـم تـكـن لـلأعـشـى
أنـت تـمشى عـلـى الأديـم خفيفا
لـم تُـصَـعِّـر خـدًا، ولـم تُـعْـلِ رمشا
فـلـمـاذا الـكـوتـش تَـطْـفَـرُ فـيـه[1]
طـائـرا فـي الـسـمـاء يـطـلـب عُـشّـا

قصيدة الأستاذ الأسمر في الرد عليه

هَـشّ قـلـبـى، لـمـا بـعـثـت وبـشَّـا
بقوافى القريض بَـلْـهَ[2] (الكوتشا)
مـا طـلـبـنـاه لـلـحـذاء وحـاشـا
بـل طلبناه فـي الأضـاحِـىّ كبشا!!
فـهـو خـيـر مـن بـعـض لـحـم أراه
يـتـعـشـى بـمـن بـه يـتـعَـشِّـى
رُبّ لـحـمٍ إذا (الـكـوتـش) رآه
قـال: مـاذا أرى؟! وخـاف وكَـشَّـا
الـعـجـول الـمـعـلـقـات صـخـور
علقوها مـثـل العجاجيل غِـشـا!!
كـل مـن كـان مثل (دبـشـة)[3] أمسى
يـزن الـيـوم لـلـجـمـاهـيـر دَبْـشَـا
هـذه الـحـرب غـيـرت كـل شـيء
لـم يـعـد عيشنا كـمـا كـان عيشا

(1) تطفر: تقفز. (2) بله: اسم فعل أمر بمعنى: دع.

(3) «دبشة»: اسم قصاب ظريف من مشاهر قصابى القاهرة. الدبش في عرف الجماهير مبصر: قطع من الحجارة. ومن معانيه في اللغة: سقط المتاع.

ما لهذا الغلاء يزحف كالسيلِ
ويغْشى كالليلِ ساعة يَغْشى
نحن غرقى فيه، وحسبك منه
أن يكون الجنيهُ عشرين قرشا[1]!

❋ ❋ ❋ ❋

الشعراء والخراف!

خروف العيد

اشتد الغلاء في الحرب العالمية الثانية، وفي عيد من أعياد الأضحى التى جاءت في هذه الحرب أرسل الشاعر إلى صديقه «القائمقام عبد الحميد فهمى مرسى» يستعيره خروفا، وبعث إليه باقصيدة الآتية:

عبدَ الحميد وأنت مِعوانٌ إذا هز الخدينُ حبالَ وُدّ خَدينه[2]
ولكن نشاهدَ حُسْنَه وجمالَه ونرى اقتدار اللّه في تكوينه
ولكى يجاوب- لو يُمَأمِئُ مثلُه في بيت جارى - مأمآتِ قرينه!!
وليعلم الجيران أجمعُ أننى إن جاء عيد لم أضِق بشئونه
ولكى يراه من أساء ظنونَه بدراهمى، فأنال حُسن ظنونه!!
وليطمئنَّ الدائنون ويعلموا أنى امرُ يقضى جيمعَ ديونه!
ولكى يشرفنا بطيب حضوره فبه من التشريف كل فنونه
ونردُّهُ لك بعد ذلك سالما بدمَقْس[3]فروته، وعاج قرونه!
وأنا الأمينُ عليه وهُوَ بمنزلى من كل جزار، ومن سِكِّينه

(1) واليوم يمسى أبناء البلد «عشرة الجنيهات» «بريزة» والبريزة: عشرة قروش!
(2) الخدين: الصديق. وهز حباله: اختباره. وحركه.
(3) الدمقس: الحرير، أي فروته التى هى كالدمقس.

يغدو غـداةَ النحر لم يمرُوْ على (سَفّود)[1]عيد النحر أو (طجِّينِه)[2]
يُمسى ويُصبح، وهْو عندى آمنٌ من (فُلْفُل) الطاهى ومن «كمونه)
فابعث بـه (عبد الحميد) فإنه شـيء يـرد إلـيـكُـمُ فـي حينه
لسنا نميل إلـى نعاجِك بل إلى كبشِ لك التفويضِ في تعيينه

الخروف العجيب!

حدث أن اتصل القائمقام (عبد الحميد فهمى مرسى) بقريبه الأديب الكبير الأستاذ (عبد العزيز سلطان)، وبينه وبين الشاعر صداقة ومودة، فبعث من (المنيا) إلى القائمقام عبد الحميد بخراف أربعة؛ لصاحب القصيدة الأستاذ: «محمد الأسمر»، وللشاعرين: الأستاذ «على الجندى»، والأستاذ «محمد عبد الغنى حسن»، وكانا قد ارسلا إليه يطلب كل منهما خروفا له في قصيدة مماثلة للشاعر الأسمر!

أما الخروف الرابع فهو «للقائمقام عبد الحميد»!

ووصلت هذه الخراف من المنيا متعبة قد نال منها طول الطريق فأرسل «الشاعر الأسمر» قصدية يداعب فيها صديقيه: عبد العزيز، وعبد الحميد، ويصف فيها ضعف الخراف!

وَيْـحَ (بعد العزيز) أرسـل هِـرًّا تٍ[3]إلـيـنـا، وقـال عنها: خِـرافُ
لم تُمأمئ بل نَوْنَوتْ[4]فضحكنا ثـم قلنا: مـا ذلـك الإسـراف؟!
أهدايا أم تلك بعض الـرزايـا؟! ربّ سَلّم ونجَنا مما نخافُ!
أربـعٌ أقبلت، فقلت: خِـرافٌ مـا تـراه الـعـيـونُ، أم أطـيـافُ؟!
كـان منها لنا خـروف عجيب هـو مـن فَـرْط ضعفه شَـفَّـافُ!!

(1) السَّفود: عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى، والجمع: سفافيد.
(2) ويقال : طجن اللحم وغيره طجنا: قله وأنضجه في الطاجن، والطاجن: المقلى، وصحفة من صحاف الطعام مستديرة عالية الجانب. تتخذ من الفخار، وينضج فيها الطعام في الفرن والجمع: طواجن.
(3) جمع هِرة.. أنثى القط، وفي هذا تحقير لشأن الخراف وتصغير!
(4) كما تفعل القطة!

لاح كالوهم، بل هو الوهم يمشى ... لا خَـروفٌ جـاءت بـه الأريـافُ
هو بين الكَباش كبشٌ صناعيٌّ ... وزيـــفٌ أدقَّـــه الـــزيّـــافُ
(أثريّ) من عهد (يوسف) (موميا) ... خلّفتْه لنا السنين العـجافُ
ليس فيه من الخراف التى نَعْرِ ... فُ إلا الـقـرونُ والأظـــلَافُ!
كـم تمنى أطفالنا أن يَـرَوْه ... ورأوْه، فـأنـكـروه وخـافـوا!
يا صديقى (عبد الحميد) أهذا ... ما رجونا وعندك الألـطـاف[1]؟!
إن (عبد العزيز) مال عن الحقّ ... فـأيـن الـوفـاءُ والإنـصـافُ؟!
كبشُه، وهُـوَ كبشكُم حين وافى ... حار فيه (الـجـزارُ) و (الـعَـلّافُ)
أبصرته الـقـدورُ عِندى فمالت ... ضـاحـكـات، وفـرّت الأضـيـاف
خُذْهُ (عبد الحميد) خُذْه وحَسْبى ... هبه (حُكمَا) أما له (استئناف)؟!

أبيات الشاعر محمد عبد الغنى حسن

أما الأستاذ «محمد بعد الغنى حسن» فقد رأى هذه الخراف غير ما رآه صديقه «الأسمر» فمدح خروفه بأبيات جاء فيها ما يأتى مخاطبا صديقه القائمقام عبد الحميد:

وصـل الـخـروف وقـد حسبتك مازحا
فـــإذاك قـد بـالـغـتَ فـي تسمينه!
الـلـه زيّـــنـــه بـكـل جـمـيـلـةٍ
وجـمـيـلُ صُـنـعـك زاد فـي تَزْيينه
للأسمرِ المحبوبِ فـضـلُ وصـولِـه
لا تـتـخـذْ لـك صـاحـبَـا مِـن دونِـه
هـو واحـد مـتـفـرد فـي شـعـرِهِ
وجـمـاعـةٌ فـي ظـرْفـه، وفـنُـونِـه!
قـد دلـنـى يـومـا عـلـيـك ولـم يكن
إلا دلـيـلَ الـخـيـر فـي تَـبـيـنـه!

(1) جمع لَطَف: والمراد: الهدايا.

الخروف المنتحر

نشرت جريدة الأهرام القاهرية تحت هذا العنوان ما يأتى:

منذ أن نشرت «الأهرام» سنة 1940م دعابة الخراف بين الشعراء الأربعة: الأساتذة: الأسمر، وعلى الجندى، وعبد الغنى حسن والبكباشى عبد الحميد فهمى مرسى، والأستاذ الأسمر يتقبل من صديقه الأستاذ عبد الحميد هدية سنوية هى ضحية العيد!

وحدث أن أهدى أحد أقرباء الأستاذ عبد الحميد إليه منذ مدة خروفا!

فعَوّل على إهدائه للأستاذ الأسمر في العيد، ولكن قبل أن يبعث به إلى الأستاذ الأسمر لفظ الخروف أنفاسه صبيحة اليوم الذي عزم على إرساله إليه فيه، ولما علم بذلك الأستاذ الأسمر نظم القصيدة الآتية:

أخبرني (عبد الحميد) أنه ... أحضر لي، للعيد كبشا أحورا[1]
فقلت: كبش أم غزال؟! قال: بل ... أجمل منه منظرا ومَخْبَرَا
فما الغزال عنده إلا كمن ... شبه بالمصباح هذا القمرا
وقال لي: إن عليه فروةَ ... مثل الدِّمَقْس دونها كل الفرَا[2]
وإنه بين الخِراف لم يزَلْ ... لِلَحمه وشحمه مُوَقرا[3]
وقال لي، وقال لي حتي بدا ... لي أنه أجملُ ما فوق الثري[4]
فقمت من فوري لأهلي ضاحكا ... مستبشرا بقوله مُبَشَّرَا
وقلت: شيء جائني أزهو به ... علي السَّراةِ[5] أو أغيظ الشُّعَرا
ولم أزل مبتهجا، منتظرا ... قدومه مُطَبّلا، مُزَمِّرا
حتي علمت أنه فُجاءَةَ ... مات، ولاقي حتفه مُشَمِّرا
وأنه استعجل ما كان له ... لو لم يمت، مهينًا مقدَّرا
من لامه في أمره فإنني ... عَذَرْتُه - واللّه- فيمن عذرا
لما أحسّ أنه هدية ... لشاعرِ فَكَّرَ، ثم انتحرا!!

(1) الحوَر: شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها!
(2) الدمقس: الحرير. والفرا: جمع فروة، وهى الفراء مهموزة.
(3) موقرا: ممتلئا. (4) الثرى: التراب. (5) السَّراة: الأغنياء.

خراف الشعراء.. وشعراء الخراف!

والشيء من معدنه لا يستغرب!

ومن عاشر القوم ما بين يوم ويوم صار منهم!

ومن شابه صاحبه فما ظلم!

ذات يوم من أيام النصف الأول من القرن العشرين نشرت جريدة الأهرام الدعابة الأدبية الآتية للشاعر: «محمد الأسمر»:

مررت ليلة العيد بميدان (باب الخرق)، وهو المعروف بميدان (باب الخلق) بالقاهرة، فوجدت أسرابا من الغنم: يبتاعها المبتاعون ليضحوا بها، واسترعى سمعى ثُغَاءٌ[1] لبعض الخراف جرى في أذنى أشبه بالموسيقى!

وظهر لي فيما بعد أنه شعرِ!، وإن كان جَرْسُه[2] جَرْسَ الثُّغاء، ولم أكن أعلم أن خرافَ الشعراء شعراءُ الخراف[3]، حتى سمعت هذا الحوار الشعرى الآتى بين خراف الشعراء: (الهراوى، رامى، السيد حسن القاياتى، الدكتور محجوب ثابت).

ولا أدرى ما الذي انطق خروف الدكتور محجوب بالشعر، ولعل هذا يرجع إلى أن الدكتور كان يعالج الشعر في صباه.

فماذا قال خروف الأستاذ الهراوى بعد ما شرب ما شرب من (فناجين القهوة)؟:

يـــا إخـــوانـــي ... فـــي الـــخـــرفـــان

أهـــــلا بـَكـــم ... واهَـــــا لـكـــم

فـــيـــم رحـــلـــتُـــم ... ثـــم حـــلـــلـــتـــم؟

بـــاب (الـــخـــرق) ... بـــيـــن الـــخـــلـــق

أنـــا لا أدري ... سِـــرَّ الأمْـــر

أكـــذا نـــقـــفُ؟ ... أيـــن الـــعـــلـــف؟

أيـــن الـــمـــاء؟ ... مـــاء، مـــاء!

ولما فرغ خروف الهراوى من إنشاد أبياته مال بفمه على أذن خروف «الأستاذ رامى»، وبعد ذلك قام خروف «الأستاذ رامى» مُمَأمئا مُوَجّها مأمأته إلى خروف «الأستاذ الهراوى»:

(1) الثغاء (بضم الثاء): صوت الغنم. (2) جرسه: صوته ونغمته. (3) مثل أصحابها.

يابن الضَّوَاحى لاعَدَتْك رياضُها
مَأْمَأْتَ مَأْمَأَةَ فهِجْتَ شُجونى
فاليومَ لا البِرسيمُ أخضرُ ناضِرٌ
بالضِّفَّتَيْن، ولا الغصونُ غُصونى
غنَّتْ حماماتٌ أتَيْنَ بوارحَا
من أرضِ أندلسٍ فجُنَّ جُنونى
فضحكتُ، ثم بكيتُ، ثم تأوَّهَت
كبدى بآهةِ ضاحكٍ محزون!
يا حُبُّ رفقًا بالفؤاد لأنها
فيه، ويا جزّار، ذاك وتينى[1]!

ثم جلس، وهو يضطرب في حالة عصبية!!

خروف الأستاذ حسن القاياتى:

وتقدم خروف السيد حسن القاياتى غاضبا فقال:

لا الجبن يُنْجى، ولا الإقدامُ يَحْتَرِمُ
حتى مَ تُرضى الدنايا هذه الأُمم؟!
مواقفَ الذُّل أولى أن يظلَّ بها
من ليس يعصمه عِلْم ولا عَلَمُ
ورقةُ الحسن بين القُبح واضحةٌ
كلَّ الوضوح وأين العاقل الفَهِمُ؟!
في حب (إحسانَ) سلوى ما تفارقنا
نَنْأى بها، وكأن الشملَ ملتئم
ولست أنسى ولو في الحشر موقِفَنَا
مع العَفاف وثغرُ الوَصل مُبْتَسِمُ
وما غرامُك إلا مهجةٌ تَلِفَت
فيها حياة الغرانيق[2] الذين هُمُ

(1) الوتين: الشريان الرئيسى الذي يغذى جسم الإنسان بالدم النقى الخارج من القلب، ويقطع عند الذبح.
(2) الغرانيق: جمع غُرنوق: طائر مائى أبيض طويل الساق جميل المنظر، وهو ضرب من الكراكى.

خروف الأستاذ أحمد الزين:

وبعد ذلك قام خروف الأستاذ (أحمد الزين) ومأمأ قائلا:

فيم الثُّغاءُ وفيم كل حواركم
ماذا تركتم للنعاج الغِيد[1]؟!
لا ترهبوا شيئا فما جُمُوعكُمُ
إلا لما ابتدعوا من التجديد
لنقول: (مِيسِ) ولا يكون ثغاؤنا
(ماء)، وهذا غاية التعقيد
ولأنْتُمُ عندى أجَلُّ فطانةً
من أن تظنوا السوقَ سوقَ عبيد!

وبعد ذلك دَلف إلى مكانه!

خروف الدكتور محجوب ثابت:

وقبل أن يستقر في مكانه تحرش به خروف (الدكتور محجوب ثابت) ثم تدخل خروف الأستاذ رامى فأصلح بينهما، وعندئذ وقف خروف الدكتور محجوب ثابت فقال:

ماقْ، ماقْ ماقْ ماقْ[2]
صاح غرابٌ في الآفاق
غاقْ، غاقْ فاقْ، غاقْ[3]
كل لقاء رهن فراق
دَمُكُم بعد اليوم مُرَاق!
ماق، ماق مَاق، ماق

وبعدما فرغ خروف الدكتور محجوب ثابت من (مقمقته) سرى الهرْج[4] والمرْج بين جماعة الخراف!

فجذبنى صديق كان معى لنسير إلى ما كنا سائرين إليه، تاركين سوق الخراف بما له وما عليه!

(1) الغيد: جمع غيداء وهى المرأة المتمايلة، المتثنية في لين ونعومة.
(2) كان الدكتور محجوب ثابت كثير التكلم بالألفاظ التى فيها حرف القاف، ومن شابه صاحبه فما ظلم!
(3) غاق: اسم صوت الغراب.
(4) سكنت راء الهَرْج بدلا من فتحها للازدواج أي مع المرج الساكن الراء.

الشاعر البائس

عبدالحميد الديب

حدث الأستاذ الشاعر الكبير السيد حسن القاياتى أن الشاعر البائس، عبد الحميد الديب –وكان من رواد بيت القاياتى باسكرية– كان يبيت أحيانا في المحال العامة لفقره المدقع، وبؤسه الشديد حتى إنه استأجر «عشة» فوق سطح أحد منازل باب الشعرية ومع هذا فقد اشترطت عليه صاحبة المنزل أن تشاركة تلك «العشة» عنزة كانت صاحبة البيت تربيها!!

وأضاف القاياتى، الشاعر المجمعى الكبير، أنه حاول أن يمد يد المساعدة للديب، تقديرا لأدبه، وحبا لشخصيه!، فسعى لدى أحد وجهاء الفيوم أن يعنيه على العمل كمدرس للغة العربية في إحدى المدارس الابتدائية بإحدى ضواحى الفيوم، نظرا لتخرجه في دار العلوم.

وقد كان!

وإذا بالديب بعد بضعة أشهر يقترض «خمسة جنيهات» من ذلك الوجيه، ثم اختفى!

وعندما سئل القاياتى عن عنوانه هو –دون أن يعرف السبب– قبض على الديب، واتجهوا به إلى بيت القاياتى، فدفع عنه الجنيهات الخمسة، وأطلق سراحه، وإذا بالديب يواجه السيد القاياتى بقوله: «إننى أمقتك من كل قلبى!!»

وتبسم القاياتى ابتسامة إشفاق، وأسى وهو يقص هذه القصة معبرا عن مدى ما قاسى الديب في حياته البائسة!

وليس غريبا على شاعر كان يصنع بؤسه بيده، وإذ كان يحصل على قدر كبير من المال، من إخوانه، وبعض من يمدحهم، أو من يحسنون إليه ولكنه كان يبدد هذا المبلغ الكبير بسفهه وطيشه!

ومن هنا لا نراه إلا معبرا عن آلامه هو، وعن الآلام الحسية بالذات!

وهذا بطبيعة الحال يبعده عن عالم «صالح الشرنوبى» الشاعر الإنسان؛ ذلك العالم الذي له جوه، وطعمه، وذوقه، وليس فيه ما يؤخذ عليه، أو يغض من قيمته الأدبية، أو يحط من إبائه، وعزته، وترفعه كفنان!

أبيات الشعراء وبيت عبد الحميد الديب

أقصد مساكنهم التى يتلقون فيها وحى الشعر في هدوئها وتحت سقوفها!

ولا شك أن بيت الشاعر الذي يكون فيه إلهامه كله عجب!

بيت عبد الحميد الديب

لم يكن لهذا الشاعر البائس في الأغلب الأعم من أيام حياته بيت يسكنه.

ولكن الدهر جاد عليه يوما بأن سكن في غرفة متهدمة في بيت قديم!

ورغم ضآلة أجرتها فإن عبد الحميد عجز عن دفعها المرة تلو المرة!

وكان صاحب البيت يجىء لمطالبته فإذا فتح عبد الحميد الديب له بابها ذعر الرجل لساكن لا يملك أثاثا يضمن أجرة السكن!

يقول الديب في ذلك:

أفى حجرتى يـاربُّ أم أنا في لحدى؟!
ألا شَـدَّ مـا ألـقَـى مـن الـزمـن الـوَعْـدِ
وهــل انــا حــيٌّ أم قـضـيـت وهــذه
إهـابـة إسـرافـيـلَ تبعثنى وحــدى؟!
لَـكَـمْ كنت أرجــو حـجـرةَ فأصبتُها
بناء قديم العهد اضيق مـن لحدى!
تــرانــى بـهـا كـل الأثـــاث فمِعطفى
فــراش لـنـومـى، أو وقــاء مـن البرد
وأمـــا وســادتـــى بـهـا فـجـرائـد
تُـجـدَّد إذ تبلَى- على حجر صَلْدِ

فـأهـدأُ أنـفـاسـى يـكـاد يـهـدَهـا
وأيـسـرُ لـمـسٍ فـي بنايتها يُـردِى
تـسـاكـنـنـى فـيـهـا الأفـاعـى جريئة
وفى جوها الأمـراضُ تفتِك أو تُعدى
أرى النملَ يخشى الناس إلا بأرضها
فأرجلُه أمضى من الصارم الهندى[1]
تحملت فيها صبر أيـوب في الضنى
وذقـت هـزال الجوع أكثر من غاندى
جـوارك يـا ربـى لـمـثـلـىَ رحـمـة
فخذنى إلـى النيران أو جنة الخلد

ويصف صاحب المنزل يطالبه بالأجرة فيقول:

يـمـر عـلـى سـكـنـاى فـي ذيـل بيته
مـرور عيون الموسرين على الفَلْس
تـكـبَـرا فـالألـفـاظ مـنـه إشـارة
كـان عـبـاد الـلـه طُـرَا مـن الـخُـرْس!
يطالبنى بـالأجـر فـي غـيـظِ دائـن
تـصـيَـده المحتال بالثمن الوكس
وقـال يـدارى ظُـلْـمَـه: أيّ ضامن؟!
لسكنى تعرَت عن سرير وعن كرسى!
أراك بـهـا كـلّ الأثـاث ولا أرى
سوى قلمٍ ثاوٍ على الأرض أو طِـرْسِ[2]
فقلت لـه: هـذى جـدودى كما ترى
فما سكنى في البيت بل أنا في رمسى[3]

(1) سيوف الهند يضرب بها المثل في القطع.
(2) الطِّرْس: الصحيفة، والكتاب الذي مُحِيَ ثم كتب.
(3) الرمس: القبر.

وقلت: مَعَاذَ الدَّيْن ما كنت مَرّةَ
غريما، ولا أذللت يومى، ولا أمسى
وأسمعته صوت الدراهم فانحنى
يقدم أعذار اليهود من الوكس
واخضع فقرى كبرَه وثراءه
وأي غِنّى للمرء غير غنى النفس؟!
إذا كانت السكنى بأجر مذلة
فما أرحب المَجَّانَ في غرف الحبسِ!
فإنى أرى فيها الطعام ولا أرى
غريما يلاقينى بعارضه النحس!

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فقريب من سكنى «عبد الحميد الديب» غرفه الشاعر العراقى الكبير «الصفاى النجفى» التى وصفها في إحدى قصائده في ديوانه «الأمواج»، وفيها يقول:

أكافح البرد في سراج ... يكاد من ضعفه يموت
في غرفة ملؤها ثقوب ... إن شئت قل: ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كِراء ... فار، وبق، وعنكبوت
للفأر من مأكلى غذاء ... والبق جسمى لديه قوت
واعتزل العنكبوت أمرى ... وفي بقاه معى رضيت
فهو معى مثل فيلسوف ... معتزل دأبه السكوت!
أغرفةٌ للمنام هذى ... أم هى منفَى به نفيت
جمدت من بردها ولكن ... في الصيف من حرها شُويت
أمشى بها خائفا لأنى ... أخشى انخسافا إذا مشيت

عبد الحميدالديب وابن دانيال

بينهما قرون، ولكنهما تشابها في وصف الحجرة التى كان يسكنها كل منهما!
فهذا «ابن دانيال» الشاعر الموصلى منشأً المصرى إقامة يصف بيته قائلا:

أصبحتُ أفقر من يَـروحُ ويغتدى ... مـا فـي يـدى مـن فاقة إلا يَـدى
في منزلٍ لم تجد غيرىَ قاعدا ... فإذا رقدتُ رقدتُ رقدتُ غيرَ مُمَدَد!
لـم يبق فيه إلا رسـومٌ حصيرة ... ومخدة كانت لأم «المهتدى»[1]
مُلْقى على طُـرَاحـةٍ في حشوها ... قملٌ، كمثل السمسمِ المتبدد

غرفة ليس لها عنوان!

كانت لعبد الحميد الديب نوادر يرويها الرواة، وقد تكون صحيحة أو غير صحيحة وقد قال القدماء: إن آفة الأخبار هم رواتها!

ومن نوادر عبد الحميد الديب التى تناقلها الرواة أن الأستاذ «إبراهيم الدسوقى أباظة» والد الأديب القصصى ثروت أباظة .. شق عليه أن ينام الشاعر الأديب البائس على «دكك» المقاهى البلدية التى كسرت ضلوعه، فطلب من صاحبه الشاعر الظريف «محمد مصطفى حمام» أن يستأجر له مسكنا خاصا ويؤسسه على حساب الباشا، وقام «محمد مصطفى حمام» بالمهمة خير قيام، وسلم المفتاح لعبد الحميد وانصرف!

وفي اليوم التالى: ذهب عبد الحميد إلى «الدسوقى اباظة باشا» وسلمه المفتاح قائلا: هذا هو مفتاح الغرفة التى أمرت بها سعادتك. لقد خرجت منها، ولما عدت إليها لم أجدها! فعجب الباشا من كلامه وسأله:

- كيف لم تجدها؟!

فقال: هذه غرفة ليس لها عنوان يا سعادة الباشا، لقد بحثت عنها طويلا، ولكنها تاهت منى!

وكان الذي تاه هو الشاعر عبد الحميد الذي لم يكن في استطاعته الإقامة في مسكن معروف!

(1) في العصر العباسى - كناية عن قدمها!

مشرد رسمىّ

عجيب أمر عبد الحميد الديب!! لقد عينه وزير الأوقاف آنذاك بمرتب قدره 12 جنيها على سبيل العون!

ولما ذهب عبد الحميد الديب لتسلم العمل لم يجد بحجرته مكتبا يجلس إليه، فأرسل إلى الباشا وزير الأوقاف يقول له:

بالأمس كنت مشردا أهليا
واليوم صرت مشردا رسميا!!

تُرى أهى كرامة الأديب الرفيعة التى لا ينال منها العوز والاحتياج؟!

أجرة المنزل بين شاعرين!

أرسل الشاعر عبد الحميد الديب إلى صديقه الشاعر الأستاذ: محمد الأسمر بخطاب يقول فيه: إن مالك البيت الذي يسكنه أوقع الحجز على أثاثه، ومع الخطاب الأبيات الآتية:

يا صاحبى؛ حجز الغريم[1] ولم أجد
في الناس من بيع الأثاث مُجيرى!
وغد سيفضحنى ويفضَحُ عيشتى!
نَذْلٌ يبيع حَشِيّتى[2] وحصيرى
والناسُ قد جمعوا إلينا شامتا
أو باخلا يسخو بكل مضير[3]
ليروا مبيتى بالعراء وزوجتى
حَيْرَى لبؤس مصيرها ومصيرى!

فبعث إليه الأستاذ محمد الأسمر مع رسوله بالأبيات الآتية:

قد بعثنا إليك شيئا يسيرا
فتقبله شاكرا، أو عذيرا[4]

(1) الغريم: الدائن، وجمعه غرماء. والمراد صاحب المسكن الذي له حق الإيجار عند الساكن.
(2) الحشية: كل ما حشى بالقطن، ونحوه كالمرتبة وغيرها.
(3) الماضر والمضير: الحامض.
(4) العذير: العاذر، وملتمس العذر للصاحب.

لـو حـبـانـا[1] الـزمـان أكـثـر منه
حـلـبـونـاك مـنـه شـيـئـا كـثـيـرا
كـم بنينا[2] البيوت فـانـزل بما شئـ
ـت، وطُـفْ بالجميع دُورًا فـدورا
كيف تشكو يا (ديـبُ) مارحت تشكو
هُ، وأنـتـالـذي يشيد الـقـصـورا؟!
لـيـت شـعـرى مـتـى أقـلـب عينىّ
فـلا أبـصـر الأديـب فـقـيـرا!!
أنـت يـا (ديـبُ) يـا أديـبُ غنىٌّ
بـالـقـوافـى[3] وإن رهـنـت الحصيراّ

رثاء لحافه المسروق

ومن نكد الدنيا أن يُسرق لحافه المهلهل في الشتاء فيقول في رثائه:

لـحـافـى، وهـل غير الـهـبـاء لحافى
بـقـيـة نَـسْـجِ دارسِ ونِـداف[4]
أطـاف بـه لـص فـقـيـر كعيشتى
فـيـا بُـؤْسَـهـا مـن هـجـرةٍ ومَـطـافِ

هذا ويذكرنى رثاؤه للحافه بذلك الرثاء الذي قاله أبو الفضل الشناوى أخو «كامل» و «مأمون» الشناوى ذلك الثلاثى الظريف من أسرة واحدة!

لقد ضاع من أبي الفضل الشناوى «جنيه».. جنيه واحد فقال فيه:

يـاجـنـيـهـا ضـاع مـنـى وتـولـى غـصـب عـنـى
أنـت قـد طـيـرت عـقـلـى أنـت قـد خـيـبـت ظـنـى

(1) حبانا: منحنا وأعطانا.
(2) تورية جميلة، والمراد بيوت القصائد.
(3) القوافى: جمع قافية، وهي نهاية البيت التى يتوحد فيها الحرف الأخير. والمراد: القصائد. أطلق الجزء، وأراد الكل.
(4) نسج دارسٍ: أي نسيج قديم، ونِدّاف: ما يتطاير من القطن عند نَدْفه.

ولقد أذهلت نفسى ... ولقد أبكيت عينى
إن تعد بالله عندى ... فسألقاك بحضنى
سوف لا تنزل جيبى ... إنما تنزل جفنى
أنت لو ترجع يوما ... سوف أشدو وأغنى
وأجيب الطبل عندى ... وأريك الرقص منى
ربما رقّصت خصرى ... ربما لعَبت بطنى
إن تكن أنفقت قصدا ... لانتهى بعدك حزنى
إنما ضِعت «بلاشا»[1] ... رغم أنفى.. رغم أنفى
لم أُفد أقة رز ... منك أو أقة جبن
لم أفز منك ببط ... أو فراخ أو بسمن
ايها القلب تجلد ... أيها الشامت دعنى
كل شيء سوف يفنى ... جَلَ من يُحيى ويُفنى

هو ولبّان بالحىّ الحسينى

ذات يوم أراد عبد الحميد الديب أن يشرب اللبن عند لبان بالحى الحسينى – إلى أجل! وكان أسمه «المالكى» فرفض اللبان، فقال الديب متهما الرجل بغش اللبن:

بريء منك مولانا ابن مالك
رماك الله في شر المهالكْ!
لبانك كلُّها سُمٌّ زعاف
ومن غِشَّ البرية رأس مالِكْ!
فوَيلَك من رجالِ الحَىّ طُرَا
ونسوته إذا علموا بذلكْ!

وشاعت الأبيات على ألسنة رواد مقهى الفيشاوى وقل عدد المترددين على محل الألبان فراح يرجوه أن يعود إليه ولم ما يشاء! على أن يُشيد بألبانه في قصيدة تمحو أثر قصيدته السابقة!

(1) كلمة عامية أصلها بِلَا شَيْء.

قهوة الفيشاوى وعبد الحميد الديب

كانت قهاوى حى الحسين والأزهر مخصصة لأهل العلم والأدب والفن ومنها: قهوة «الفيشاوى»، وقهوة «شعبان»، وكان لهما روادهما في الصيف والشتاء، في رمضان وغيره من شهور العام.

وكان من نجوم قهوة الفيشاوى «الشاعر البائس عبد الحميد الديب» والشاعر الظريف: كامل الشناوى!

وكان «عبد الحميد الديب» ينام على «دكة خشبية» في قهوة الفيشاوى، وإذا تكسرت ضلوعه من قسوة النوم على الخشب لجأ إلى «جامع الحسين» -رضى اللّه عنه- ونام في أحد أركانه على السجاد.

طربوش عبد الحميد

كان عبد الحميد الديب ينام بملابسه وطربوشه على رأسه، وليس المهم في الموضوع هو الملابس سواء ارتداها عبد الحميد صاحيا أو نائما، ولكن المهم هو «الطربوش»، فقد كانت خوصته تتكسر في النوم ويفردها بيديه!

وقال له أحد أصحابه: تعال إلى هذا «الطرابيشى» المجاور للقهوة ليقوم بقلْب الطربوش وكَيّه حتى يُعيده إلى سيرته الأولى!

وقال الطرابيشى لعبد الحميد الديب حين رأى طربوشه:

- هذا الطربوش سبق لى أن قلبته على الوجه الآخر!!

- فرد عليه عبد الحميد في سرعة وبداهة:

- طيب.. هذه المرة اعدله.

ضحك الطرابيشى، وقال له: من أجل هذه الكلمة سأصنع لك طربوشا جديدا على حسابى!

عبد الحميد الديب والعقاد

عرف عبد الحميد الديب أن الأستاذ العقاد يذهب يوما كل أسبوع إلى «المكتبة التجارية» في شارع محمد على التى كانت تتولى نشر كتبه وبيعها!

وذهب «عبد الحميد الديب» إلى المكتبة في اليوم الموعود، واقترب من الأستاذ العقاد، وحياه، وسلم عليه، فأراد العقاد أن يكرمه بطريقة مهذبة لا تجرح شعروه، ولا تشعره بذلة السؤال!

وكان الأستاذ العقاد قد أعد مجموعة من الهدايا للأصدقاء من كتاب جديد صدر له وكتب على كل نسخة الإهداء المناسب، وقال لعبد الحميد:

أرجو أن تنوب عنى في تقديم هذه النسخ لكل من كتبت اسمه عليها!

ثم قدم للشاعر البائس مبلغا من المال حتى لا يشعر بذل السؤال وقال له: خذ هذه الجنيهات لتنفق منها على المواصلات! وكانت أجرة المواصلات آنذاك لا تعدو مليمات!

فلم يكن من عبد الحميد إلا أن ذهب إلى «بائع كتب» بالأزبكية وباعها له وعندما فتح بائع الكتب «الربطة» وجد عليها إهداء إلى كبار الكتاب والصحفيين والأدباء، فأعادها إلى المكتبة حتى يتصرف ناشر الكتاب فيها!

ودفع العقاد للبائع الثمن وزيادة! وابتسم لما كان!

بنطلون عبد الحميد

نقل الأستاذ «محمد مصطفى البسيونى» عن صديقه الراحل «عمر كيشار» أنه رأى «عبد الحميد الديب» في قهوة الفيشاوى بحى الحسين وهو يربط البنطلون بحبل من «الدوبارة»!

وكثيرا ما كان ينفرط عقده فيسقط البنطلون على الأرض وإذا هو بلا بنطلون.

وإذا بأصدقائه يسرعون إليه فيرفعون البنطلون من جديد، وهكذا دواليك! لا يكاد يرتفع حتى يقع!! ولا يقع حتى يرتقع! «كأنه بزنبرك»!

عبد الحميد والحذاء الجديد

قابله مرة صديق له، وكان هذا الصديق يمد له العون ويتعهده، وإذا بعبد الحميد يتحاشاه، ويسرع الصديق إليه مبديا عجبه ودهشته مما يراه، ويعانقه ويسأله: ماذا فعلت حتى تتحاشانى، وكأنى بك تتمنى ألا ترانى؟!

ويقول عبد الحميد في تعالٍ وكبرياء:

لقد قررت أن أتحاشى الناسَ كلَّهم!

أما ترى هذا «الحذاء الجديد»، وتلك «البدلة الجديدة»؟

وضحك الصديق من كل قلبه!

لقد كانت هذه البدلة، وذلك الحذاء هدية من الصديق لعبد الحميد!

يا للرغيف ويالهول ضموره!

إذا كانت الفكاهة في الأصل يراد بها التسرية والتسلية، وإدخال المسرة على النفس، فقد يكون من وظائفها خدمة المجتمع، والنقد الاجتماعى الذي يصيب ولا يجرح فيكون مذاق النقد سائغا ولو كان لاذعا!

وذات يوم في حياة «الشاعر عبد الحميد الديب» صغر حجم الرغيف ووزنه سنة 1941م في أزمة من أزمات الحرب العالمية الثانية، وإذا بالشاعر عبد الحميد الديب ينفعل فيصور ذلك في صورة فكاهية قائلا:

صَغُر الرغيف كأنما هو قطعة
من قلب تاجره، وجلد البائع!
قد صار وهمّا؟ أو خيالا ؟ إنه
قد عاد غير مَؤمَّل أو نافع!
قد كان شيخا للطعام فما له
قد صار شبه وليد شهرِ سابعِ
القمحُ أوفَرُغَلَّةٍ في أرضكم
والأرض لم تُنْكَبْ بمَحْلٍ فاجعِ[1]

(1) المَحْل: الجفاف.

والـنـيـلُ مـــازالَ الـــوَفِـــيّ بـعـهـدِهِ
يـجـرى بـسَـلْـسَـالٍ وفـيـرِهـامـعِ[1]
يـا لـلَـرَّغـيـفِ، ويـالـهـولِ ضُـمـوره
قـد صـــار أمـنـيـةَ لـبـطـن الـشـابـع

والرغيف بالنسبة لعبد الحميد الديب وأمثاله يعد مسأله حياة أو موت.

عبد الحميد والفدّانين

ويغيب عبد الحميد أياما، ويبحث عنه أحد أصدقائه فيسأله حين يلقاه قائلا:

أين كنت يا عبد الحميد؟! وما سر هذه الغَيبة الطويلة؟

فيقول: كنت في البلد شفت «الفدانين» ورجعت!

ويسأله صديقه في دهشة:

– فدانين إيه يا عبد الحميد؟!

ويجيب عبد الحميد:

– واحد صاحبى اسمه محمود الفدَّانين!

حل العمائم

ذات يوم اصطحبه زميل له لأداء واجب العزاء في قرية قريبة من القاهرة في وَفاةِ أحد الأعراب!

وكان السرادق مكتظا بالمعزّين من أصحاب العمائم، وشيوخ العرب!

وانتظر عبد الحميد حتى انتهى القارئ، وإذا به يسرع إلى «دكة خشبية» ويقف عليها صائحا في الجالسين الذين اجتمعوا من القرى المجاورة لأداء واجب العزاء في شيخ العرب.

– أيها المعزون الكرام: بلغنى أنه قيل:

(1) سَلْسَال: عذب صافٍ، وهامع: كثير السيلان.

«إذا مات عزيزٌ لديكم فِحلوا عمائمكم!»

ومرت لحظات من الصمت الرهيب الذي خيم على السرادق وإذا بأيديهم تمتد إلى عمائهم فتحلها!

ويشاهد عبد الحميد الموقف وقد استجاب له الجميع، ثم يرتفع صوته من جديد: «أعيدوها كما كانت .. أثابكم الله!»

وكان موقفا دراميا!! أشبه بموقف المدرس عند دخول الفصل قائلا للتلاميذ: «قيام».. «جلوس»!

واكتشف أحد العلماء الذين أخذتهم المفاجأة فحل عمامته كما فعل الآخرون أنه لا صحة لمثل هذا الكلام! ولم يروه أحد!! وأن الناس لا تتحقق من صحة المرويات والأخبار!

وثارت الجماهير على هذا «الأفندى» الذي غرر بها، وضحك عليها، واستغل سذاجتها، فأوسعوه ضربا جعله يلازم فراشه شهرا كاملا لا يبرحه من أثر الضرب!

كلبة عبد الحميد الديب

الكلب حيوان أليف، وقد يتوحش ويضْرَى، ويصيبه داء يخيف الناس منه وهو يسمى الكلَب مشتق من اسم الكلب، ومن أشهر الكلاب قطمير كلب أهل الكهف الذي بسط ذراعيه بوصيد الكهف.

و «براقش» التى كانت كلبة لقوم من العرب أُغير عليهم في بعض الأيام فهربوا وتبعتهم براقش، فرجع الذين أغاروا خائبين وأخذوا يبحثون عنهم، فسمعت «براقش» وقع حوافر الخيل فنبحت فدلت المغيرين على أصحابها فأعملوا السيوف والرماح فيهم، فضرب بها المثل فقيل:

«على نفسها جنب بَراقش»

وفي صفة الكلب الوفى روى الدميرى في «حياة الحيوان» أن «محمد بن حرب» قال: دخلت على العتابى يوما فوجدته جالسا على حصير، وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض، بالفناء بحياله، يشرب كاسا ويولِغُه أخرى!

فقلت له: ما الذي أردت بما اخترت؟!

فقال: اسمع.. إنه يكف عنى أذاه، ويكفينى أذى مَن سِواه، ويشكر قليلى، ويحفظ مبيتى ومَقيلى!

وهو من الحيوان خليلى!»

فقال محمد بن حرب: فتمنيت - والله- أن أكون كلبا لأحوز ها النعت منه!

وصوت الكلاب: العُواء، والنُّباح، والهرير، وشبه ابن عِنِّين به صوت أحد المغنين في مقام الهجاء فقال:

وابـــن هـــلال إذا تـنـحـنـح للغـ
ـــنـــاء يـعـــوى مُـشَـابـه الـكـلـب

ويقول عبد الحميد الديب في كلبة له ولأهله:

لـيـت الأنـــام كـــلاب إن كلبتنا
لـمـا تـــزل لـحـفـاظ الـــود عُـنـوانـا
تحملت قسطها فـي الـبـؤس صابرة
لـم تشك جوعا ولـم تستجد إنسانا

وإذا كان عبد الحميد الديب يقول: ليت الأنام كلاب!!

فإن من شعراء الفكاهة مِمَّن ورد ذكرهم في يتيمة الدهر للثعالبى من تمنى أن يكون له حظ الكلاب في إطار من الفكاهة والتفكة..

وظاهر أن السخط على الحظوظ هو دافع قوى إلى هذه السخرية المريرة في ذلك اللون من الشعر، فقد شاهد «ابن حجاج» كلابا للأمير العباسى، وهى رابضة على وجه الطريق تطعم اللحم، وتملأ معداتها بها، على حين هو وغيره من أمثاله المحرومين يتلفعون بالحرمان، فتمنى لو صار كلبا، أو أن هذا الأمير الغنى أرفقه بكلب من كلابه

المدللة الطاعمة، لينعم برفقته وصداقته - أعنى صداقة الكلب- وأكل اللحم لتكون أصدق في الدلالة على شعوره بإهدار آدميته:

رأيـــت كـــلاب مـــولانـــا وقـــوفـــا
ورابـــضـــة عـــلـــى وجـــه الـــطـــريـــق
تـــغـــذى بـــالـــجِـــد[1] فـــوددت أنـــى
-وحـــق الـــلـــه- حـــركـــوش سلوقى[2]
فـــيـــا مـــــولاى رافـــقـــنـــى لـــكـــلـــب
لآكـــــل كـــــل يـــــوم مـــع صـــديـــقـــى!

هذا وقد ذكر الشاعر الجزار الكلاب في شعره، وقد لامه اللائمون على ترك الشعر، واتخاذ صنعة الجزارة (أي ذبح الحيوان وبيع لحمه حرفة له) فقال:

كـيـف لا أعـشـق الـجـزارة مـا عشـ
ـــت وأقـــلِـــى الـــفـــنـــون والآدابـــــا
فـبـهـا صـــارت الـكـلاب تُـرَجّـيـنـى
وبـاشـعـر كـنـت أرجـــو الـكـلابـا

وأراد بالكلاب الأولى هذا الصنف من الحيوان، وبالثانية البخلاء من الناس الذين كان يمدحهم بقصائده فلا يجزونه إلا الحرمان والرد.

رجال الفكاهة المحظوظون

لم يخل عصر من رجال الفكاهة المحظوظين، ومن هؤلاء:

أمير الشعراء أحمد شوقى، وإسماعيل صبرى، والشيخ عبد العزيز البشرى، وإبراهيم المازنى، والشيخ على الليثى شاعر الخديو إسماعيل، وهم ما بين شاعر وناثر غير أن خفة الروح تربط بينهم جميعا.

وإذا كان من حق الشاعر القديم كلما أعدنا نشر إنتاجه أن نثبته له بكل أمانة!

(1) جمع جَدْى.
(2) حركوش سلوقى: نوع من الكلاب المنسوب إلى «سَلُوب» وهى قرية تُنسب إليها الكلاب الجياد.

فإن الشاعر المعاصر عليه تحفظات، فقد يطرق غرضا مّا، ولكنه يأبى أن يثبته، ويأبى غيره أن يثبته له في ديوان منشور على الناس!

وعلى هذا أكثر شعر شاعر البؤس عبد الحميد الديب!

فقد كانت له قصائد كثيرة على الرغم مما فيها لا تخلو من روح لافكاهة كقصيدتة التى يقول فيها:

وهـام بـىَ الأسـى والـبُـؤسُ حتى
كـأنـى عَـبْـلـة، والـبـؤسُ عنتر!!

وشعره، وفكاهاته تتناقلها الألسنة، ولم تدون في ديوان يجمع شتاتها!

أين ديوان عبد الحميد الديب؟!

يقول معاصروه ومحبوه: إن لجنة قد شكلت في عهد الأديب الراحل فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف الأسبق لجمع تراث الشاعر عبد الحميد الديب.

ولكن اللجنة انقسمت على نفسها حول هذا التراث، إذ كان الشاعر محمد مصطفى حمام «راوية الديب» دون منازع يرى أن يطبع هذا التراث كما هو بما فيه من شعر ملتزم، و «شعر إباحى»!!

بينما عارض الشاعر «على الجنبلاطى» رحمه اللّه عليه - وكان من رجال «التربية والتعليم»- هذا الرأى، وطالب بحذف الشعر الإباحى حتى لا يتداوله الناشئة والشباب!

وكان رئيس اللجنة آنذاك «العميد الدكتور طه حسين» حصيفا حكيما عندما حاول أن يؤلف بين الرأيين، ويزاوج بين الفكرين، فرأى أن يطبع ديوان الديب طبعتين:

طبعة عامة، تتناول الشعر الملتزم الذي لا ضير في أن يستمتع به الذواقة من عامة الأدباء.

وطبعة أخرى معدة للباحثين والدارسين، وتتناول كل شعر عبد الحميد الديب، على أن تودع هذه الطبعة الخاصة في دور الكتب، ومراكز البحث، يرجع إليها دارسو الأدب المعاصر ونقاده المخلصون!

وكادت اللجنة تستجيب لهذا الرأى لولا أن «الشيخ الباقورى» راعى هذه اللجنة ترك الوزارة، فذهبت بذهابه «لجنة تراث عبد الحميد الديب!».

ولم يفكر أعضاؤها في استئناف نشاطها إلى أن لقوا ربهم ومضوا إلى رحابه!

الراحة الأخيرة

لقد آن لهذا المعذب البائس أن ينتهى به الحال إلى سرير من أسرة قصر العينى ملازما فراش المرض!

ويتراءى له مصيره المحتوم فيودع شبابه قائلا:

وداعـــا شـبـابـى فـي ريـبـع شبابى
وأهــلا حِـسـابِى قبل يـوم الحساب!

ويغمض عينيه.. ويسلم روحه إلى باريها، ويستريح!

ولم يذكره أحد عندما مات اللهم إلا ذلك الشاعر الكاتب الفنان «كامل الشناوى»، لقد ذكّر الناس به، وكان صديقا له في حياته، فكتب يومها يقول:

«اليوم مات شاعر.. تعرى، واكتست الأضرحة! وجاع، وشبعت الكلاب!

وكم من الكلاب ماتت بالتخمة.. وكم من الناس ماتوا مثل عبد الحميد الديب من الجوع!»

وشهد شاهد من أهلها!

سئل الشيخ عبد العزيز البشرى قبل وفاته بأيام عن أعظم شاعر، فأجاب:

«عبد الحميد الديب!»

وأعظم أشعاره قوله:

تعلمت فيها صبر أيـوبَ فـي الغنِى
وذقت هُـزالَ الجُوعِ أكثر من «غَنْدِى»
جِـــوارُك يـاربـى لـمِـثـلـىَ رحـمـةٌ
فخذنى إلـى النيرانِ أو جنه الخلد!!

شاعر فلسطين

إبراهيم طوقان

حينما انتهى إبراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة 1922 – 1923 بالقدس، انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت.. وفي الجامعة أطلقوا عليه شاعر الجامعة!

وتقول أخته فدوى طوقان في مقدمة ديوانه:

.. وفي سنة 1929 نال شهادته من الجامعة ليخوض بحر الحياة المزيد المتلاطم!

معلم.. معلم.. معلم، هذه هى الكلمة التى كانت تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين يوم توزيع الشهادات فيقول لنفسه:

أبعد هذا العناء والكد يختار هؤلاء التعليم مهنة؟

ألا ساء ما يفعلون؛ ما أقصر مدى طموحهم!!

إنه لم يخلق لهذه المهنة، ولكن الظروف حالت دون أن يكون صحافيا في مصر، وعاد إلى وطنه فلسطين يتولى التدريس في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس، وبعد عام واحد انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت فدرس فيها عامين قدم بعدهما استقالته ليعود مدرسا في المدرسة الرشيدية في القدس.

وهنا ضاق بعمله أشد الضيق فنفس عن نفسه ما لحقه من جراء هذه الوظيفة بقصيدته «الشاعر المعلم»! وقد فرضت نفسها علينا هنا لأكثر من اعتبار!

وقد صاغها في قالب فكاهى عذب، صور فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم، والجهد الذي كان يبذله، والعناء الذي كان يلاقيه من جراء ذلك كله.

وألح عليه السقم، ولازمته العلة فحالت دون أن يواصل عمله في مهنة التدريس.

وفي سنة 1936 تسلم عمله الجديد في القسم العربى في إذاعة القدس ليكون مراقبا للقسم العربى فيها..

وتكاتفت جموع الشر على إبراهيم؛ فأقيل من عمله في أكتوبر سنة 1940م.

ولكن في مساء اليوم الذي أقيل فيه عرض عليه العمل بدار المعلمين الريفية ببغداد، ولم يمض شهران على إقامته في العراق، حتى عاودته العلة وَحلّ به السقم ليعود إلى نابلس حيث نقل بعدها إلى المستشفى الفرنسى بالقدس ليسلم روحه في مساء الجمعة الثاني من شهر مايو 1941، وهناك استراح من هموم الدنيا.

تبقى قصيدته: «الشاعر المعلم» على ألسنة الجميع، وها هى ذي..

الشاعِر المُعَلِّم

(شوقى) يقول - وما درى بمصيبتى-
«قـم للمعلم وفّه التبجيلا»
اقعُدْ، فديتُك، هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا..!
ويكاد (يفلقنى) الأمير بقوله:
«كاد المعلم أن يكون رسولا..!»
لو جرَّب التعليم (شوقى) ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخُمولا
حسب المعلم غمَّة وكآبة
مرأى (الدفاتر) بُكرةَ وأصيلا
مئة على مئة إذا هى صلِّحت
وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو انَّ في «التصليح» نفعًا يرتجى
وأبيكَ، لم أكُ بالعيون بخيلا
لكن أصلَح غلطة تحوية
مثلاً، وأتخذ «الكتاب» دليلا
مَستشهدًا بالغرَ من آياته
أو «بالحديث» مفصلا تفصيلا

وأغــوص فـي الشعر القديم فأنتقى
مــا لـيــس مـلـتـبـسَـا ولا مـبـذولا
وأكــاد أبـعـث (سيبويه) مـن البِلَى
وذويــــه مــن أهــل الــقــرون الأولــى
فــأرى (حــمــارًا) بـعـد ذلــك كلّه
رفَــعَ الـمـضـاف إلـيـه والـمـفـولا!!
لا تعجبوا إنْ صِـحْـتُ يـومَـا صيحةً
ووقـعـت مـا بـيـن «الـبـنـوك» قتيلا
يــا مــن يـريـد الانـتـحـار وجـدتـهَ
إنَّ الـمـعـلـمَ لا يـعـيـشُ طـويـلا!

❊ ❊ ❊ ❊

بروفة ثانية 25/ 9/ 2019

إبراهيم عبد القادر المازنى

أديب وصحافى مصرى مجدد، وناقد من كبار النقاد، وقد اشترك مع العقاد وشكرى في «الديوان».

عمل في التعليم والصحافة، وكان عضا بالمجمع العلمى العربى بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة.

نظم الشعر أولا، ثم كتب القصّة بأسلوب ضاحك تهكمى تغلّب فيه على كآبته الأصيلة، وإليك نموذجا تتجلى فيه روح المازنى المرحة يصف «حلاق القرية» الذي حلق له:

أنا الجانى على نفس!!

وقعت لي هذه الحادثة في الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تتغلغل المدنية إلى قراه، وكنت أنا الجانى فيها على نفسى، فقد عرض علىَّ مضيفى أن أستعمل موساه، فأبيت، وقلت: مادام للقرية حلاق فعَلَىّ به.

فحذرنى مضيفى، وأنذرنى، ووعظنى، ولكنى ركبت رأسى، وأصررت على أن يجىء الحلاق، فجاء بعد ساعات يحمل ما ظننته أول الأمر (مخلاة شعير) وسلم وقعد، وشرع يحيينى ويحادثنى، حتى شككت في أمره، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر، وأن هذا الجالس أمامى ليس سوى (طلائعه).

ولما عليل صبرى، سألته عن حلاق القرية، فابتسم ومشط لحيته بكفة، وأنبأنى أن الحلاق (محسوبى) يعنى نفسه، فلعنته في سرى، وسألته: متى ينوى أن يحلق لى لحيتى؟ أم لابد أن يضرب الرمل والحصى[1] أولا، ويحسب الطالع قبل أن يباشر العمل؟ فلم يفهم، وأولانى صدغا كث الشعر وقال: هيا، فظننته أصم، وصحت به:

(1) كما يفعل المنجمون الدجالون.

(أ... ر ... يدُ... أن ... أ ... ح... ل... ق) فسره صياحى جدا، وضحك كثيرا، وأقبل على «مخلاته» أخرج منها مقصا كبيرا جدا، فدنوت من أذنه، وسألتهُ: هل في القرية فيل؟! فقالك فيل؟ لماذا؟

فأشرت إلى المقص، فضحك وقال: هذا مقص حمير، ولا مؤاخذة!!

فقلت: ولماذا تجيؤنى بمقص الحمير؟ أحمارًا ترانى؟!

ويظهر أن معاشرة الحمير بلدت إحساسه، فإنه لم يعتذر لى ولا عبأ بسؤالى شيئا!

ثمم أخرج «موسى» من طرازالمقص و(مكنة) من هذا القبيل أيضا، فعجبت له! لماذا يجىء إلىّ بكل أدوات الحمير؟!

وسألته عن ذلك فقال: إن اللّه مع الصابرين!

وبعد أن أفرغ (مخلاته) كلها انتقى أصغر الأدوات- وأصغرها أكبر ما رأيت في حياتى- ثم أقبل علىّ وقال: «تفضل».

قلت: ماذا تعنى؟

قال: اجلس على الأرض!

قلت: ألا يمكن أن أحلق وأنا جالس على الكرسىّ؟!

قال: وأنا؟!

قلت.. في نفسى.. وأنت تذهب إلى جهنم وبئس المصير!

وهبطت إلى الأرض كما أمر، ففتح موسى كالمبرد.

فقلت: إن وجهى ليس حديدًا يا هذا!

قال: لا تخف إن شاء اللّه!

ولكنى خفت بإذن اللّه، ولا سيما حين شرع يقول:

«باسم اللّه.. اللّه أكبر» كأنما كنت خروفا، ويبصق في كفه، ويشحذ الموسى على بطن راحته، ثم جذب رأسى، فذعرت ونفرت، ووليت هاربا إلى أقصى الغرفة!

فقال: ماذا؟

قلت: ماذا؟!!

قلت: أتريد أن تحلق لى بمبرد ومن غير صابون؟

قال: ماذا يخيفُك؟

قلت: يخيفنى؟ لقد دعوتك لتحلق لى لحيتى لا لتبرد لى شعرى!

قال: يا أفندى لا تخف.

وأسلمت أمرى للّه، وعدت فقعدت أمامه، فنهض على ركبتيه، وتناول رأسى بين كفيه، وأمال صدغى إليه، ثم وضع ركبتيه على فخذى، ولف ذراعه حول عنقى، فصار فمى مدفونا في صدره، فصحت أو على الأصح - جاهدت أريد الصياح- لعل أحدًا يسمعنى فينجدنى، غير أن طياث ثوبه كانت في فمى، أما رائحة الثوب فبحسب القارئ أن يعلم أنها أفقدتنى الوعى!!

ولا أطيل على القارئ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهى، فسلخ قطعة من جلدى، فردنى الألم إلى الحياة وآتانى القوة الكافية للصراخ، على الرغم من الكمامة، ووثبت أريد الباب، ولكنه كان على كبر سنه - أسرع منى، وما يردينى لعل كان يتوقع ذلك! وعسى أن يكون المران قد علمه أن يكون يقظا لأمثال هذه المحاورات، فردنى بقوة ساعده، فتشهدت، وتذكرت قول المتنبى:

وإذا لم يكن من الموت بُدّ

من العجز أن تموت جبانا

ثم جاء هذا السفاح بطشت يغرق فيه كبش، ووضعه تحت ذقنى، وصب ماءه على وجهى، وفي صدرى، وعلى ظهرى ليغسل الدم الذكى الذي أراقه، وأخرج من مخلاته منشفة، هى بممسحة الأرض أشبه، فاعتذرت، وأخرجت منديلى، وسبقته به إلى وجهى، فهى معركة لا تزال بجلدى منها. ندوب وآثار[1]».

هذا هو المازنى في كتابته النثرية ولعلك تعجب أن المازنى هو الشاعر الوحيد الذي كان يستطيع أن يترجم الشعر الانجليزى إلى شعر عربى على الآلة الكاتبة.

(1) صندوق الدنيا. والندب- بفتح الدال- أثر الجرح. والجمع ندوب.

الشاعر إبراهيم عز العرب

له ديوان شعر للأطفال يضم مائة قصة وقصيدة!

إنه شاعر مصرى عرف بكتابه آداب العرب، وهو مجموعة أمثال على ألسنة الحيوانات. صدر سنة 1911 وعلى غلافه إشارة إلى أن نظارة المعارف قد قررته على مدارسها، وقد اخترت لك منه قصة «البخيل وابنه» وقصة «السمكة الطيارة»:

البخيل وابنه

اشترى بخيل تفاحا، وأغلق عليه، ولم يكن يأكل منه إلا ما يصل إليه العطب. ونسى مفتاحه يوما، فجاء ابنه فأكل التفاح مع أصحابه وعندما عاتبه أبوه، قال الابن:

– إننى يا أبي لم آكل غير الطيب من التفاح وأنت لا تأكله!

حكايةٌ عَنْ رَجُلٍ بخيلِ
راضٍ من العيشةِ بالقليلِ
إن أكل البيضةَ بعد عام
قال: دُجاجةٌ بلا عظامِ
أسرف يوما واشترى تفاحا
وقصد الدار به صَبَاحَا
ووضع التفاح في الخِزانة
وعَدَه خوفا من الخيانهْ
وكان كل لحظةٍ فثانيه
يُعيد ذلك الحساب ثانيه
فيأكل المعطوب والقبيحا
ويترك الطيبَ والصحيحا
فذات يوم نَسِيَ المفتاحا
في باب مُسْتَوْدَعِه ورَاحا

أبـصـره ابـنُـه فـجـاء يَـعـجَـلُ
وقـال لـلأصـحـاب: هـيـا وكُـلـوا
ولـبـث الـغـلامُ مَـعْ أصحـابـه
حـتـى أتـى الـوالـدُ مـن غـيـابـه
وقـال: مِـثـلـى مـالُـه يُـؤكـلُ؟!
مـا بالكم فـي صنعكم لـم تعقِلُوا؟!
أجـابـه ابـنـه: أبـي لا تغضب
فـمـا أكـلـت مـنـه غـيـر الـطـيـبِ
يـا حـارمَ الـنـفـسِ لـجـمـع مـالِ
تُـفـنـيـه وُرَّاثٌ مـن الـجُـهَـالِ!

السمكة الطيارة

قالت سمكة صغيرة لأمها: ماذا أفعل يا أمى.. إذا صعدت عاليا اختطفنى الطير، وإذا غصت في الماء ابتلعنى السمك الكبير؟!

قالت الأم: خير الأمور الوسط!

مـن السمك الـطـيـار واحـدة شكت
إلـى الأم تـخـشـاه وهـى تـعـوم
إذا ما سمت في الجو فالنَّسْر حائمٌ
وإن هـى غـاصـت فـالـوحـوش تحوم
فـكـيـف تـوقـى نـفـسـهـا شـر ميتةٍ
وفـي وجهها في الحالتين خصوم؟!
فقالت لها الأم الرحيمة: يـا ابنتى
إذا شـئـت أن لا تـعـتـريـك هموم
فـلا تعْتلى فـي الـجـوَّ فالجوَّ غائل
ولا تسفلى فـي البحر فهو هَـضُـومُ
عـلـيـكِ بـأوسـاطِ الأمـورِ فإنها
طـريـق إلـى نـهـج الـصـوابِ قـويـمُ

الشاعر إبراهيم ناجى

من منا لم يستمتع بأطلاله؟

ورث شاعرُنا عن أبويه كثيرا من خلالهما

فورث عن ابيه حبَّ العلم والدأب في القراءة!

وورث عن أمه غنسانيتها وخفة ظلها!

وكانت هذه السيدة ظريفة تحسن النكتة، وقد نشأ ناجى كذلك، فكان من ظرفاء عصره!

وكانت له نِكاتٌ مشهورة تجرى مجرى نكات «البابلى» و «البشرى» وغيرهما من ظرفاء العصر.

ومن حكاياته المأثورة التى تجمع بين ظُرفه وإنسانيته، حكاية كان يرويها عن نفسه!

هو وأحد المرضى

قال: إن مريضا قصد إليه في عيادته، وكان فقيرا فلم يؤدِّ أجر العلاج.

واستقبله ناجى وكشف عليه، فلم يجد به داء إلا الجوع، فأخرج من جيبه جنيها، وقدمه للرجل، وقال له: خذ هذا الجنيه، واشتر به زوجا من الدجاج وكُلْه، وستشفى بإذن اللّه!

وخرج الرجل يدعو له.

وبعد أسبوع صادفه في الطريق فسأله:

- كيف حالك الآن؟

- على ما يرام يا دكتور!

- هل أكلت زوج الدجاج؟

- لا.

- إذن ماذا صنعت بالجنيه؟

– ذهبت به إلى طبيب شفانى من علتى!!

❊ ❊ ❊ ❊

وكما تاثر ناجى بوالديه، تأثر بذلك البيت الذي نشأ فيه، وكانت في البيت جارية اسمها «صباح»، وكانت على غير شأن إماء ذلك العصر قوية الشخصية، مسموعة الكلمة، تبدى آراءها في شجاعة أدبية بالغة فيحترمها الجميع! وكانت إلى جانب هذا ظريفة، حلوة الحديث، بارعة النكتة، وكانت تُولِي شاعرنا في طفولته أوفر نصيب من عطفها وعنياتها. فكان لها أثرها في شَخصيته وإليك بعض فكاهات ناجى وطرائفه..

مديح على طريقة ناجى

عندما يمدح ناجى أحد أصدقائه تحس أن المديح تحول إلى شيء من المداعبة التى تكون بينه وبين الأصدقاء، أو إلى شيء من الإخوانيات، ولنسمعه وهو يمتدح الدكتور زكى مبارك:

فـرِحَ الأهـلُ بـالـغـلامِ الـذي صـار
حـديـثـا فـي نَـدوةِ الـسُّـمَـارِ
عَـمَّـمُـوهُ، وقَـفْـطَـنُـوه فأمسى
أمـلَ الـقـوم فـارسَ الـمِـضـمـارِ
ثم أمسى مُطَرْيَشًا واكتسى البِذلة
مـا بـيـن لـيـلـةٍ ونـهـارِ
ثـم أمـسـى مُـبْـرنَـطًـا يقصد الـسِّـ
ـيـنَ ويـغـزو مـديـنـةَ الأنـوار[1]

(1) يقصد باريس. والسين: نهر السين بفرنسا.

دعابة في حفلة عدس!

العدس الأباظِيّ مشهور معروف. وفي منزل الشاعر الراحل إبراهيم الدسوقى أباظة داعب الدكتور إبراهيم ناجى صديقه الشاعر النابغ «محمد غنيم» بهذه الأبيات في حفل غداء دعا إليه إبراهيم الدسوقى أباظة لفيفا من الشعراء حيث كانوا يتبادلون النوادر الشعرية والفكاهات اللطيفة، فتنشر جوا من المرح والبهجة ويسعد الجميع، وكان صاحب الدعوة قد طلب من المدعوين الحضور بالملابس الرسمية: (الردنجوت)، فحضورا جميعا ما عدا «محمود غنيم» الذي حضر بملابسه العادية وعير «الشاعر ناجى» بأنه استعار الردنجوت، فما كان من ناجى إلا أن جادت شاعريته بهذه الأبيات الطريفة التى بدأها بمدح هذه الندوة والداعى إليها منتقلا إلى صديقه غنيم:

إلى إبراهيم دسوقى أباظة:

دعـــوت فـلـبّـيـنـا ودارُك كـعـبـةٌ
بها انعقد الإخـــلاصُ، والـحُـب طَوفا

خـمـيـلـتُـنـا تـهـفـو إلـيـهـا قـلـوبُـنـا
وأيُّ فـــؤادِ للخميلة مـا هـفـا؟!

بَـنـوكَ الأُلـــى تحنو عليهم تعطفا
وتـــرعـــاهـــمُ بَـــرَا بـهـم متلطفا

إذا خلَعوا بعضَ الـوَقـار فَسَعْهُمُ
فمثلُك عـن مثلِ الـذي صنعوا عَفَا

هنا اطَّـــرَحَ الأعـبـاءَ مُـثْـقَـلُ كاهلٍ
وخَـفَّـفَ مـن وَقْـرِبـه مـن تخفَفَا

فـمـالَ على الفضلِ الأبـاظِـيِّ طامعَاً
وأغـرق فـي الـجـودِ الأبـاظـيّ مُسْرِفَا

إلى ندوة السُّمار:

فيا نـدوةَ الـسُّـمـار هـل مِـن مُسَجِّلِ
يُـــدَوِّنُ إعـجـازَ الـقـرائِـح مُنْصِفَا
ليشهدَ أن الـشـعـرَ شـيء مشي بنا
مـع الطبع جَـلّ الـطـبـعُ أن يتكلَفا
وفـــي دمـنـا يـجـرى بـه مـتـواصـلا
مع النفَس الـجـارى ويَـنْـسَـابُ مرفها
فهل فهم ناقل عنى الـغَـداةَ ونـاشِـرٌ
ومقالَة صِـدقٍ قد أبـتْ أن تُحرَّفَا؟!

حديث غُنيم و «الردنجوت» وما جرى بينهما:

حديثُ غُنيْمٍ و «الردنجوتُ» والذي
جـرى بيننا مـا كنت بالحق مُزْجفَا
بَصُرْتُ به والصَّحْنُ بالصَّحْنِ يَلْتقِى
فلم أرَ أبـهـى مـن غُـنَـيْـمٍ وأظـرفـا!
تـــراءَى لـه لَـحْـمٌ فلم يَـــدْرِ عندهُ
«تَدَيَّك» من بَعْدِ الطوى أم «تخرفا»؟
وأوْمَـــأ لـي بـالـلَّـحظ يَـسْـأَلـنـى به
اتـعـرفـه؟ أومـــأْتُ باللَّحظِ مُسْعِفَا
وقـدمـتُـه لـلـديـك وهْـــوَ كـأنـمـا
يَـطـيـرُ إلـيـه واثـبَـا مـتـلـهِّـفَـا
غُـنَـيْـمٌ! أخونا الـديـك: قدمت ذا لذا
فـهـذا لـذا مـن بـعـد لأْيٍ تـعـرّفـا
ومـــا هـــى إلا لـحـظـة وتـغـازلا
وقـد رفـعـا بـعـد الـسـلام التكلّفا
فـمـال على الـــورك الشهى مُـمَـزِّقَـا
ومـا على الـصَّـدْرِ النظيفِ مُنَظَّفا
جـزى الـلّـه أسـنـانـا هـنـاك عتيقةَ
ظلَّت على الصحن الأبـاظِـيِّ عُكَّفَا

معايرته ناجى بالردنجوت:

تُـعَـيِّـرُنـاجـى «بـالـردنـجـوت» جـاءه
مـعـارًا، فغامر واسْـتـعِـر أنـت مِعطفا
وأُقـسـمُ لـو أن «الـردنـجـوتَ» نِلْتَه
وجـاد بـه مـن جـاد كـرْهَـا وسَـلَّـفـا
لَـقَـلّـبـتَـه ظـهـرًا لـبـطـنٍ مُـحَـيَّـرًا
بـه، تحسَبن الـوجْـه مـن عَـبـطِ قَفَا
رأيـتُـك والـعـدسُ الأبـاظـىّ قـادمٌ
كما انتفض المحموم بُـشِّـر بالشِّفَا
وناهيك بـالـعـدسِ الأبـاظـىِّ منظرًا
عظيمًا كما هـيـأت للعينِ مَتْحَفَا
عـلـى أنـه مـا جـاء حـتـى رأيـتُـه
توارَى كطَيْفِ لاح في الحُلم واختفى!
فِـلـلَّـه مـن لـفـظ بـبـطـنِـك رأسـبٍ
قـريـرٍ، ومـعـنـاه بـراسـك قـد طَـفَـا

وقفة للتعجب!

قِفَا بَـنْـكِ أو نضحكْ على أي حالةِ
قفا صاحبى الـيـوم مـن عـجـبِ قفا
كـأنّ صِحافَ الـدار في عين صاحبى
غـوانٍ كستهُنَ الـمـحـاسِـنُ مُطْرَفا
أشـار لإحـداهـن إذ بـرزت له
ونـاجـتـه عـن بُـعْـدٍ، وأبـدت تعطُّفَا
«تسائلنى مـن أنـت وهـى عليمة»
وهـل بفتى مِثْلِى على حاله خَفَا؟!
سَـأُخـبـرهـا مـن أنـت، إنـك شـاعـرٌ
قَـنُـوع، إذا مـا الخير جـاء تفلسفا

ومـن أنـت حتى ترفض النعمة التى
أتـيـحـت، وتـأبـى مثلها متقشفا
فتى حـالـهُ غـلْـبٌ، وآخـرهُ الـطّـوَى
وخُـطَّـتُـه عُـسْـرٌ، ومـشـروعـه الحفا

وبعد..

ألم أقل لك إن «ناجى» كان من ظرفاء عصره؟!

وإليك بعض طرائفه النثرية:

وجه الشبه!

ذات يوم سأل الشاعر أحمد رامى الدكتور ناجى:

قل لي يا دكتور ما وجه الشبه بين الشيوعية والفجل؟

فأجاب ناجى على الفور: الاثنان فيهما «روس».

اعمل له نظارة

وسأله أحد مرضاه: ألا توجد وسيلة غير العملية للمصران الأعور؟

فأجابه الدكتور على الفور: اعمل له نظارة؟

نعم يا دكتور

وعندما شكا المرضى ألما في بطنه سأله الدكتور ناجى:

هى بطنك ماشية معاك؟ فقال المريض: نعم يا دكتور!

فأجابه ناجى: أحسن ما تمشى مع واحد غيرك!!

ماذا تعمل يا دكتور؟!

وحكى ناجى أن زميلا له أخذ يفحص عين المريض وأطال الفحص وتململ المريض، وقال للدكتور: بتعمل إيه يا دكتور؟

قال الدكتور: بافحص عينك يا أخى!

فأجاب المريض: دى العين القزاز يا دكتور!!

أحمدرامى

أطلق عليه في البدء: شاعر الشباب.

وإذا هو بمرور الأيام رائد الغزل، وشعره الغنائى يردده الشباب والشيوخ.. والرجال والنساء!

وشعره الفكاهى قليل، أما فكاهاته النثرية فكثيرة تتداولها الألسنة في المحافل، وجلسات السرور والمباسطة.

لازم يبقى ستى!

يروى عنه عندما كان يعمل بدار الكتب أن اختلف مع شاب ضايقه ببعض تصرفاته، وعندئذ تدخل أحد أصدقاء رامى، وقال له:

لا تغضب منه، فهو شاب أحمق، وأُمِّى!

فقال رامى: أمى دى شويه عليه! دا لازم يبقى ستِّى!

قصيدة مكسورة

وكان يسكن إلى جواره أحد الشعراء المبتدئين، وكان يعرض شعره عليه بين الحين والحين فيقول له رامى: الشعر دا مكسور يا أستاذ عليك أن تراعى الوزن!

وأخيرا تضايق الجار وقال له: كلما عرضت عليك قصيدة قلت لى: دى قصيدة مكسورة!

فقال رامى: أنا وزنى كده.. إن ما كانش عاجبك روح أوزن بره!!

الحلم الجميل

ويحكى رامى قصة ذلك الحلم الجميل الذي أفاق منه على «قُلَّة» فيقول:

كنت في صدر شبابى أغادر دارى بعد الغروب، وأعود إليها في الصباح قبل الشروق!

وكنت ألاحظ كلما صممت بالانعطاف من الحارة التى أسكن بها أن رأسا صغير بطل، وهو يلتف بغلالة بيضاء ناصعة من وراء المشربية!

وظننت أنها تنتظرنى لترانى، ولم تكن نفسى ولا التقاليد تسمح لى حتى برفع النظر غلى أبعد مما يحمينى من مزالق الطريق، فقلت عنها مع من قال:

وإنـــى لأستـحـيـك حـتـى كـأنـمـا
عـلـىّ بـظـهـر الـغـيـب مـنـك رقـيـبُ

ورحت أنظم فيها شعرا يحوى المعانى التى تثيرها مشقة النوى والبعد!

وذات يوم خرجت من دارى قبل الغروب، وإذا بعينى تفلت منى، وترمق حبيبة خيالى لأكتشف أنها «قُلّة» تلتف في شاشٍ أبيض رقيق مبتل ليبترد الماء!

وفقدت ليلاى، وأفقت من حلم جميل.

وكان اللى كان

ذات مساء سهر رامى مع أصدقاء له في صدر الشباب في فرح أمتد سهرهم به حتى ساعة متأخرة!

وكان معهم صديق من أسرة ثرية، ولكنه كان متلافا فأضاع كل ما ورث من أملاك العائلة، ولم يبق إلا ذلك البيت الكبير في الحلمية من بيوت الوقف!

فعرض على إخوانه أن يناموا عنده حيث توقفت المواصلات ولا قدرة لهم على السير الطويل!

فوافقوه، ودبر لهم المكان، وكانوا خمسة.. وكانوا يحسون البرد لأن ساكن الدار كلما احتاج عمد إلى شيء من أثاث البيت فباعه!

وراح ساكن الدار يفكر قبل النوم في كيفية إفطارهم بعد أن دبر أمر نومهم! وهداه عقله وتدبيره إلى الحل! وفي الصباح شم النائمون روائح بيض مقلى وبسطرمة، وفول وزبد، ولم يصدقوا!

وكم كانت المفاجأة حين استيقظوا حيث وجدوا مائدة حافلة بما لذ وطاب! وبعد أن شربوا الشاى والقهوة! وحان وقت الانصراف بحثوا عن أحذيتهم فلم يجدوها!

فسألوا صاحب الدار عنها، فضحك ضحكا متواصلا ثم قال: خلاص ما أكلتوها وكان اللى كان!!

شاعر بلا قافية

كان لرامى صديق يحضر مجالسه مع رفاق الشعر، وكلما عرض واحد منهم شعره على رفاقه صاح هذا الصديق:

كل اللى أنتم بتقولوه خطرت على بالى معانيه، وكثير من ألفاظه وإشاراته.

يبقى إيه ده يا رامى، توارد خواطر، أم مناجة أرواح؟!

فأجابه رامى: لا أبدا تقدر تقول: إن احنا شعراء بقافية، وأنت شارع بلا قافية!

مغمور بعطفك

قدم أحد الأصدقاء للشاعر أحمد رأمى صديقًا له وصفه بأنه شاعر كبير.. ولكن حينما استمع إلى شيء من شعره لم يعجبه وبالرغم من ذلك أصر الصديق الأول على رأيه..

وقال هذا الصديق: ده شاعر عبقرى بس مغمور.

فقال له رامى على الفور: أيوه هو مغمور.. بعطفك عليه زيادة عن اللازم!!

❊ ❊ ❊ ❊

أحمد شوقى

ولد أمير الشعراء، وشاعر الأمير أحمد شوقى بالقاهرة سنة 1868م.

ولقى ربَّهُ في 13 في من أكتوبر 1922 م عن أربع وستين عاما، ملأ الدنيا بشعره وشغل الناس!

إنه شاعر العربية الأكبر، والتعويض الإلهى للأمة بعد المتنبى!

ويقول الأستاذ العقاد عن الجانب الفكاهى في شعره:

هناك شعر ظهر لشوقى في أخريات أيامه، وازاداد ظهوره بعد وفاته، وكاد يهمله جامعو ديوانه، وهو في اعتقادنا أحق باب فيه بالإثبات، لأنه الباب الوحيد الذي يحسب من شعر الملامح الشخصية بين سائر الأبواب.

ذلك هو «باب القصائد الفكاهية» التى كان ينظمها شوقى ويطويها، ولم يكن يعرض لها في أوائل عهده بالنظم إلا على غير احتفال منه في فلتات بعد فلتات!

من هذه القصائد ما نظمه في «المحجوبيات»!

ومنها ما نظمه قبل ذلك بين فترة وفترة على غير انتظام!

محجوبيات شوقى

طالما داعب شوقى صديقه الدكتور محجوب ثابت بقصائد فكاهية تارة في حصانه «مكسوينى»!

وتارة في سيارته القديمة!

وأخرى في براغيث محجوب!

ويقول شوقى في براغيث عيادة الدكتور محجوب التى طالما شقت خراطيمها جوارب زواره، ونفذت إلى لحومهم وعظامهم تطعم منها في قسوة وشره:

براغيث محجوب

براغيثُ محجوب لم أنْسَها ... ولم أنسَ ما طعمت من دَمى
تشُقُّ خراطيمُهَّا جَوْرَبى ... وتنفذُ في اللَّحم والأعظُم
وكنت إذا الصيفُ راح احتجمـ ... ـتُ فجاء الخريفُ فلَم أُحْجَمَ
تُرَحّبُ بالضيف فوق الطـ ... ـريق فباب العيادة فالسُّلَّم
قد انتشَرَت جَوْقةً جَوْقةً ... كمَا رُشَّت الأَرضُ بالسِّمْسِم!
وترقُصُ رقصَ الموَاسِى الحِدَاد ... على الجِلْد والعلق الأَسْحَم[1]
بواكيرُ تطلعُ قبل الشتاء ... وترفَعُ ألويةَ المَوْسِم
إذاما «ابن سينا» رمى بَلْغمًا ... رأيتَ البراغيثَ في البلغَم
وتُبْصِرها حول «بيبا» الرئيس[2] ... وفي شاربيه وحول الفمَ
وبين حفائر أسنانه ... مع السُّوسِ في طلب المطعَم

بين مكسوينى والأتومُبيل

كان بين الشاعر والدكتور محجوب ثابت صلة متينة من الود، وكانت بينهما مسامرات ومداعبات أوحت إلى الشاعر ببعض ما نشره من «شعر الفكاهة».

وكان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ما شاء من أحياء القاهرة في أيام الثورة.

وكان أصدقاؤه يسمون حِصان: «مكسوينى» وهو اسم بطل إيرلندى مشهور انتحر جوعا- يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به!

وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة، فنظم الشاعر القصيدة الآتية، ويعزى حصانه!

وقد نشرت هذه القصيدة في سنة 1924م:

(1) الأسحم: الأسود.

(2) ابن سينا والرئيس: كناية عن الدكتور محجوب نفسه، ومن الأشياء الحبيبة إليه التدخين في «البيبا».

لكم في الخطِّ سيارهْ ... حديثُ الجارِ والجارَهْ
(أو فَرلَانْدُ) يُنَبّيك ... بها القنصُل طمَّاره[1]
كسيارة (شارلوتَ) ... على السَّوَّاق جَبّارهْ[2]
إذا حرّكها مالَتْ ... على الجنبين مُنهارَهْ
وقد تحرُنُ أحيانَا ... وتمشي وحدَها تارهْ
فلا تشبعها عينٌ ... من «البنزينِ» فوَّارهْ
ولا تُروَى من الزيتِ ... وإن عامت به الفارَهْ
ترى الشارع في ذُعْرِ ... إذا لاحَتْ من الحارَهْ
وصبيانا يَضِجَون ... كما يلْقَوْنَ طيارَهْ
وفي مَقْدَمِها بوقٌ ... وفي المُؤْخِر زَمَّارَهْ
فقد تَمْشِي متى شاءتْ ... وقد ترجِعُ مختارَه
قضَى اللّه على السَّوَّا ... ق أن يجعلَها داره
يُقَضّي يومه فيها ... ويلقى الليلَ مازارَه
أدنيا الخيل يا مُكسِي ... كدنيا الناس غدَّاره!!
لقد بدّلك الدهرُ ... من الإقدام إدبارَه
فصبرًا يا فَتَى الخيلِ ... فنفسُ الحُرِّ صَبَّاره
أحقٌّ أن (محجوبَاً) ... سَلاَ عَنْكَ بفَخَّاره
وباع الأبلقَ الحُرّ ... (بأوفرْلاند) نعّاره؟
ولم يعرف له الفضل ... ولا قدَّرَ آثارَه
قد اختار لك الشَّلْحَ ... وما كنتَ لتختارَه
فسَلْه: ما هو الشَّلْحُ؟ ... عسى ينبيك أخباره

(1) الشيخ طمارة: كان إماما بالمفوضية المصرية في واشنطن.
(2) يعنى شالى شابلن الممثل الهزلى المعروف.

كـــأن لـــم تـحـمـل الـــرّا ... يـــةَ تـحْـمِـلْ عـلـى الـغـارَهْ
ولـــم تـعـط عـلـى جـرحـى ... مـــن الـصِّـبْـيـةِ نـظّـارَهْ
فـمـضـروبٌ بـرَشَّـاشٍ ... ومـقـلـوبٌ بـغـدَارهْ
ولَا والـلّـه مـا كَـلّـفْـ ... ـــتَ مـحـجـوبًـا ولا بـاره
فـلا الـبِـرسـيـمُ تـدريـه ... ولا تـعـرف نَـــوّارَه!

ذخيرة

هذه مداعبة أخرى- لم تكمل، نظمها في أيام ثورة 19، وهو يشير فيها إلى «ألفى جنيه» كان الدكتور محجوب قد اكتنزها وحرص عليها في بنك «حسن باشا سعيد»...»

قُـلْ لابـن سـينـا لا طبيـ ... ـــبَ الـيـومَ إلا الـدرهـمُ
هـو قـبـلَ بـقـراطِ وقـب ... ـــلَـك لـلـجـراحـة مَـرْهَـمُ
والـنـاسُ مُـذْكـانـوا عليهـ ... ـــه دائـــرون وحُـــوَّمُ
وبـسِـحْـرِه تـعـلـو الأسـا ... فِـلُ فـي الـعُـيـون وتـعـظـم
يـاهَـلْ تُـرِي الألـفـانِ وقْـ ... ـــفٌ لا يُـمَـسُّ ومَـحْـرَمُ؟!
بـنـك الـسـعـيـد عـلـيـهـمـا ... حـتـى الـقـيـامـةِ قـيِّـم
لا شـيـكَ يـظـهـرُ الـبُـنُـو ... ك، ولا حِـوَالـة تُـخـصَـمُ!

حكايات النبات والحيوان والطير

نظم شوقى أكثر من خمسين قصيدة تحت عنوان «الحكايات» يضمها الجزء الرابع من ديوانه، وهى من الشعر الرمزى الذي قال فيه شوقى ما يريد أن يقوله دون أن يُغضب أحد!!

وعلى رأس هذه الحكايات «**نديم الباذجان**»، وهى صورة سافرة لندماء الملوك الذين لا يملكون إلا أن يؤمنوا على ما يقول سادتهم، سواء كان قولهم الحق أو الباطل

إنها حكاية سلطان جلس مع نديمه على خوان، وكان الطعام «باذنجان».

فأراد السلطان أن يسخر من نفاق نديمه إذ هما يأكلان الباذنجان!

مدح السلطان الباذنجان، فأمَّن النديمُ على كلامه وزاد عليه حتى رفع الباذنجان إلى السماء!

فعاد السلطان يذم الباذنجان، فكان النديم أول المسارعين بذمه!

فضحك السلطان، وراح يسأل الحضور رأيهم في هذا النفاق!

وهنا قال النديم:

إن مهنته هى المدانهة.. مداهنة السلطان.. لا مداهنة الباذنجان!

وإليك الحكاية من البداية إلى النهاية:

كـــان لـــسـلـطـانِ نـــديـــمٌ[1] وافِ
يُـعـيـدُ مـا قـــال بـلا اخـتـلافِ
وقـــد يَـزيـدُ فـي الـثَّـنـاَ عَـلَـيْـه
إذْ رأى شَـيـئَـا حَـــلاَ لَـدَيْـه
وكـــان مَـــوْلاهُ يَـــرَى ويَـعْـلَـمُ
ويَـسْـمَـعُ الـتـمـلـيـق[2] لكن يكْتُمُ
فَـجـلَـسَـا يـومَـا عـلـى الـخِـوانِ[3]
وجـــيءَ فـي الأكـــلِ بـبـاذنـجـانِ
فـأكـل الـسـلـطـانُ مـنـه مـا أكـل
وقـــال: هـذا فـي الـمـذاق كـالْـعَـسَ
قـال الـنـديـمُ: صَـــدَقَ الـسُّـلـطـانُ
لا يـسـتـوى شُـهْـدُ[4] وبـاذنـجـانُ
هـــذا الـــذي غَـنّـى بـه الـرئـيـسْ[5]

(1) النديم: المسامر، والمصاحب على الشراب.
(2) مولاه: سيده. والتمليق: التودد بكلام لطيف، والتضرع فوق ما ينبغى.
(3) الخوان: بضم الخاء أو كسرها: ما يؤكل عليه-المائدة.
(4) الشّهد؛ بضم الشين أو فتحها: عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه. القطعة منه شهدة، والجمع: شِهاد.
(5) الرئيس: ابن سينا (أبو علي) عرف بالشيخ الرئيس. من مؤلفاته المطبوعة «القانون في الطب».

وقـــال فيه الـشـعـرَ «جـالـيـنـوسْ[1]»
يُـــذهِـــبُ ألـــفَ عِـــلّـــةٍ وعـلّـة
ويُـبْـرِدُ الـصَّـدْرَ يشفى الـغُـلَّـهْ[2]
قـــال: ولـكـن عِـنـدَه مـــرارَة
ومـــا حَـــمِـــدتُ مـــرةَ أثـــارَهْ
قـالـك نـعـم مُـــرٌّ، وهـــذا عَـيْـبُـهُ
مُـذْكـنـتُ يـا مـــولايَ لا أُحِـبُّـه
هـــذا الـــذي مـــات بـه «بُـقْـــرَاط»
وسُـــمَّ فـي الـكـأس «سُـــقـــراطُ[3]»
فالتفت الـسـلـطـانُ فيمن حَـوْلَـهْ
وقـــال: كـيـف تـجـدون قـولَـهْ؟!
قـــال الـنـديـم: يـا مـلـيـكَ الـنـاس
عـــذرًا فما فـي فَعْلَتى مـن بَـاسِ[4]
جُـعـلـتُ كـى أنـــادِمَ الـسُّـلـطـانـا
ولَـــمْ أنـــادِمْ قـط بـاذنـجـانـا!!

الثعلب والديك

لا يكاد الناس يذكرون الثعلب إلا ويصفونه بالماكر أو المكار!

وما أكثر الماكرين من بنى الإنسان، وعلينا ألا ننخدع بألاعيبهم، وقد صاغ ذلك في قصة طريفة كقصة نديم الباذنجان، وها هى ذي:

بـــرزَ الـثـعـلـب يـومـا فـي شـعـار الـواعـظـيـنـا
فمشى فـي الأرض يهدى ويَـسُـبّ الـمـاكـريـنـا

(1) طبيب يونانى له اكتشافات خطيرة في التشريح. من أكبر مراجع أطباء العرب.
(2) الغُلّة: شدة العطش وحرارته.
(3) بقراط، أو أبقراط: أشهر الأطباء الأقدمين. جعل للأمراض سببين: الهواء والغذاء. نقلت بعض مصنفاته إلى العربية، أما سقراط فهو فيلسوف يونانى، شرب السم فمات.
(4) باس: بأس.. أي حرج.

ويـــقـــول: الـحـمـد لِـلّـــه إلـــه الـعـالـمـيـنـا
يـاعـبـادَ الـلّـــه، تـوبـوا فـهْـو كـهـفُ التائبينا
وازهـــدوا فـي الـطـيـر، إن العيش عيش الزاهدينا
واطـلـبـوا الـديـك يـؤذن لـلـصـلاة الـصـبـح فينا
فـأتـى الـديـكَ رسـولٌ مـن إمـام الـنـاسـكـيـنـا
عـرض الأمـرَ عليه وهْـو يـرجـو أن يلينا
فـأجـاب الـديـكُ: عُـذرًا يـا أضـلَّ الـمـهـتـديـنـا!
بَـلِّـغ الـثـعـلـبَ عَـنّـى عـن جـودى الصالحينا
عـن ذى الـتـيـجـان مِـمّـن دخـل الـبـطـن اللعينا
أنـهـم قـالـوا- وخـيـرُ الـ ـقـولِ قـولُ العارفينا:
«مُخطئ مـن ظـن ويـومًـا أن لـلـثـعـلـب ديـنـا»

وما أكثر الثعالبَ في عصرنا!!

❊ ❊ ❊ ❊

أمام العبد

كان عبدا أسود، ولكن قلبه أبيض!

أضحك الناس على عيوبهم، وضحك منهم، وعليهم.

عاش حياته كما يقولون: «بالطول وبالعرض!» ضاحكا من لونه الأسود الذي جاء به إلى الحياة سنة 1862. ورحل به عنها سنة 1911م، فتعال إلى خفته وظرفه، وسرعة خاطره، ورقيق شعره:

[1]

روى البشرى عن إمام العبد قال:

لما ضاقت به الأحوال ذات يوم لجأ إلى صديق يرجوه أن يقرضه عشرين قرشا!

إلا أن صديقه لم يجد مع إلا عشرة قروش! فاخذها إمام، وقال: معلهش يبقى لى عندك عشرة قروش، وأنت لك عندى عشرة قروش نبقى كده خالصين.

[2]

كان إمام أسمر داكنا، وسئل ذات يوم؛ لماذا لم تتزوج فأجاب:

أنـــا لـيـل، وكـــل حـســنـاء شمس

فاجتماعى بها مـن المستحيل!!

وأجاب عن نفس السؤال لسائل آخر:

وأمّـــــا الـــمِـــلاحُ فـيـأبـيـنـنـى

وأمـــا الـــقِـــبـــاحُ فـــآبَـــى أنـــا!

[3]

كان لأحد أصدقائه سيارة قديمة متهالكة تمشى خطوة، وتتوقف في انتظار من يدفعها إلى الأمام، فانقطع عن ركوبها فترة من الزمان.. وسأله أحد أصدقائه عن السبب فقال: ياعم أنا ركبتها أسبوع نعل جزمتى داب!

[4]

وذات يوم قابل إمام العبد حسناء في الطريق ولاحظ وجود خالٍ في خدها!

فاقترب منها وقال: خالك دا عاجبنى!

فردت عليه قائلة: يا راجل اختشى وأنت كلك خال!

[5]

كان له صديق اسمه «محمود» كثيرا ما يشاكسه، وذات يوم سأله: ما رأيك يا إمام في بيت المتنبى؟

• عيد بأية حال عُدت يا عيد•؟!

وقد أراد صاحبه في جبث أن يشير إلى قول المتنبى:

لا تشترَ العبدَ إلا والعصا معه

إن العبيدَ لأنجاس مناكيدُ!!

وفطن العبد إلى ما أراد صديقة محمود، فرد على الفور:

هى بلا شك قصيدة رائعة جميلة وبخاصة قوله فيها:

ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمن

يسلؤنى فيه كلب وهو محمود!!

[6]

وذات يومقابله شاب طويل القامة، أبيض اللون، وأخذ يسخر من سواده، فنظر إمام العبد إلى طول قامته وقال:

الحق على اللى ما طالوش يربوك!!

وهكذا كان العبد صاحب قلب أبيض، أضحك الجميع وأسعدهم بنكاته وقفشاته!

إسماعيل صبرى باشا

شيخ الشعراء.. تلمس في شعره خفة الروح، ورقة الحس، ودقة الخيال، وامتياز الطبع، وحدة المزاج، وارتفاع الذوق وحلاوة الفكاهة.

ويقول الدكتور طه حسين في مقدمة ديوانه:

وقد تفكه صبرى في شعره بعض الشيء، ولكنه لم يعرف الفُكاهة الخالصة التى تنتهى إلى الضحك، لا تتجاوزه إلى شيء آخر، وإنما عرف هذه الفكاهة التى تصدر عن النفوس المحزونة الكئيبة، فتدفع إلى الضحك، وإلى الإغراق فيه، ولكنها تُعقب مرارة مستقرة مؤلمة.

وهى إلى أن تكون سِهاما نافذة مُهلكة أقرب منها إلى أي شيء آخر!

واقرأ هذه المقطوعات التى رويت فيما يسمونه: (عام الكفّ) والتى أرَّقت ليل المويلحى -رحمة اللّه- فيما تحدث إلينا به المتحدثونّ

وقِفْ منها عند هذا البيت وحده، فهو يصور فكاهة صبرى أحسن تصوير وأبرعه:

وإن أَحـــد تـعـرض لـى بـسـوءٍ
وقـفـت وراء صُـدغـى واخـتـفـيـتُ!!

أترى إلى المويلحى -رحمه اللّه- ينقى السوء الذي يمكن أن يسلَّط عليه بتعريض وجهه للطم؟! أترى بنوع خاص إلى هذه الصورة الغريبة التى تَتَخيلها ولا تكاد تتحققها، وهى صورة الرجل يستخفى وراء صُدغه لتقع اللطمات عليه فلا تبلغه هو، وإنما تبلغ الصُّدغ وحده!»

ويقول الأستاذ «أحمد الزين» شارح ديوانه: كان طريف الفكاهة، حلو النادرة، حاضر النكتة، يرسلها مبتكرة في لين صوت، وحسن أداء، وقرب مأخذ وصمت من الجلساء، متخيرا لها المناسبة القوية فتزيدها مناسبتها قوة على قوتها، وتتفتح لها النفوس تفتح الأزهار لقطر السحاب، وتتهادى بها مجالس العِلية، ويتنافس في روايتها رجال العلم والأدب. وما جاء في ديوانه من شعر الفكاهة أقوى دليل على ذلك!! وإليك ما جاء في ديوانه من فكاهات:

الكفاهات

عام الكفّ[1]

نشرت هذه المقطوعات الاثنتى عشرة بأسماء مستعارة في (المؤيد) سنة 1902م تعريضًا باللطمة التى حدثت لمحمد المويلحيّ بك، وقد ذكرنا خبر ذلك في الحاشية.

[1]

إذا فـتَـحَ الـعُـداةُ عَـنْـيـكَ حَـرْبـاَ
وخِـفْـتَ بَـوَادِرَ الـمُـتَـحـزِّبِـيـنَـا[2]
فَـقُـلْ وارْفَـعْ عـقِـيـرَةَ مَـنْ يُـنَـادِى
فـلا يَـجِـدُ الـمُـؤازرَ والـمُـعِـيـنَـا[3]
أَعـرْنِـى يـابـنَ إبـراهـيـمَ صُـدْغَـا
أَخُـوضُ بـه غِـمـارَ الـصَّـافـعِـيـنـا[4]

(1) نظم الشاعر هذه المقطوعات الطريفة معرّضًا بمحمد المويلحيّبك الكاتب المعروف صاحب مصباح الشرق الصحيفة المشهورة حينما لطمه محمد نشأت بك ابن أحمد نشات باشا على خدّه على ملأ من الناس بحانة دركوس بالقاهرة لشتم الأول أبا الثاني، وكانت صحيفة المؤيد تنشر هذه المقطوعات لما كان بين صاحبها وبين المويلحى من الملاحاة والمهاترة؛ وقد انتقم المويلحيّ بعد ذلك من صاحب المؤيد في حادث زواجه بالسيدة صفية السادات، وقضية الكفاءة التى رفعت عليه سنة 1904م. وكان ينشر في صحيفه «مصباح الشرق» مقالات في شتم صاحب المؤيد والزراية به بعنوان (عامل كفء) وفي المقطعة الأولى من هذه المقطوعات يصف الشاعر خد المويلحى بالصفافة والصلابة، وأنه بذلك قد غلب لا طمه.

(2) البوادر: ما يبدر من الإنسان عند غضبه، الواحدة بادرة. والمتحزيون: المجتمعون حزيا.

(3) العقيرة: الصوت. والمؤازر والمعين: كلاهما بمعنى واحد.

(4) ان ابراهيم، هو محمد المويلحى بك ابن ابراهيم المويلحى بك، ولد بالقاهرة سنة 1858م وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية، واشترك في تحرير عدة صحف، وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتّاب المشهورين في مصر إذ ذاك، وهما صاحبا صحيفة «مصباح الشرق». ومحمد المويلحى بك هو مؤلف (عيسى بن هشام) وتوفى يوم السبت أول مارس سنة 1930م.

فـــإِنْ هُـــوَ قـد أَعـــارَكَ مـا تُـرَجِّـى
رايـتَـــهُـــمُ أَمـــامَـــكَ هـارِبـِيـنـا
كما هَـــرَبَ الـفَـتَـى الـصَّـفّـاعُ يوما
أَمـــامَ الـكـاتِـبِ ابـــنِ الـكـاتِـبـيـنـا[1]
وخَـلَّـفَ ثَـــمَّ رَبَّ الـحـانِ يَـجْـلُـو
عَلَى المَغْلُوبِ كـأْسَ الغَالِبِينا[2]
وَيَـغْـبِـطُ ذلـك الـصُّـدْغَ الـمُـفـدَّى
عَـلَـى إرْغـــامِ كَـــفِّ الـضَّـارِبِـيـنـا

– 2 – تحت عنوان «الأسلحة الجديدة»

قـلْـتُ لِـنَـجْـلِ الـصَّـافِـعـيـنَ أُحْـتَـرِزْ
مِـنْ صُـــدْغِ إبْـرَاهِـيـمَ يَـوْمَ الكِفاحْ
ولا تَـــمـــازِحْ إِنْ رَأَيْـــتَ أُبْـنَـهُ
شـاكِـى صُـــدْغِ لا يُجِيبُ الـمِـزَاحْ[3]
فـقـال لـي: إِنْ كَـــانَ كَـفِّـى مَعِى
مَـادمُـمْـتُ حَـيَـا لا أَهَـــابُ الـسِّـلَاحْ

(1) يريد بالفتى الصفاع: محمد نشأت بك. ويريد بالكاتب ابن الكاتبين محمد المويلحى بك وأباه.
(2) يريد بالحان: حانة دركوس بالقاهرة، والمعنى أن المغلوب في هذه الحادثة قد صار غالبًا بصلابة وجهه على احتمال اللطمة.
(3) لا يخفى ما في قوله: «شاكى صدغ» من التهكم يجعله الصدغ سلاحًا يقال فيه: «فلان شاكى الصدغ» كما يقال: «شاكى السلاح» أي حادّه.

– 3 –

يـا صَـرِيـعَ الأَكُـفِّ صُـدْغُـكَ أَمْـسَى
خَلَقًا مِـثْـلَ طَيْلَسَانِ ابْـنِ حَـرْبِ[1]
أَنْـتَ فـي الـحـانِ فـي أمـانٍ وَسِـلْـم
وَهْـوَ فِي مَعْمَعَانِ حَـرْبٍ وَضَـرْبِ[2]

[4]

قـفَـاكَ مُـحَـمَّـدُ نِـعْـمَ الـسَّـلاَح
إِذَا الـتَـفَّ بـالْـعَـسْـكَـرِ الـعَـسْـكَـرُ
وَصُـدْغُـكَ إِنْ نَـقَـرَ الـنَـاقِـرُون
عـلَـيْـهِ يَـرِنُّ وَلَا يُـكْـسَـرُ

– 5 – بعنوان النصيحة

يابْنَ الأُلَى رَسَخَتْ أَحْلَامُهُمْ وَرَسَتْ
إِذِ الأُكُـفُّ مَـجـانِـيـنٌ مَـهَـاوِيـسُ[3]
لا تَـدْخُـل الـحـانَ والـصُّـفَـاعُ ثـائِـرَةٌ
حتى تُـقَـامَ حَـوَالَـيْـكَ المتاريس
وقُـلْ لـصُـدْغِـكَ يَسْتَقْبِلْ وُفُـودَهُـمُ
بـالـبـابِ: إِنّـهـمُ قَـوْمٌ مَـنـاحِـيـسُ

(1) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام): كساء مدور أخضر لا أسفل، لحمته، وقيل سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء، وأصله من لباس العجم. وطيلسان ابن حرب يضرب به المثل في القدم والبلى، وسبب ذلك أن ابن الرومي الشاعر المعروف كان قد مدح ابن حرب فخلع عليه طيلسانًا باليًا فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صيره مثلا لكل ما بلى ورث، فمن ذلك قوله:

يـابـن حـرب كسوتنى طيلسانًا رق مـن صحبة الـزمـان وصـدى
طـال تـرداده إلـى الـرفـو حتى لـو بـعـثـنـاه وحـده لـتـهـدى

(2) وهو، أي صدغه. والمعمعان: الحر الشديد. يشير بها البيت إلى أنه هو وصدغه في شغل عن صاحبه.

(3) الأحلام: العقول.

- 6 و 7 و 8 و 9 -

نشرت هذه القطع الأربع بعنوان المناجاة

وهى محاورة بين أب المويلحى إبراهيم بك وابنه محمد بك

(الأب):

لِـــــى خِـــــــلالٌ مُـــخِـــلَّـــةٌ
بِـــالـــمـــروءاتِ وَالـــوَفـــا[1]
رَبِّ هَـــبْ لـــى نَـــقـــيِـــضَ ما
بـــانَ مِـــنـــهـــا ومـــا اخْـــتَـــفَـــى
يـــاعِـــمـــادِى وعُـــدَّتِـــى
يـــومَ لَا يَـــنْـــفَـــعُ الـــقَـــفـــا[2]

(الابن):

إلـــهِـــىَ إِنِّـــى مِـــنْ ذُنُـــوبِـــىَ تـــائِـــبُ
ومِـــنْ فِعْلىَ المَمْقُوتِ يـــارَبِّ خائفُ
فلا تجْعَل اللَّهُمّ صُدْغى صَحيفَتى
إذا نُـشِـرَتْ يـومَ الحِسابِ الصّحائِفُ

(الأب):

هُـــنـــا وهُـــنـــاك لـــى أَثـــر حَـــمِـــيـــدٌ
يُـــشَـــرِّفُـــنـــى إذا أنـــا مـــا انْـــتَـــمَـــيْـــتُ[3]
نَـــهَـــشْـــتُ الـــنـــاسَ أَعْـــراضَـــا ومَـــالا
ونِـــلْـــتُ مـــن الـــبَـــرِيّـــةِ مـــا اشْـــتَـــهَـــيْـــتُ
وكـــم صَـــفَـــعَ الـــجَـــرِىءُ أَدِيـــمَ وَجْهِى
فما خِـفْـتُ الْـهَـوانَ ومـا ارْعَـوَيْـتُ[4]

---

(1) الخلال: الخصال.

(2) لا يخفى ما في قوله «يوم لا ينفع القفا» من التهكم اللاذع والدعابة البالغة في الطرافة.

(3) هنا، أي مصر. وهناك، أي في الآستانة. وانتميت: انتسبت. ويشير بهذا البيت والبيت الثالث من هذه المقطوعة إلى إهانة وقعت في الآستانة لابراهيم المويلحى بك تشبه هذه الإهانة التى وقعت لابنه محمد.

(4) أديم الوجه: ظاهر جلدته. وارعويت: انتهيت وارتدعت.

أَأَتْـــرُكُ لَـــذّةَ الـفِـتَـنِ اعْـتِـبـاطَـا
وَأَهْـجُـرُهـا وفـي المصباح زَيْـتُ؟[1]

(الأب»

أَنَـــا فَـــرْعُ الأُلَـــى رَفَـعُـوا بـنـاءَ
يُـرَى للنَّسْرِ فَـوْقَ ذُراهُ بَـيْـتُ[2]
أَرِيـــشُ يَـرَاعَـتِـى بِـمِـدَادِ خُـبْـثٍ
وأَنَّـــى لاحَ هَـــدَفٌ رَمَـيْـتُ[3]
وإنْ أَحَـــدٌ تَـعَـرَّضَ لـى بـسُـوءٍ
وَقَـفْـتُ وَرَاءَ صُدْغى وَاخْـتَـفَـيْـتُ[4]

– 10 – على لسان[5] المويلحيّ مفتخرا

أَنَـــا واللّـه أَصْـلُـحُ لِـلْـمَـخَـازِى
وَأَفْـعَـلُ فَـعـلَـتِـى وَأَتِـيـهُ تِيهَا
أُمَـكِّـنُ صـافـعِـى مِـنْ لَـطْـمِ خَـدِّى
وأُعْـطِـى ذِمَّـتِـى مَـنْ يَـشْـتَـرِيـهـا

(1) «في المصباح زيت»: كناية عن الحياة.
(2) «يرى للنسر».. إلخ كناية عن العلوّ والرفعة. وذراه: أعاليه.
(3) راش السهم يريشه: ألزق به الريش ليكون أسرع في مضيه نحو الهدف، شبّه به قلمه.
(4) يشير بقوله: «وقفت وراء صدغي» الخ: إلى أن صدغه كالحصن له يتحمّل عنه لطم اللاطمين ولا يصيبه منه شيء كأن صدغه ليس منه؛ وهو نهاية في التهكم والسخرية.
(5) نشر في المؤيد هذان البيتان باسم (ولاّدة) وذلك لأن الشاعر عارض بهما بيتى ولاّدة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصرى صاحبة الوزير أبي الوليد بن زيدون الشاعر الأندلسيّ المعروف، وهما:

أنـا واللـه أصلـح للمعالي ... وأمشـى مشيتى وأيتـه تيها
أمكـن عـاشقـى مـن لـثم خـدّي ... وأعـطـى قـبلـتى مـن يشتهيها

- 11 و 12 - الاسترحام

قال هاتين المقطوعتين: أولاهما على لسان المويلحيّ يسترحم صاحب المؤيّد مما ينشره في صحيفته تعريضا بحادث الكفّ، والثانية على لسان صاحب المؤيّد.

أَيُّـهَـا الـمَـوْلَـى الَّـذِي عَـوَّدَنَـا
حِـكْـمَـةَ الـرِّفْـقِ بـحـالِ البائِسِينْ
إنَ شـهـرَ الـصِّـوْمِ قـد حَـلَّ فَـفُـزْ
فـيـهِ بـالأجْـرِ وشُـكْـرِ الـشَّـاكِـرِيـنْ
قـد كـفـانـى كـلُّ مـا قـد حَـلَّ بى
فـاعْـفُ عـنِّـى يـا أَبَـرَّ الـقـادِرِيـنْ

صاحب المؤيّد يجيبه

ايْـنَ إبـراهـيـمَ طِـبْ إنّـا وَإنْ
قـد أذَقْـنَـاكَ جَـزَاءَ الـظـالـمِـيـنْ
لَـكِـرَامٌ، إنْ غَـضِـبْـنَـا رَدَّنَـا
عـن أذَى مِـثْـلِـكَ طَـبْـعُ الكاظِمِينْ
إنّ هـذا الـشَّـهْـرَ شَـهْـرٌ يجتَنى
فـيـهِ أمْـثـالُـكَ صَـفْـحَ الصافحين
قـد مَـحَـوْنَـا آيَـةَ الـكـفِّ وَهَـا
نَـحْـنُ نَـتْـلـو الـيـومَ آيَ الـرَّحِـمِـيـنْ
فـالْـزَمِ الْـعُـرْفَ تَـعِـشْ فـي ظِلْنَا
فـي عِـدَادِ الكاتِبِين الـمُـكْـرَمِـيـنْ[1]
وَاكْـتُـبِ الْـخَـيْـرَ وَقُـلْـهُ تُـرْضِـنَـا
واسْـتَـقِـمْ تُـرْضِ إلـهَ الـعَـالَـمِـيـنْ

(1) العرف: المعروف.

على لسان الشيخ سليمان العبد

وكان من كبار علماء الأزهر وشيخ الشافعية به؛ ويشير الشاعر في هذه الأبيات إلى أن الشيخ لا يبالى بتعاقب النظار على النظارات، ولا باحتلال الجيوش الأجنبية للبلاد، ما دام هو في حدود عمله آمنا مطمئنا.

أَمْطِرِي يا سَماءُ في كلِّ يومِ
ما تشاءُ الأقدارُ مِن نُظَّارِ[1]
واقْذِفي يا بحارُ كلَّ جُيوشِ الْـ
ـأَرْضِ في مِصْرَ لاحتِلال الدِّيارِ
أَنا ما زِلتُ بين زَيْدٍ وعَمْرِو
وَشُيُوخِ أَكابرِ أَحْرارِ[2]
صَنْعَتي العِلْمُ وَالقَريضُ لِباسي
وَالقَوافي إذا التَحَفْتُ دِثاري[3]
أَنا إنْ طَالَ في العِبادَةِ لَيْلي
قَصَّرَتْ حَلْقَةُ الدُّرُوسِ نَهاري
لو تُفيدُ العُلُومُ وَالشِّعْرُ أَصْبَحْـ
ـتُ غَنِيًا بالعِلْمِ وَالأشعارِ
هِمَّتي هِمَّةُ الشُّيُوخِ وَنَفْسي
نَفْسُ عالٍ لِلمَقامِ وَالمِقْدَارِ

(1) النُّظَّار في الزمن السابق، هم الوزراء الآن.
(2) يشير بقوله: «زيد وعمرو» إلى ما يدرس في الأزهر من علم النحو. ومدار أمثلة النحويين على هذين الاسمين غالبا.
(3) القريض: الشعر. والدثار: الغطاء.

الإمام البوصيري

صاحب البردة في مدح الرسول ﷺ المتوفى (سنة 695هـ - 1295م):

تدلنا فكاهته على ما كان يعانيه الأدباء في عصره من فاقة وإهمال، وقلة اكثرات، لأن مواردهم ضيقة، والملوك القائمين بالأمر آنذاك ليسوا مِمَّن يطربون للأدب، ويشجعون الأدباء!

فهذا الإمام البوصيري يصف بؤسه وصفا ساخرا متهكما، لكنه قوى الدلالة على شطف عيشه، وعيش أولاده، فيقول:

يـأيـهـا الـمـولـى الـوزيـر الـذي ... أيـــامُـــه طـائـعـة أمـــرَ÷

إلـيـك تـشـكـو حـالَـنـا إنـنـا ... حـاشـاك مـن قـوم أولـى عُـسْـرهْ

فـي قِـلّـةٍ نـحـن ولـكـن لنا ... عـائـلـةً فـي غـايـة الـكـثـرهْ

صـامـوا مـع الـنـاس ولكنهم ... كـانـوا لـمـن أبـصـرهـم عِـبْـرَهْ

إن شـربـوا فـالـبـئـر زيـرّلـهـم ... مـا بـرحـت، والـشّـربـة الـجَـرّهْ

لـهـم مـن الـخُـبـيِّـزِ مسلوقةٌ ... فـي كـل يـوم تشبه الـنُّـشْـرَه[1]

أقـول مهما اجتمعوا حولها ... تـنـزهـوا فـي الـمـاء والـخُـضـره

وأقـبـل الـعـيـد ومـا عندهم ... قـمـح، ولا خـبـز، ولا فُـطْـرَه

فـأرحـمـهـم إن عـايـنـوا كعكةَ ... فـي كـف طـفـلٍ أو راوا تمرهْ

❊ ❊ ❊ ❊

(1) رقيقة يعالج بها المريض.

سيبويه المصرى

تمنى الكثيرون أن يعايشوا هذه الشخصية الطريفة الغريبة التى تحمل اسم إمام النحو.

ولد في مصر سنة 482هـ وعاش أربعا وسبعين سنة في عهد الدولة لإخشيدية قبل بناء القاهرة وقبل مجيء الفاطميين، كان اسمه يدوى في الفسطاط والقطائع وما بينهما!

إنه شخصية ترهب، وتحب، ويُضحك منها، ويعتبر بهاَ!

وصفه الدكتور أحمد أمين، فقال: «إن شئت علما فعالم!

أو شعرا فشاعر!

أو أدبا فأديب!

أو وعظا فواعظ!

أو فكاهة ففكِه!

أو نقدا مقذعا فناقد!

أو جنونا فمجنون!»

إنه شخصية متعددة الجوانب..

وبهممنا هنا الجانب الفكاهى..

كانت نوادره كثيرة تتلقفها الألسنة، ويتناقلها الرواة، فتشيع في الناس، وتكون سلوتهم، ومصار ضحكهم!!

وقديما عرف المصريون بالفكاهة الحُلوة، والنادرة اللطيفة، كما عرفوا بالإعجاب بها، والجد في طلبها، والإمعان في الضحك منها!

ولهذا ألف ابن زولاق المصرى كتابه اللطيف في نوادر سيبويه المصرى.

وإليك طائفة من نوادره:

هو والمحتسب

ذات يوم لقى المحتسب[1]، وبين يديه أجراسه فقال:

ما هذه الأجراس يا أنجاس؟!

واللّه ما تَمَّ حق أقمتوه..

ولا سِعْرٌ أصلحتموه..

ولا جانٍ أدبتموه..

ولا ذو حَسَب وقرتموه..

وما هى إلا أجراس تُسْمَع.. لباطل يوضَع، وأقفاءَ تُصفع، وبراطيل[2] تقطع!

لا حفظ اللّه من جعلكٍ محتسبا.

ولا رحم لك ولا له أمّاً ولا أبا!!

هو وأحد شيوخه

هجا بعض الناس شيخا من شيوخه فقال سيبويه ردا عليه:

مـا يـضـر الـبـحـرَ أمـسـى زاخـرًا

أن رَمَـى فـيـه صـبـيٌّ بـحـجـرا

هو والمتنبى

سمع سيبويه المصرى بيت المتنبى:

ومـن نكد الدنيا على الـحُـرّ أن يرى

عـدوّاً لـه مـا مـن صـداقـتـه بُـدُّ

فقال:

هذا كلام فاسد لأن الصداقة ضد العداوة ولو قال:

(1) هو الذي يتولى أمر «الحِسْبة» وهى منصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الأسعار، ورعاية الآداب.

(2) البراطيل: جمع برطيل وهو الرشوة.

ومـن نكد الدنيا على الـحُـرّ أن يرى

عـــــدوّا لـــه مـــا مـــن مـــداراتـــه بُـــدُّ

لكان أحسن وأجود!!

وبلغ المتنبى هذا النقد، فذهب إلى سيبويه، وسمعه منه، فتبسم له وانصرف، فصاح سيبويه:

«انْبَكَم[1]!!»

ومع هذا فلما سمع قول المتنبى:

مـا كنتُ آمـلُ قبل نَـعْـشِـك أن أرى

رَضْـــوى على أيـــدى الأنـــام تسيرُ!!

صاح سيبويه:

«لبيك لبيك».. مما يدل على ذوق حسن، ونقد صحيح، وتقدير للأدب!

حق لقد كان سيبويه طُرفة مصر علما وأدبا، وفكاهة، وجنونا.

فبحق قال «جوهر الصقلى» لما دخل مصر، وذكرت له أخباره:

«لو أدركتُه لأهديته إلى مولانا المعز في جملة الهدايا»

وبحق لما سمع به «فاتك» ممدوح المتنبى قال:

«ذكرونى به لعلى أستدعيه فإنه نزهة

❊ ❊ ❊ ❊

(1) صار أبكم، أي غير قادر على الرد.

طه محمد حراز

علم ن أعلام الظَّرف المعاصرين.. أزهرى النشأة.. كتب الفكاهة وهو لم يزل طالبا بالمعاهد الأزهرية.

تبدو في كتاباته الشعرية والنثرية خفةُ الروح، وكل من عرف «مجلة البعكوكة» يعرف طه حراز!

وإليك نماذج من مداعباته الثرية

[1] هو ومدير الجمعية الاستهلايكة

- ألو.. مدير الجمعية الاستهلاكية؟
- أيوه.. أي خدمة؟!
- تلزم فرخة
- تلزم أدبك.. هانجيب لك فراه منين؟!
- لازم يكونوا قرايبك خدوها؟!
- كداب.. قرايبى بيوتهم مليانة فراخ!
- هل صحيح أن الفراخ اللى بتدخل الجمعية بتاعتك مش للبيع؟! ويتخرج بعد لحظة؟!
- تخرج بعد لحظة؟! أمال كنا بندخلها الجمعية ليه؟
- بتدخلوها تمضى انصراف!

[2] هو وناظر محطة

- آلو.. السكة الحديد؟
- أيوه يا فندم..
- الإشاعة دى
- الإشاعة دى صحيح؟!

– خير!

– آل إيه.. اكسبريس اسكندرية وصل في ميعاده!!

– عيب يا حضرة.. حاقفل السكة في وشك!

– قبل ما تقفلها علمت أن الناس وقفوا ينتظرونه ساعة في المحطة..

وأخيرا وصل!

– الحمد للّه.. وصل بالسلامة.

– تعرف ازاى وصل؟

– بيقولوا جه في المجَرِى!!

[3] هو ومصلحة الأرصاد الجوية

– آلو .. مصلحة الأرصاد؟

– أيوه..

– تحية طيبة معتدلة صباحا تنشط بعد الظهر!

– نعم يا أستاذ .. تلزم خدمة؟!

– أيوه لو تسمح من فضلك لما تعرفوا أن يوم من الأيام هيكون فيه مطر ورعد وبرق تدونى خبر!

– غريبة.. ليه يا أستاذ؟!

– علشان أسافر في اليوم ده!

– وليه تسافر في يوم يكون بالشكل ده؟

– لأنه ضرورى ها يطلع صيفى!

وهكذا كانت مداعباته هادفة في مرح وخفة روح!

ولم تقتصر على هذا اللون بل راح ينافس «بيرم التونسى» بشعر الحلمنتيشى.

وإليك نموذجا من هذا الشعر الطريف لطه حراز.. الذي تتجلى فيه براعته، ومقدرته الفنية على إضحاك السامعين والقارئين وإمتاعهم بهذا اللون الجديد الفريد!

حراز والشعر الحلمنتيشى

إلى جانب «بيرم التونسى» كان للأستاذ طه حراز جولات وصولات في مجال «الشعر الحلمنتيشى».

وإليك نموذجا من الحوار الذي أجراه على ألسنة الشعراء في اجتماعهم الطارئ في قهوة (مستفعلن).

وقد أجرى الحوار على ألسنة زملائه من الشعراء، ومنهم: العوضى الوكيل، وأحمد مخمير، وفاروق شوشة، وطاهر أبو فاشا، ومعهم سكرتير الجلسة، و «جرسون» القهوة. وسوف تلمس من خلال هذا الحوار براعة حراز ومقدرته الفنية في إضحاك الجميع وإمتاعهم.

وإليك مادار في قهوة (مستفعلن):

سكرتير الجلسة:

مـعـفـاعـيـلـيـن.. مـفـاعـيـلـن

مـعـفـاعـيـلـن مـفـاعـلانـا

بـيـانٌ فـاسـمـعـوامِـنّـى

فـتـحـنـا الـجـلـسـة الآنـا!

العوضى الوكيل:

سـلامُ الـلّـه يـا شـعـراء مـصـر!

الجميع

سـلام الـلّـه يـا عـوضـى الـوكـيـل

العوضى الوكيل:

هـدوءًا إنـنـى عِـنـدى كـلام

وعـنـدى ضِـمْـنـه أمـرٌ خطير

جرسون القهوة:

وعِـنـدى سـحـلـبٌ حـلـو مـذَاقـا

ولـلـشـعـراء عـنـدى جَـنـزبـيـلُ

العوضى الوكيل (غاضبا).

بـهـيـمٌ أنـــت لا تـقـطـعْ كـلامـى
ألا تـــدرى الـخـطـورةَ يـا هَـبـيـلُ
أعـــود إلـــى كـــلامـــى يـــا رفـاقـى
عـلـى ألا يـعـــودَ لـنـا دَخـيـلُ
أعـــود إلـــى كـــلامـــى يـــا رفـاقـى
عـلـى ألا يـعـــودَ لـنـا دَخـيـلُ
دعـوتـكـمُـو لـلـنـظـر فـي قـضـايـا
ولـسـت رئـيـسَـكـم فـأنـا الـزمـيـلُ

أحمد مخيمر:

فـشَـرْتَ - وربِّ أحـمـدَ- وأنـت فينا
رئـيـسٌ رغـــم أنـفِـك يـا أصـيـلُ

العوضى:

أتـمـد حـنـى وتـشـتـم فـي ثـوانٍ
لـسـانُـك يـا مُـخَـيْـمَـرنـا طَـويـلُ

أبو فاشا:

طـويـلٌ؟ لا طـويـلَ سـوى شـهـابٍ
فـغُـضَ الـطـرف إنـك مستطيلُ

طه حراز:

عـلـيـكـم لـعـنـة الـمـولـى تـعـالـى
إذا ظـلَـت شـتـائـمـكُـم تـسـيـلُ
إذا لـم تَـعـرضـوا الـمـوضـوعَ فـورًا
فـإنـى يـا بَـــلاوى مـسـتـقـيـلُ

فاروق شوشه:

سَلُو كئوس الطِّلا هل لامستْ فَاهَا
إنـــى أؤيـــد مـــا قـــد قـالـه (طـــهِ)

فلتدخلوا في صميم الأمـرِ ويحْكَموا
هـاتـوا المشاكلَ، وللنظرْ قضاياها

جرسون القهوة:

مـن الـذي منكمو نـادى وطالبنى
بـقـهـوةِ سـادةِ والـبُـنّ بَـرّاهَـأ

العوضى ساخطا:

اخرس-فديتك- واخـرج من جماعتنا
خـذ الصنية واغـرُبْ أنـت ويّـاهـا

مخيمر:

مـضـى الـجـرسـون يـا عـوضـى
ولـم يُـحـضـر لـنـا الـسـادة
ولـم نـأخـذ سـيـجـارتـنـا
مـن الـجـرسـون كـالـعـاده!!

شوشه:

إذا الـشـعـبُ يـومـا أراد الـحـيـاه
عـلـيـه الـكـفـاحُ وبـعـدُ الـنـظـر!
ونـحـن الـذيـن نـثـيـر الـكُـمـاه
بـشـعـر الـحـمـاسِـة يَـرْمـى الـشـرر
تـبـرعـتُ لـلـربِ طـولَ الـحـيـاة
بـشـعـرِ قـويِّ .. وشـعـرِى دُرَهْ

حراز:

وشـعـرى وشـعـرُك يـا بـنَ الـحـلال
أيـنـقـذ بـيـداءنـا يـا عـمـر؟!
دعـونـى أنـاضـل وحـدى إذا ما
رفـضـتـم مـجـيـئَـا مـعـى يـا غَـجَـر!

العوضى:

نناضل في الصيف أم في الشتاء
نضال الشتاء دواما خطر

مخيمر:
نناضل في الصيف يا أصدقاء
بِنَشْرِ متينِ وشعرِ حَجَرْ

شوشه:
الحربُ في الصيف؟ كلا
واستحملوني شويه
في الصيف إن شاء ربى
أكون في الإسكندريه

أبو فاشا:
يا عم شوشه قُلْ لي
هل هذه وطنية؟
بردُ الشتاء فظيعٌ
والصيفُ شمسٌ قويه
متى نناضل يعنى
يا جاهلين القضيهْ
ما رأى (طه) تكلم
يا جالسا كالرَّزيه!

حراز:
البردُ هدّ كِياني
والجسمُ منه تحَطّمْ
أردت شكواه لكن
ما لى فم يتكلّمْ
يارب خذني شِتاءَ
في بعثةٍ لجهنم

مخيمر:

تـــعـــنـــى تـــنـــاضـــل صـيـفـا
أنـــــت الـــهـــمـــام الـمـعـظـم
وافـــقـــتَ رأيـــــى فـشـكـرا
عـــلـــى الـــكـــلام الـمـنـظـم

شوشه:

والـــــحـــــرّ يـــا عـــمّ طـــه؟
نـــطـــيـــقُـــه؟ قـــــل. تـكـلـم

حراز:

عـنـدى اقـتـراحٌ أقـولـهُ عالماشى
«قـولـوا لعين الشمس ما تحماشى»

العوضى الوكيل: موافقون.

الجميع: موافقون.

سكرتير الجلسة:

مـفـاعـيـلـن مـفـاعِـيـلـن
مـفـاعـيـلـن مـفـاعـلانـا
بـــيـــان فـــاســـمـــعـــوا مـنـى
قـفـلـنـا الـجـلـسـة الآنـــا!!

وهكذا كان طه حراز ينشر البهجة والسرور فيمن حوله!

❊ ❊ ❊ ❊

عباس محمود العقاد

شاعر مجدد له عشرة دواوين!

وهو ناقد مبدع، وصحافى مصرى.

اشترك مع المازنى في نقد أنصار الشعر القديم..

وقد أسهم في إبراز عبقرية كثير من أعلام الإسلام.

وكان العقاد بطبيعته مفاكها مداعبا، وخاصة بين الخاصة من إخوانه، فقد بعث إليه صاحبه الشاعر: محمد طاهر الجبلاوى من مدينة الفيوم يخبره فيه بفقد نقوده، وإذا بالرد من العقاد يحمل «شيكا» ومعه هذه الأبيات:

إن يكن ضاع منك ما ضاع فاعلم
أن كفيك غالتا كفيكا
فتقبل شكياتنا ثم حاذر
أن تروغ الشيكات من كفيكا
ثم هرول يا خيثعور[1] من الفيوم
جريا ولوْ على قدميكا

يرحم اللّه الأستاذ العقاد، كان كاتبا موسوعيا محيطا، شارك مشاركة قوية في فنون المعرفة الإنسانية، وظفر بمقام «الأستاذية» بمعناها الصحيح.

إنه مفكر.. أديب.. فنان شاعر..

وكثيرا ما كان يتبادل النكات في ندوته الأسبوعية التى كان موعدها يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين!

والكل يعرف للعقاد روائع من نوادره الفكاهية منطوقة ومنظومة وبلغ من إعجابه بالنوادر أن سجل مختارات من حكايات جحا منها:

(1) الخيثعور: من معانيه: كل ما لا يستقر على حال، والذئب، والداهية.

سئل حجا: أيهما أفضل، المسير خلف الجنازة أم أمامنها؟

فأجاب: لا تكن في النعش، وسر حيث تشاء.

سأله سائل: ما طالع نجمك؟

قال: ولدت في برج التيس!

فقال سائله: لا يوجد في السماء برج التيس، ولعلك تقصد الجدى؟!

فأجاب حجا: أفمن مولدى إلى اليوم لم يصبح الجدى تيسا؟!

❊ ❊ ❊ ❊

الشيخ عبد العزيز البشرى

أبو الشيخ سليم البشرى الذي تولى مشيخة الأزهر مرتين!

أما هو فقد درس في الأزهر، ثم تولى القضاء إلى أن عُين مراقبًا إداريًا للمجمع اللغوى!

وهو ذلك الأديب المصرى الذي يشار إليه بالبنان! بدأ حياته الأدبية بالشعر، ثم عدل عنه إلى النثر فكان له فيه أسلوب شائق جمع فيه الروح المرح إلى سلامة الذوق، وجمال النقد، وبراعة التناول، وحضور البديهة، فكان كما قال الدكتور طه حسين في مقدمة الجزء الثانى من المختار:

كل المثقفين قد وجدوا عند البشرى منذ أوائل هذا القرن ما يُرضى حاجتَهم إلى الأدب العالى والفن الممتاز، وكلهم يدين له بساعات حُلوة قضاها مستمتعًا بلذة موسيقية راءعة كان يشترك فيها سمعه وقلبه وعقله، وأيسر ما يجب للبشرى عند هؤلاء أن يعترفوا له بالفضل.

فن الشيخ عند العزيز البشرى

كان البشرى بين ظرفاء عصره واسطة العقد!!

وكان. كاسمه. دائم البشر حتى في أحلك الأوقات، وأظلم الساعات!

لا تفارق الابتسامة شفتيه، ولا تبرح الدُعابة ثغره، بل كانت العلّة تلم به، وتجعله بين الحياة والموت، غير أن الدُّعابة لا تتركه، والمُلحة العذبة لا تغيب عن محضره!

كما يؤثر عن البشرى كثير من النوادر والطرائف منذ أن كان طالبًا يطلب العلم في الأزهر حتى انتقل إلى جوار ربه، وله أسلوبه المتميز في تحليل الشخصيات كما في مراياه، والمختار، وإليك نماذج منها:

البشرى والفريق إبراهيم فتحى

من طريف ما يروى أن «البشرى» وهو قاض شرعى اجتمع في مجلس مع الفريق إبراهيم فتحى وكان وزيرًا للحربية في تلك الآونة!

فأراد الفريق أن يمزح مع البشرى القاضى فقال له: هل في الحديث الشريف: «قاضٍ في الجنة، وقاضيان في النار؟!»

فأجاب البشرى على الفور:

نعم وفي القرآن الكريم:

﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

البشرى في مأدبة!

دعى البشرى إلى مائدة حافلة في ضيعة وجيه من الأسرة الأباظية بالشرقية ومعه رفاق له.

وقام ليتوضأ وترك جبته السوداء معلقة، فلما عاد وجد من رسم على جبته بالطباشير وجه حمار!

فنظر إليهم البشرى دون أن يفقد أعصابه وقال والابتسامة لا تفارق شفتيه: مين فيكم اللى بسلامته مسح وشه في الجبّة؟!

فضحك الحاضرون من كل قلوبهم.

خذ عمتى!

ولقيه ذات يوم رجل معه خطاب، وطلب منه أن يقرأه له.

ونظر البشرى في الخطاب فوجد خطَّهُ رديئًا لا يساعد على القراءة!

فقال للرجل: إننى لا أستطيع قراءته!

فنظر إليه الرجل متعجبًا وقال: كيف تلبس عمامة، ولا تستطيع قراءة خطاب؟!

فوضع البشرى عمامته فوق رأس الرجل، وأعطاه الخطاب وقال له: يالله ورِّينى سطارتك!

البشر وحافظ

كان حافظ إبراهيم وصديقه عبد العزيز البشرى سائرين ذات يوم على النيل فذكروا قصيدة لشوقى مطلعها:

مـــــال واحـــتـــجـــب وادَعَـــــــى الـغـضـب
لـــيـــت هـــاجـــرى يـــشـــرح الـســبـب
عَـــتُـــبُـــه رضـــىّ لـــيـــتـــه عـــتَـــبْ

فأخذا ينظمان شعرًا فكاهيًا من هذا الوزن، أحدهما ينظم شطرًا، والآخر ينظم الشطر الثاني حتى أتما نظم ستين بيتًا مطلعها:

شـــــال وانـــخـــبـــط وادّعـــــــى الـعـبـط
لـــيـــت هـــاجـــرى يـــبـــلَـــعُ الـــزلـــط
كـــلـــمـــا مـــشـــى خُـــطـــوةُ ســقــط
عـــتـــبـــهُ شـــجـــىَ حـــبـــبـــه غـــلـــط
إن أمـــــــــرَه فـــي الـــهـــوى شـطـط

إلى آخر هذه الأبيات الفكاهية!

وقد بلغت شوقى هذه المداعبة، فضحك لها كثيرًا ودعا صديقيه إلى الغداء، ليأنسَ بحديثهما الظريف، فقد كان البشرى وحافظ في أوقات فراغهما من أبلغ ظرفاء مصر.

وكان كل منهما يقدر شوقى كل التقدير، وكان شوقى يميل إلى المداعبة والظراف، كما رأينا في الحديث عن ظرفه وطرائفه!

وهكذا كان الشيخ عبد العزيز البشرى رائدًا في فن الظرف!

في الخدمة!

يحكى الشيخ عبد العزيز هذه الطرفة فيقول:

لقينى اليوم في الترام لحّاد (تربى) مشهور أعرفه، فسلم وسلمت عليه، وأقبلت عليه أحييه بما جرت به عادة الناس، وأسأله عن شأنه، فقال لى يرد التحية في لهجة تشِفُّ عن الصدق والإخلاص: (إحنا في الخدمة) فقلت له: الله يحفظك!

فأجاب من فوره. كذلك في إخلاص ولهفة (ربنا لا يحرمنا منك).

وبعد: فما أحسب أن دعوة في هذه الدنيا محققة الإجابة قدر هذه الدعوة! (فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يا خسارة!

كتب تحت هذا العنوان:

«لي صديق شابّ أحرز إحدى الشهادات العليا من بضع سنوات، وظل يسعى إلى «وظيفة» حتى اهتدى من نحو شهر إلى «وظيفة» لا يدركها إلا إذا جاز «امتحان مسابقة»، فأكبّ المسكين على الكتب، وما بقى عنده من «مذكرات» أساتذته!

وراح يجهد نفسه في مراجعة ما تلقاه من فنون العلم، ودام على هذا قَرابة شهر! وكلما قابلته وسألته في شأنه أدخل الطمأنينة على نفسى بما راجع من مسائل العلم، وما استذكر وما حصل، حتى أضحى أمله في السبق إلى «الوظيفة» معقودًا، والحمد لله!

وقد لقينى أمس وهو مغيظ محنق، يشكو الزمان، ويلوم صرف الدهر! لماذا؟ لأنه وفق إلى «وظيفة» أخرى سعين فيها بغير امتحان؛ ففيم كان جهده وتعبه في مراجعة الكتب، واستظهار ما عُمِّى عليه من مسائل العلم، وراح يلعن الظروف التى لم تسُقْ إليه هذه «الوظيفة» الجديدة قبل أن يصنع ما صنع!

فأجبته من فورى : «يا خسارة!» فأومأ برأسه يؤممن على توجعى لحاله في لوعة وحسرة!، وانطلق مشيعا بضراعتى إلى الله أن يعوِّض عليه ولو بجهل ما علم، ونسيان ما استذكر!

والله على كل شيء قدير!!!».

لقد اجتمعت لدى البشرى ميزة الفكاهه المكتوبة، والمنطوقة، أما النكتة المباشرة فقد تبرأ منها، وقال عنها: إنها لا تدل على إعمال الفكر، أو ذكاء القلب، أو عمق النظرة، لكنها تعتمد على سرعة الخاطر.

وقد أورد فكاهاته المكتوبة في كتبه: «قطوف» و «المختار» و «في المرآة».

أما فكاهاته المنطوقة، فلم يكن البشرى يستقر بمكان بل كان سريع التنقل حتى قال عنه طه حسين:

«كان أقل الناس حبًا للاستقرار، وميلًا إلى الإمعان في طريق واحد، فُطر على حب التنقل المادى والمعنوى معًا».

بس مش عاوز أتعبكم

كان البشرى في عصر أحد الأيام يقطع شارع شريف، وكان الزحام شديدًا، وكانت السيارات تسير متصلة متراصة، فتوقف الشيخ قليلًا.. وكانت تقف إلى جواره عربة إسعاف، فقال سائقها للبشرى حين وجده ينظر حوله في خوف:

ما تعد يا سيدنا الشيخ!

فقال له الشيخ مبتسمًا: بس مش عاوز أتعبكم!!

هو وأخته والفراخ!

كان البشرى لا يفارق مجلسه مع رفاقه إلا في منتصف الليل. وذات ليلة تأخر عن موعده ولم يشأ أن يذهب إلى منزله بالزيتون، وفضل أن يبيت عند شقيقته في السيدة زينب.

وكان قد اشترى قفص فراخ يحتوى على خمس عشرة دجاج. وعندما استعد الشيخ للذهاب إلى أخته، وضعوا له القفص بجوار سائق العربة الذي اعتاد توصيل الشيخ إلى منزله، ولكن في هذه المرة طلب منه التوجه إلى منزل شقيقته.

وعندما وصل إلى منزل أخته أدخل السائق قفص الفراخ إلى منزلها، واحتفظت الأخت بالفراخ في السطوح واعتنت بها وبأكلها وبنظافتها كل العناية.

وبعد شهرين من هذه الزيارة توجه البشرى مرة أخرى إلى منزل أخته، وبات عندها، وفي الصباح تنسم الشيخ روائح بيض مقلى بالسمن البلدى، وسأل وهو يتناول إفطاره عن كل هذا الخير حين رأى بيضًا كثيرًا أمامهم، فقالت: فضلة ةخيرك الفراخ فراخك.. والبيض منهم..

وإذا كنت عاوز الفراخ أجمعها لك في قفصها.. أهو لسه موجود بشوكه! بس تدفع مصاريف أكلهم.. وهى حسبة ثلاثة جنيهات!

فصرخ الشيخ من الغيظ وهو يقول:

أبقى يا عالم أدفع قسط بناتى في «الساكركير» (مدرسة أجنبية) ثلاثة جنيهات في الشهر، وأدفع للفراخ زيها، ليه رايحين يكاكو بالفرنساوى؟!

البشرى وماسح الأحذية

جلس الشيخ عبد العزيز البشرى يوما على مقهى يمسح حذاءه، فلاحظ أن ماسح الأحذية حريصًا على أن يأخذ منه علبة الورنيش طبقة خفيفة جدًا «من باب التوفير» ليضعها على الحذاء، فنظر البشرى إلى أصدقائه الجالسين معه مشيرا لماسح الأحذية قائلا:

الواد مش بيأخذ من علبة الورنيش ويمسح الجزمة، دا بياخد من الجزمة ويحط في علبة الورنيش!!

الشيخ البشرى.. وجواهر حافظ إبراهيم

عاد ذات ليلة إلى منزله في حلوان بعد أن أمضى سهرة طويلة في القاهرة فوجد اثاث منزله منثورا فأسرع فأبلغ الأمر إلى شرطة حلوان وصدرت الصحف في اليوم التالى وفيها إشارة إلى أنه أبلغ عن سرقة مصوغات من منزله وكان هذا الحادث موضع تندر وفكاهة أصحابه ومعارفة.

ولم يلبث الشيخ عبد العزيز البشرى أن وجه إليه خطابا مفتوحا نشرته جريدة الأهرام جاء فيه:

عزيزى حافظ

راعنى ما وقع إلى في بعض الصحف أن سراق الليل قد دبوا إلى دارك، راعنى هذا وشغلنى ووالله ما أدرى أأرثى لك أم أرثى لهم.

ولقد أزعموا أنه سرق من دارك مصوغات وحلى، ولست أعلم إن كان هذا من مبالغات الجرائد، إن مجرد اقتحام اللصوص لدارك أجرى على قلم البوليس بحكم العادة (وسرقوا بعض المتاع والحلى) كما يجرى دائما بكلمة (بالقضاء والقدر) في حوادث الترام، من دهس وإتلاف وتهشيم واصطدام؟ أم أن اللصوص أنفسهم هم الذين أطلقوا هذه (الإشاعة) عزاء لما لحقهم من طول المشقة والعناء، وسترا لما تقدم لهم من سوء الرأى وما نالهم من خيبة الرجاء؟!

فإن كانوا ولابد قد سرقوا (صيغة) فلعلها (صيغة منتهى الجموع) وهى - كما علمت- لا تروى من ظمأ، ولا تسمن من جوع.

أشفقت يا حافظ من خجلك أمام لصوصك، ولو قد آذنك هؤلاء المفغلون بنيتهم على هذه الزيارة لكان لك فسحة في التدبير وإعداد (ما تيسر) حتى لا يخرجوا من بيتك (العامر) ناكسى الرءوس مكسورى الخواطر.

زعموا أن لصا سقط في بعض الليالى إلى دار رجل أديب مثلك فرأى صاحب الدار واقفا ووجهه لاصق بالحائط ففتش ما شاء ولما لم يصب شيئا انطلق إلى غرفة أخرى فرأى صاحب الدار قد سبقه إليها ووقف ووجهه إلى الحائط، ولم يجد شيئا كذلك، فعبر إلى غيرها حتى إذا نفض يده من تنقيب الدار كلها وهم بالخروج (كما دخل) أقبل على صاحبه، وقال له:

- عزمت عليك ألا أخبرتنى، لماذا أراك كلما هبطت إلى غرفة سبقتنى إليها وجعلت وجهك إلى الجدار؟!

فقال له: واللّه خجلا منك يا أخى.

ولعل لك يا صديقى في هذه الحادثة الأليمة درسا يبعثك على أن تعد في دارك العامرة ولو للصوص- عجة، فكان لك إذا هبطوا إليها ما يبيض الوجه ويرفع الرأس ويشغل بأمرك العسس والحراس، ويدير لك حديث في مجالس الناس، فإن أعوزتك

كرائم الحلى ونفائسه فعليك بالذهب الوهاج من محل (الماس ويرا) أو شركة الجمل[1].

وبعد فما الذي أغرى اللصوص بك فجرهم إلى دارك وتخطى بهم دور الموسرين من أصحاب جوارك. لعلهم قد ساموا ما عندك من روائع القصائد فحسبوها من فرائد القلائد ولاح لهم من كل يتيمة، مالا تقوم به خزائن الارض بقيمة، يتلألأ في سمطها المنظوم تلألؤ الشهب ويتألق تألق النجوم، وقد انتظمها سلك من خالص الذهب، فهجموا يطلبون الغنى واليسار من هذا اللؤلؤ وهذا النضار.

فإذا كانوا قد خرجوا من بيتك صفرا في المال والنشب فلا عجب، إذا ادركتهم عندك حرفة الأدب.

صديقك على الفراء: عبد العزيز

❊ ❊ ❊ ❊

(1) يقصد محلات الذهب الصناعى.

بروفة ثانية 25/ 9/ 2019

عبد الله النديم

[1845 ، 1896م]

النديم في مرآة أحمد باشا يتمور

يقول فيه:

«كان شهى الحديث، حُلوَ الفكاهة، إذا أوْجز ودّ محدثه أنه لم يوجز!

لقيته مرة في آخر إقامته بمصر، فرأيت رجلًا في ذكاء إياس، وفصاحة سحبان، وقبح الجاحظ.

أما شعره فأقل من نثره، ونثره أقل من لسانه، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا».

(أحمد تيمور)

كل الدلائل كانت تدل على أنه سيكون نجارًا أو خبازًا لا أديبًا يملأ الدنيا، ويقود الرأى العام، ويحسب حسابه في كل ما يخطه قلمه أو تنطق به شفتاه! أما ابوه فأصله من الشرقية، وعمل نجارًا في الإسكندرّية للسفن بدار الصناعة (الترسانة) حين رحل إليها.

ثم لم يعجبه العمل فاتخذ «مخبزًا صغيرًا» يصنع فيه الخبز ويبيعه!

وفكر «عم مصباح» والد «عبد الله» في إرسال ابنه إلى الكُتّاب فأظهر تفوقًا وظهرت عليه ملامح الذكاء!

ونظرًا لظروف أبيه لم يستطع أن يُلحقه بالأزهر مكتفيًا بإلحاقه بمسجد «الشيخ إبراهيم باشا» وهو صورة مصغرةٍ من الأزهر.

ولكن عبد الله حُبب إليه نوع من الدراسة غير منظم يصاحب فيه الناشئين في الأدب، ويَغْشَى مجالسَهم، وجالس أساتذتهم بلا منهج فيسمع ما شاء من شعر الزجَّالين، ونوادرهم.

وقد مُنح حافظة لاقطة، وقدرة على التقليد فائقة!

ولكن أباه رفض أن ينفق عليه بعد أن ترك مسجد الشيخ إبراهيم وسلك هذا الطريق!

فأخذ عبد الله النديم يبحث عن وسيلة للكسب، فاتجه اتجاها غيريبا، وهو أن يتعلم «فن الإشارات التلغرافية»، ثم يتكسب منه، وكان له ما أراد، فعُيّن بمكتب تلغراف بنها، ثم نقل إلى مكتب القصر العالى حيث تسكن والدة الخديو إسماعيل.

وفي القاهرة عاد إليه شوقُه إلى الأدب ومجالسه التى يتخللها نوادر فكهة، وأحاديث في الأدب حُولة حيث يلتقى بشاعر مصر: محمود سامى البارودى، وشيخ الأدباء عبد الله باشا فكرى، وغيرهما من عشاق الأدب والمولعين بالشعر.

فهو بالنهار «تلغرافى» يتقبل الإشارات ويُرسلها، وبالليل «أديب» يتلقى نماذج الأدب ويحاكيها.

ولكن غلطة في عمله في القصر كانت السبب في طرده، فسُدت أبوابُ الرزق في وجهه في القاهرة كما سُدّت في الاسكندرية، وراح ينتقل من القاهرة إلى المنصورة، ومن المنصورة إلى طنطا حيث وجد فيه «شاهين باشا» طلاقةَ لسان، وخِفة روح، وسُرعة بديهة فاتخذه له «نديما».

فيكف كان ذلك ؟!

الأدباتى!

كان مرة يجلس في قهوة أيام «المولد الأحمدى» سنة 1294 هـ ومعه طائفة من أصحابه فطلع عليهم اثنان من «الأدباتية»، وهم طائفة من الشحاذين يسْتَجْدون بأدبهم العاميٌ، وطلاقة لسانهم في الشعر، وحضور بديهتهم، وحين وقفا على عبد الله نديم قال أحدهما:

أنْـــعِـــم بـــقـــرشِـــك يـــا جُـــنـــدى
وإلا اكـــسِـــنَـــا أمّـــــال يـــا أفـــنـــدى
أحْـــسَـــنْ أنـــا وحـــيـــاتَـــك عِـــنـــدى
بـــقـــالـــى شـــهـــريـــن طُـــول جَـــوْعَـــانْ

فأجابه عبد الله نديم على البديهة:

أمـــا الـفـلـــوسُ أنـــا مَـدَيـشـى
وانـــت تـقـول لـى مـا امـشـيـشى
يـطـلـع عـلـــىّ «حَـشـيـشـى»
أقـــوم أمـــلّـــصْ لـــك لِـــــوْدَأن

فرد «الأُدباتى»، ورد «عبد الله نديم»، وظلا كذلك نحو ساعة، ثم غُلب الأدباتى، فانصرف مهزومًا.

ونُقلت القصة إلى «شاهين» باشا» فاستطرفها جدًا، وقرر أن يقيم حفلا عاما يدعو فيه كبار، «الأدبايتة» والزجالين ودخلوا في «مسجالة» مع «نديم»استمرت ثلاث ساعات كان الفوز بعدها لعبد الله نديم، وكانت سبب شهرته!

وأصبح عبد الله نديم لسان الأمه بخطبه أو قلمها بصحفه، ينتقل في الأقاليم ولا يكل ولا يَمَلّ، وينشر آراءه وأفكاره ومشاعره في أكبر عدد من الأمة وبهذا ساعد على نمو «رأى عام مصرى» يؤمن بالحكم الشورى، ويتطلع إلى الإصلاح في الأمور الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية.

وحين انتهت «الثورة العرابية» بالفشل كان النديم من بين المطلوبين للسلطة، وأُعلنت مكافأة لمن يرشد عنه، وظل على مدى عشر سنوات مختفيا، فلما يئست الحكومة من القبض عليه أصدرت حكما غيابيا عليه بالنفى المؤبد، وكانت له حكايات وحيل نذكرمنها:

[1]

ذات يوم ذهب إلى «بولاق» واستخفى عند صديق له وفِيّ أيام، حتى يخفُّ عنه الطلب، ولكنه لبس «زعبوطا» أحمر، واعتم بعمامة حمراء، وربط عينيه بمنديل، وأطال لحيته، وأمسك عكازا طويلا، وتصنع أنه من «مشايخ الطرق»، ونزل في سفينة مع خادمه فلم يفطن له أحد.

[2]

ولما جزع خادمه. وكان أميّاً. واراد أن يرجع إلى أهله، فأيقن النديم أنه إذا عاد انكشف أمره، فأخذ يقرأ الجريدة يوما، ثم تصنع الفزع وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»!!

فسأله الخادم عما أفزعه، فقال النديم:

إن الحكومة قد جعلت لمن يرشد عنى ألف جنيه، ولمن يأيتها برأسك خمسة آلاف جنيه!

فخاف الخادم، وأخذ يبالغ في التنكر أكثر من سيده، واستراح قلب النديم من هذا الباب!

ويحكى النديم عن هذه الفترة فيقول:

«خرجت من مصر مستخفيا، فدرت في البلاد متنكرا، أدخل كل بلد بلباس مخصوص، وأتكلم في كل قرية بلسان يوافق دعواى التى أدعيها من قولى: إنى مغربى، أو يمنى، أو مدنى، أو فيومى، أو شرقاوى أو نجدى.

وأُصْلح لحيتى إصلاحا يوافق الدعوى أيضا، فأطيلها في مكان عند دعوى المشيخة، وأقصرها في آخر عند دعوى السياحة – مثلا– وأبيّضها في بلد، وأحمرها في قرية، وأسودها في عزبة».

من حيله

ادعى أنه عالم يمنى وذاعت شهرته في العلم والأدب حتى بلغت القاهرة فأرسل إليه رياض باشا «سعدَ زغلول» ليسأله عن معنى مثل ورد ذكره في بعض الجرائد ولم يفهم معناه فقابله على أنه عالم يمنى وفسره[1] له.

(1) هذا المثل هو: «بعلة الورَشان يأكل رطب المشان» والورشان: طائر يشبه الحمام. والمشان: نوع من أجود التمر. وأصله: إن جماعة عهدوا إلى خادم لهم أن يحفظ تمرهم، فكان يأكل رطبه، ويزعم أن الورشان أكله فقيل المثل. وهو يضرب لمن يظهر شيئا، والمراد منه شيء آخر.

هو ومأمور شركسي

صادفه مرة مأمور شركسي، والنديم في تنقله بين البلاد فعرفه.

فصرف المأمور جُنْدَه، ثم اختلى به، وقال له: لا ضرورة لتنكرك فقد عرفتك!

ثم أعطاه ما معه من نقود، ورسم له خطة السير في طريقه حتى لا يضبط.

لقد أتعب نفسَه في استخفائه، وأتعب الناسَ معه، ولكن ما أكثر ما أمتعهم أيضا بأحاديثه، وفكاهاته ووعظه.

رحمه الله! لقد قالوا له: إن القوم قرروا قتلك ورصدوا الجوائز للقبض عليك فقال:

إن قوما تجمعوا
ويقتلى تحدثوا
لا أبالي بجمعهم
كل جمع مؤنث!

❊ ❊ ❊ ❊

عثمان جلال

الشاعر والزجال والكاتب المسرحى، ولد عام 1826 م في «ونا القس» بينى سويف، وتعلم بمدرسة الألسن بالقاهرة، وتنقل في أعمال الترجمة والكتابة في بعض الوزارات، وآخر ما وليه منصب قاض بمحكمة الاستئناف بالقاهرة. كان له وجوده وحضوره في عالم الظَّرف والظرفاء، لقد ألف «شلة» من الظرفاء، وأطلق عليها «جماعة الأنس». وكيثرا ما كان يسعد هذه الجماعة ويُمتعهم بنوادره ونكاته.

كان محمد عثمان جلال ممن تعلموا الفرنسية وأجادوها، وحاول التعبير بلغتنا المصرية الدارجة لما فيها من السهولة التى يريدها الشاعر والكاتب.

فنقل قصة «تارتوف» لموليير إلى الزجل العامى، وصبغها بصيغة مصرية، ودعاها «الشيخ متلوف»!

ونقل أيضا أساطير «لافونتين» إلى زجل عامى وهو طائفة من القصص الخرافية، ألفها صاحبها على لسان الطير والحيوان، وملأها بالعبر والأمثال، وسماها «محمد عثمان جلال» العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ»

ومن نماذج صناعته فيها قوله في صحاب الدجاجة:

كـــان الـبـخـيـل عـنـده دجـاجـةْ ... تكفيه طـول الدهر شر الحاجة

في كل يـوم مَـرّ تعطيه العجب ... وهـــي تبيض بيضة مـن ذهـب

فـــظـــن أن فـــيـــهـــا كـــنـــزا ... وأنـــــه يـــــزداد مـــنـــه عِـــزًّا

فقبض الـدجـاجـة المسكين ... وكـــــان فـــي يـمـيـنـه سكين

وشـقـهـا نصفين مـن غفلته ... إذ هـي كـالـدجـاج فـي حضرته

ولـــم يـجـد كـنـزًا ولا لـقـيّـةْ ... بـل رِمـــةً فـي حـجـره مرميه

فـقـال: لا شـك بـأن الطمعا ... ضـيـع لـلإنـسـان مـا قـد جمعا

«العيون اليواقظ»تجرى على هذه الشاكلة من الرجز، ومحمد عثمان جلال فيها خفيف الروح خفة شديدة، وكان عذب الحديث فكها!

يقول عنه أحمد شفيق في مذكراته: «ومما نذكر من زجله بيتين ارتجلهما أمام رياض باشا يشكو تأخره عن أقرانه الموظفين في الترقية:

الـخـيـر عـم الـنـاس وفـاض
مـا حـد إلا واسـتـكـفـي
إلا أنـا يـاسـيـدي ريـاض
«وقـعـت مـن قـعـر الـقـفـه»

وله أرجوزه لطيفة وصف فيها رحلة الأمير توفيق من «بنها» إلى «زفتى وميت غمر» وهى تطرد على هذا السياق:

ومـذ صحا ديـك القرى وصاحا وأيـقـظ الـتـاجـرَ والـفـلَّاحـا
أقـبـلـت الـنـاس إلـى الـوداع مـن نفسها تـجـرى بغير داعِ
واتـبـعـونـا فـي المسير البتّه حـتـى وصـلـنـا مـعـهـم لزفته
لكن رسـا الـوابـور حكم الأمـر بالموكب العالى على مِتْ غمر

ولكن هذه الحركة الأدبية لم يكتب لها النجاح وانتصر أصحاب الفصحى.

ومن نوادر محمد عثمان جلال التى كان يمتع به أصحابه:

أنه ذهب ذات يوم إلى ناظر مدرسة الطب، وكان يعرفه، فرحب به الناظر، وسأله إذا كان يرغب في إدخال ابنه «حافظ جلال» مدرسة الطب، فقال له عثمان جلال: لا.

فسأله الناظر إذا كان هناك خدمة يمكن أن يؤديها له؟

فقال عثمان جلال: عايزك تدخل حافظ ابنى مستشفى المدرسة!».

فأجابه الناظر بأن حافظ في صحة جيدة!

فقال له عثمان بك: أنا أعلم ذلك، ولكنى أريد له أن يكون مريضا، ثم يرتقى إلى ممرض، ثم رئيس ممرضين، ثم يدخل مدرسة الطب، ويشير متدرجا خُطوة.. خطوة حتى يتخرج دون أن يفوته شيء!

وقال له أحد أعضاء جماعة الأنس:

ابنى تخرج في مدرسة الطب «طبيب أطفال!».

وهنا قال له عثمان جلال:

حرام عليك ليه ماخلتوش يكمل؟!

❊ ❊ ❊ ❊

وظل محمد عثمان جلال أحد رواد النهضة الأدبية في مصر والعالم العربى حيث ساهم بجهد كبير في مجال الترجمة وخاصة من الفرنسية إلى العربية، فهو أحد فرسان مدرسة الألسن الذين أثروا حياتنا في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين.

لقد رحل عن دنيانا سنة 1898م. ومما يذكر أنه عمل قاضيا بمحكمة الأسكندرية المختلطة، ثم محكمة مصر المختلطة، وبرغم ذلك لم تتخل عنه فكاهته، ولا خفة دمه.

❊ ❊ ❊ ❊

فكرى أباظة

محام برع في المحاماة، وصحافى ممتاز عرف بمواقفه الجرئية، ورئيس تحرير في عهده، وأديب من الطراز الأول وعضو بارز في مجلس الشعب، وله أسلوبه الساخر في تناول مالا يعجبه.

وها هى ذى ذكريات ضاحكة تحت عنوان:

عهد التلمذة

دخلت «مدرسة القربية» الابتدائية سنة 1903، وعندما أتصور ذلك الماضي البعيد، وأقارنه بالحاضر القريب، أجد الفرق شاسعا بين الطلبة الآن: في السن.. في الإدراك.. في الملابس.. فن أسلوب التعليم.. وعلى العموم في كل شيء.

كانت ملابسنا أقرب الملابس إلى عهد «فرنسوا الأول» مع فارق كبير في النظافة والإتقان!

وإن صدقت ذاكرتى فقد كانت «كرافتات» التلامذة، من فرط الإهمال تتحول من العنق إلى القفا.

وكانت رتوش «الحبر الأحمر، والأزرق، والكوبيا» تنتشر على اليدين، والفم، والأنف، واللسان.. وكانت عملية تلميع الحذاء يتولاها «البنطلون» المسكين بحزق ومهارة.

وكان مصروف «أجعص جعيص» فينا تعريفة واحد في اليوم زاد إلى قرش صاغ في الثانوي.

وإليكم حكاية واقعية.. كنت أقف في «الطابور» عادة بجنب تلميذ من الشرقية، وكنا في السنة الأولى، واختار لنا الضابط «ألفة» ضخم الجسم، طويل القامة، قوة العضلات من السنة الرابعة، ينظم «الطابور» ويحافظ على النظام!

اعتاد هذا «الألفة» العظيم كل صباح أن يضرب زميلى التلميذ كفّا، ثم يهوى على وجهى أنا أيضا بكف آخر!

تكررت المسألة مثنى وثلاث ورباع، فتجرأت في اليوم الخامس، وسألت زميلى:

– الراجل ده بيضربنا ليه؟

قال: دا يبقى أبويا؟!

قلت: أبوك تلميذ؟!

قال: إيوه في السنة الرابعة!

قلت: طيب بيضربك أنت لأنه أبوك، وأنا مالى؟!

فسكت ولم يرد!

وفي اليوم السادس جاء «الألفة» ليجرى العملية المعتادة، فقلت له أنا محتدّا: يافندى ما تضربنيش!

وإذا به يضاعف الضرب.. قال: اخرس.. قطع لسانك.. انت مش ابن حسين بك أباظة؟!

قلت: آه.

قال: طيب مش أنا زى أبوك، وأنت زى ابنى؟!

سلّم لى على أبوك، وقل له: عم مصطفى اللى كان اشترا لك وابور الريّ، واخد باله منى، ومتوصّى بى!..

وتخرجت في مدرسة الحقوق، واشتغلت بالمحاماة في القاهرة وأسيوط، ثم افتتحت مكتبى بالزقازيق!

وفي يوم من الأيام دخل علىّ شيخ ضخم الجثة، هائل المنظر، فسلم علىّ بتحمس وحرارة، ثم قال:

– أنت مش فاكرنى؟

قلت: واللّه متأسف!

قال: يا أخى أنا «ألفتك» في القربية، وعمدة الآن في البلدة الفلانية بمركز منيا القمح!

كان هذا عهدنا في سنة 1903م وما يليها، أما اليوم فقد شاهدت طلبة في المدارس العالية يلبسون «البدل القصيرة».

ولعل «العهد الذهبى» للطلبة هو عهد المدارس الثانوية..

وصلت «الرياضة البدنية» في جميع فروعها إلى القمة في عهدنا، فظهر «حسين حجازى» بطل أبطال الكرة!

أذكر أننى لم أجلس في قهوة إلا يوم ظهور نتيجة «البكالوريا» من شدة سرورى.

أما اليوم وخصوصا بعد النهضة في سنة 1919م، فقد هيأت الظروف للطلبة شخصية قوية في المنازل والنوادى، والمسارح. وفي كل مكان.

أما الملابس والمصاريف، فإسراف في إسراف، وإبداع في إبداع..

كنا نضرب «السلام» باحترام لضابط الجمباز، أما اليوم «فما فيش تكليف» بين الأساتذة والطلبة وتكاد تكون المعاملة بينهما معاملة الند للند؛ والصديق للصديق!

أما حوادث الشقاوة في عهدنا فكثيرة منها..

كان أستاذ اللغة العربية في السنة الثانية الشيخ (...) يعاملنا معاملة قاسية فأحضرنا نَشُوقا «طيارا» من رجل ألمانى بشارع المغربى.

وقبل الحصة نشقنا منه عشرة من تلامذة الفصل في جهات مختلفة، ولما حضر الأستاذ، وضعنا على منصته بعض النشوق فطار إلى أنفه!

ثم ابتدأت عملية العَطْس في اليمين واليسار والجنوب والقلب.. حتى إذا تنبه الأستاذ وابتدأ يلعن جاء دوره هو أيضا فعطس عطسة شديدة فضج الفصل بالضحك!

ثم جاء دور العقاب، فوقع اختياره علىَّ وعلى آخرين وعانينا من قسوة ناظر المدرسة ما عانينا!

ويالهول «الملوخية الخضراء الجديدة» في اليَمَكْخانة!!

كانت تدور بيننا وبين الضباط المعارك حول الأرغفه، لأن رغيفا واحدا لا يكفى لطبق الملوخية الجديدة!

وكان للمرحوم «خيرى» في «المدرسة السعيدية» حوادث ظريفة.. أذكر منها أن المستر «سترجان» أستاذ التاريخ كان يدرس في الفصل، وكان حديث العهد بمصر والمصريين، لا يعرف أن يميز الأسماء.

وأحدث المرحوم «خيرى» ضوضاء، فأراد أن يعاقبهُ وسألهُ عن اسمه فقال: «محمد ميخائيل»، فكتب اسمه كما أملاه، وأرسله إلى الضابط المختص.

واعتاد حضرة الضابط أن ينادى على أسماء المعاقبين في الطابور العام لجميع المدرسة أمام الناظر «المستر شارمان» ولما كانت ورقة المعاقبين مزدحمة، أخذ حضرة الضابط ينادى بسرعة حتى وصل إلى «محمد ميخائيل» فضجت المدرسة بالضحك، وكرر حضرة الشابط النداء، وكررت المدرسة الضحك! حتى نبهه زميل له إلى غرابة الاسم، فتوجه توا إلى «المرحوم خيرى» وقال له: اخرج لا يعمل هذا الفصل سواك!

أما في المدارس العالية، فيدخل الواحد منا منتفخا من الغرور.. وبالأخص في مدرسة الحقوق، ثم يزداد غروره في السنة الثانية، والثالثة حتى يصل إلى الرابعة فتهيط درجة الحرارة.. هنا يفكر في مستقبله.. وبعد التخرج يبدأ الكفاح.. ويبدأ عالم المسئولية، فيتحسر على عهد التلمذه الذهبى الجميل!

❊ ❊ ❊ ❊

المحتويات

المقدمة	ص	المقدمة	ص
مقدمة	3	الشاعر إبراهيم ناجى	229
البهاء زهير	5	أحمد رامى	235
ابن سودون المصرى	25	أحمد شوقى	238
محمد بن إبراهيم	41	أمام العبد	245
حسين شفيق المصرى	50	إسماعيل صبرى باشا	247
محمود بيرم التونسى	84	الإمام البوصيرى	255
محمد حفنى ناصف	107	سيبويه المصرى	256
محمد حافظ إبراهيم	132	طه محمد حراز	259
محمود غنيم	160	عباس محمود العقاد	266
محمد الأسمر	174	الشيخ عبد العزيز البشرى	268
عبد الحميد الديب	204	عبد الله النديم	276
إبراهيم طوقان	221	عثمان جلال	281
إبراهيم عبد القادر المازنى	224	فكرى أباظة	284
الشاعر إبراهيم عز العرب	227		